

الغزو الباطني للأمة الإسلامية

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري

buhooth@albayan.co.uk



الغزو الباطني للأمة الإسلامية

إعداد

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد ابتلي العالم الإسلامي بالاستعمار العسكري، وصاحبه واستمر بعد رحيله غزو فكري منظم بمختلف الوسائل، وهو غزو لا تراه الأعين ولا تلمسه الأيدي، وهو أشد خطرًا وأدوم أثرًا من المواجهة العسكرية، وكان من أسباب نفاذه وتأثيره وبقائه واستمراره ما يعانيه أكثر المسلمين من جهل وضعف وتخلف، وما وضعه المستعمر إبان استعماره (أو تخريبه) من أنظمة ومناهج ومدارس، وما رباه وصنعه على عينه من تلامذة وعملاء وضعهم في قمة المسؤولية بعد رحيله، كل ذلك وغيره مكن للأفكار الوافدة والمذاهب الهدامة من التغلغل في كيان الأمة، حتى أطلق بعض مفكري الأمة وأهل النصح فيها صيحة النذير بأن الأمة مهددة من داخلها[1].

وقد عني طائفة من الباحثين والمفكرين المسلمين بدراسة هذه التيارات وتعريف الناس بها وبخطرها وآثارها، وسبيل الخلاص منها، إما على سبيل التخصيص وذلك بدراسة مذهب واحد بعينه من هذه المذاهب، وإما على سبيل التعميم بدراسة مجموعة من المذاهب والتيارات على غرار كتب الفرق والملل والنحل، وقد تعرت هذه المذاهب وتبين زيفها، وانكشف حال عملاء المستعمر، وأفلست شعاراتهم، وتوالت هزائمهم، وتخلفت الأمة بقيادتهم، ولفظتهم شعوبهم، بعد «عودة الوعي»، وكادت أن تجتاح وجودَهم الجماهيرُ الهادرة.

(١) وقد صنف الدكتور محمد محمد حسين كتابًا بهذا العنوان «حصوننا مهددة من داخلها».

ثم حدث تطور خطير وتحدٍّ كبير ألا وهو استعانة المستعمر لحرب الأمة من الداخل بالفرق الباطنية، والتي جربها من قبل فوجدها خير سند ومعين له ضد الأمة، فهي التي أوقفت المد الإسلامي في أوربا، وكانت عونًا وعينًا للعدو الصليبي والصهيوني في الماضي والحاضر قديمًا وحديثًا، ولا تزال الأمة تعاني من مكره ومكائده ومخططاته وتآمره، وكان دأب المستعمر - ولا يزال - لمواجهة البعث الإسلامي المتنامي الذي غزا أوربا في عقر دارها، هو تغذية هذه الفرق والطوائف الباطنية لينشغل المسلمون بمواجهتها، ويظل الصراع بين الأمة من داخلها.

والمتأمل لطبيعة هذه المذاهب الباطنية التي ظهرت في العالم الإسلامي عبر تاريخه وفي عصوره المتأخرة وأيامه المعاصرة، يجد أن هذه المذاهب والفرق كلها تلبس عباءة التشيع، وربما تقنعت بشعارات أخرى ليبرالية أو قومية أو بعثية أو حقوقية أو اجتماعية لتخفي حقيقتها، ومواقفها العدائية للأمة.

إن التيارات الباطنية بمنظماتها السرية وأساليبها الخفية وخلاياها المنتشرة التي تبث سمومها في الأمة من داخلها - وبخاصة التيار الاثني عشري الذي استوعبها جميعًا - هي أوسع انتشارًا وأخطر تأثيرًا من التيارات الفكرية الصهيونية والصليبية؛ وذلك لخفائها وانتسابها للأمة ودينها، وتسترها خلف رايات وواجهات مختلفة، وانخداع كثير من الناس بها، مع أن نشاطها السري أخطر وأوسع من نشاطها العلني.

فقد لفت أنظار الكثير من المتابعين بروز هذه الفرق المنحرفة علنًا في بلاد المسلمين عامة، ونشرهم لفكرهم العفن في مناطق مختلفة وفق خطط مدروسة، فأصبح من الضروري تبصير الأمة بحقيقة هذا الغزو الباطني وفرقه وعقائده ووسائله وأهدافه، ومحاولة وضع إستراتيجية وبرامج عملية لحماية وحدة الأمة وأمنها، فلا ريب أن معرفة العدو ومخططاته ومعتقداته هو اللبنة الأساسية في مواجهة خطره، والسلامة من غوائله،

ورد مكايده، وإيقاف تمدده ومنعه من نشر فتنته. وقد شهدت أحداث التاريخ وأيام الإسلام أن الأمة لن تنتصر على العدو الخارجي إلا بعد أن تنتصر على العدو الباطني، ولقد علَّمنا التاريخ أن الأمة لم تستطع تحرير القدس من أيدي الصليبيين على يد صلاح الدين إلا بعد أن هزمت الباطنيين.

وإن المتأمل للتحديات المعاصرة التي تعصف بالأمة، يجد أن معظم هذه التحديات تأتي من قبل التيار الباطني المتستر بقناع التشيع الخادع، ولا يخفى على المتابع للأحداث منذ قيام ثورة الملالي في إيران بأن الأمة لم تبلَ بعد الدولة الصفوية بمثل ما بليت به من فتن الدولة الخمينية الرافضية وخلاياها وعملائها، وهذه حقيقة ثابتة عند المتابعين لأحداث الواقع ووقائع التاريخ، وإذا رأيت فتنة تقوم، وفُرقة تحدث، وفسادًا يظهر، فتحسس الأصابع الباطنية الخفية. ولقد سبر شيخ الإسلام ابن تيمية أحوال الأمة والفتن التي تحيط بها، ونظر في أسبابها ومن يقف وراءها، وانتهى إلى أن معظم الفتن والشرور وراءها هؤلاء الباطنية، ولذلك قال بحق: «فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتنًا وشرًّا، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشر وإيقاع الفساد بين الأمة»[(١)].

ولقد كان من ثمار مكرهم أنهم كانوا شرذمة قليلة حتى قالوا: «ما أقلنا! لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها»[(٢)]، أما اليوم فقد بلغ أتباعهم - فيما قيل - ما يقارب ١٠٪ من عموم المسلمين[(٣)]، كما بلغ من مكرهم وكيدهم أن أقاموا دولاً، كالدولة البويهية والعبيدية

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٣٧٢).

(٢) «أصول الكافي»، كتاب الإيمان والكفر، باب قلة عدد المؤمنين (٢/ ٢٤٤)، وانظر: «رجال الكشّي» (ص٧)، «بحار الأنوار» (٢٢/ ٣٤٥).

(٣) «الإسلام والعرب» روم لاندو (ص٩٥).

والصفوية والخمينية، وأسقطوا دولاً قديماً وحديثًا، وفي عصرنا أسقطوا دولتين بمعونة المستعمر (دولة الشاه ودولة صدام)، ولم يتمكنوا من تحقيق مآربهم إلا بالاستعانة بالمستعمر، وذلك بعد أن أصبحوا مطية له يحقق بواسطتهم أهدافهم، وإن كانوا في الغالب لا ينالون كل ما يريدون، وقد يكون سعيهم بوارًا عليهم.

ولذلك قال المستقرئ لتاريخهم وأصولهم شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا تجد أهل مدينة ولا قرية يغلب عليهم الرفض، إلا ولا بد لهم من الاستعانة بغيرهم: إما من أهل السنة، وإما من الكفار. وإلا فالرافضة وحدهم لا يقوم أمرهم قط، كما أن اليهود وحدهم لا يقوم أمرهم قط»[(١)]. وقال أيضًا: «إذا صار اليهود دولة بالعراق وغيره تكون الرافضة من أعظم أعوانهم، فهم دائماً يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى، ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم»[(٢)].

ولهذا وغيره رأيت تخصيص هذا البحث لدراسة هذا «الغزو الباطني للأمة الإسلامية»، وذلك بغية الوقوف على حقيقته، ونشأته، وجذوره، وفرقه واتجاهاته، ومعتقداته، وكشف أساليبه ومكايده، وبيان آثاره، ثم النظر في كيفية التصدي له، ولم أتوسع في هذه الموضوعات؛ لأن أصل هذا البحث تم إعداده لتقديمه إلى «المؤتمر العالمي للفكر الإسلامي.. الواقع والتحديات المعاصرة»، والمنعقد في ماليزيا، بكلية دار الرضوان الإسلامية، في المدة من ١٩-٢٠ سبتمبر ٢٠١٢م، وقد تم نشره وإلقاؤه ضمن أعمال هذا المؤتمر، وكان أصله مختصرًا نظرًا لطبيعة وحدود البحوث المنشورة في المؤتمرات، ثم رأيت إفراده ونشره في طبعة خاصة - بعد زيادات في مباحثه ومزيد تحرير لبعض مسائله - لعل فيه ما ينفع ويفيد، ويكشف حقيقة الغزو الباطني، والمد الرافضي الذي تغلغل في كيان الأمة في غفلة من أمرها لتقيته وتلونه وتقنعه بشعارات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٤١٩).

(٢) «المصدر السابق» (٣/ ٣٧٨).

لقد تبين من خلال الحقائق العلمية والوقائع التاريخية، والشواهد الواقعية أن أخطر أعداء الأمة الإسلامية من الخارج هم اليهود، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]، وأن أشد الناس عداوة وخطرًا على الأمة من الداخل هو التيار الباطني، قال تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، وأكثر هذه الفرق جمعًا، وأعظمها خطرًا، وأشدها مكرًا، وأحكمها تخطيطًا، وأسوؤها أثرًا هي طائفة الاثني عشرية[1]. وقد اشتهر اليهود بمخططاتهم السرية للوصول إلى أهدافهم، واكتشفت جملة من هذه المخططات ونشر بعضها في كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» والذي ترجمه محمد خليفة التونسي[2]، وقدم له الكاتب الكبير عباس العقاد.

وإذا كان وليم كار يذهب إلى أن اليهود وراء كل جريمة[3]، فإنني أذهب إلى أن

---

(١) كيد الأعداء ثابت بنص القرآن ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥، ١٦]، وقد نبتت نابتة في عصرنا تريد أن تلغي شيئًا اسمه المؤامرة بجرة قلم، ولا شك أن الإنكار المطلق للمؤامرة إما جهل وإما مؤامرة.

(٢) وقد التقيته في منزل الشيخ محمود شاكر، وجرى حديث عن ضرورة الترجمة لمصادر الدين اليهودي، وترجمته للبروتوكولات وبعض أجزاء من التلمود، ولا ريب بأنه لا يمكن معرفة العدو إلا بالوقوف على مصادره ومعتقده؛ لأن السلوك ينبثق من التصورات، والمواقف تبنى على المعتقدات، ولذا ترى اليهود يستخدمون رموزهم الدينية لاستقطاب أتباعهم وبث روح الانتماء لديهم، بينما ترى فئامًا من بني قومنا يتعمدون التنكر لكل ما يربطهم بدينهم وتراثهم وتاريخهم وعمقهم الإسلامي.

(٣) يرى الأستاذ محمد قطب أن هذه مبالغة، وأن اليهود لا ينشؤون الأحداث - كما يزعمون - لأنفسهم وكما يتوهم الذين تبهرهم سيطرة اليهود في الوقت الحاضر، ولكن لا شك أنهم يجيدون انتهاز الفرص واستغلالها لتنفيذ مخططهم الشرير (انظر: مذاهب فكرية معاصرة، ص: ٧٩).

لكن القول بأنهم يستغلون الأحداث فقط ولا ينشؤونها لا يتفق مع ما ثبت من مكرهم وكيدهم وما أخبر الله عنهم في قوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: ٦٤]، وهذا لا يمنع أنهم قد يستغلون الأحداث لتحقيق أهدافهم، بل ربما يقرب من الحقيقة ما قاله محمد مهاتير في خطابه أمام قمة منظمة المؤتمر الإسلامي في كوالالمبور ٢٠٠٣م «اليهود يحكمون العالم بالوكالة».

الروافض وراء كل فتنة وبلاء ومصيبة حلت وتحل بالأمة، وإذا كان وليم كار قد أمضى ما يقارب أربعين سنة في البحث للوصول إلى هذه النتيجة، فقد أمضيت ما يقارب أربعين سنة في البحث، لكنني أدركت ذلك في مراحل البحث الأولى، وذلك لأن هذه الطائفة كما يقولون عن أنفسهم: «مبتلَون بالنَّزَق وقلة الكتمان»[1]، والخطر الأكبر ليس في مكائدهم فقط، وإنما في غفلة الأمة عن خطرهم واستهانتها بشأنهم، بل ربما انشغل بعضهم بجماعات دعوية عن هذه الأحزاب الرافضية المجوسية.

إن كاتب هذه السطور قد أمضى ما يقارب أربعين سنة من عمره بحثًا ونظرًا وتدريسًا وتأليفًا ورحلاتٍ متعددةً للبحث عن موارد المذهب ومصادره، ودراسة أصوله ومبادئه، وقراءة وسماع ما يقوله مراجعه، ومقابلة بعض رجاله، وزيارة بعض جمعياته، والوقوف على أهم نشاطاته، والتعرف على مخططاته، ومحاورة بعض رجاله، والنظر في مناهجه الدراسية، والوقوف على مشاهده ومزاراته، وقد أدركت وأيقنت أنهم أخطر عدوٍّ يهدد الأمة في وجودها وأمنها ووحدتها وعقيدتها ودينها، ويتعاظم الخطر في جهل الأمة بمكايد هذا العدو ومخططاته وقدرته على التخفي والتلون والخداع كما قلت.

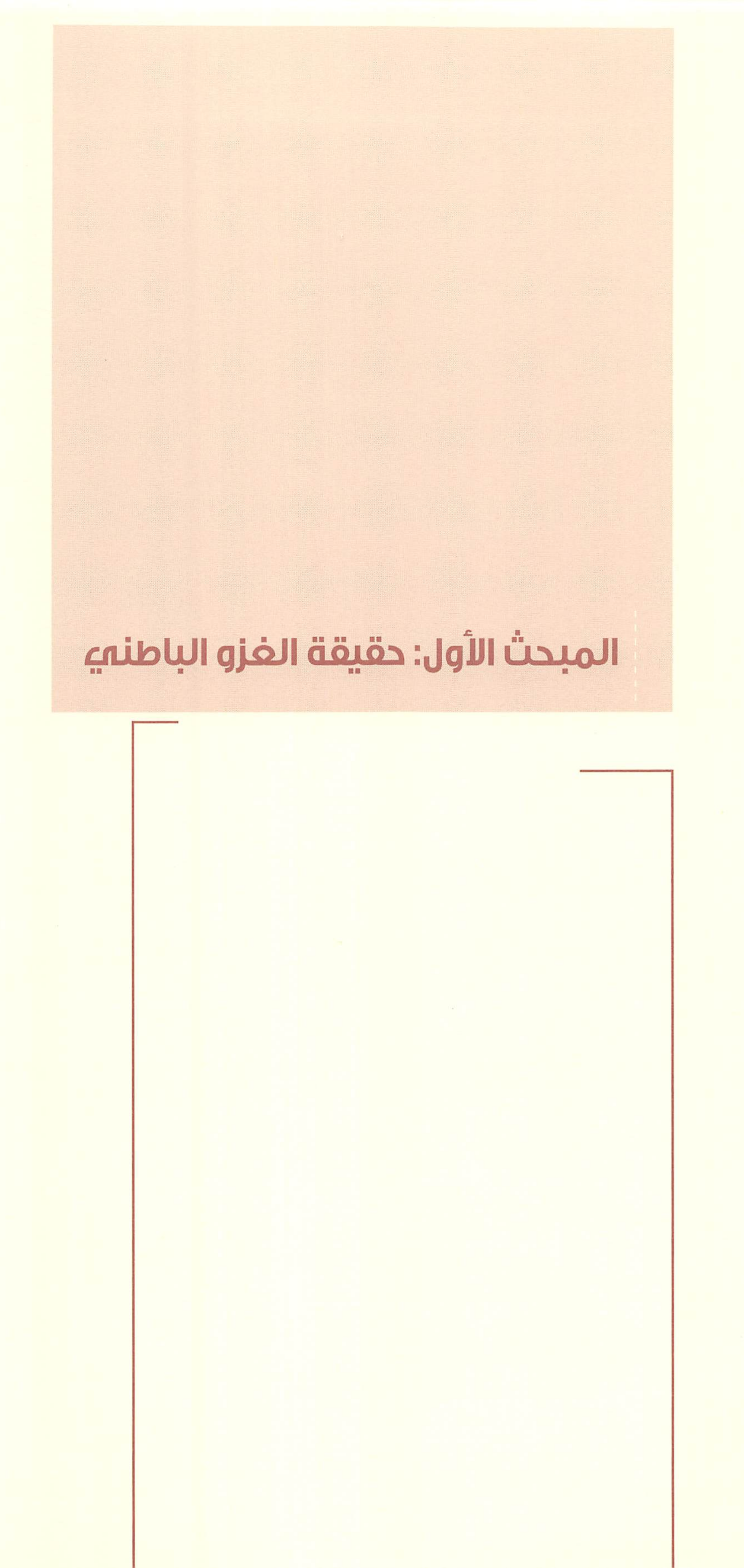
وفي الختام أتوجه بالشكر لفضيلة الشيخ الدكتور/ حمدي عبيد، وفضيلة الشيخ الدكتور/ سليمان الربعي، والأستاذ الشيخ/ محمد الشيبان على ما تفضلوا به من قراءة الكتاب، وما أبدوه من ملاحظات قيمة أفدت منها.

أسأل الله عز وجل أن يكون عملي لوجهه خالصًا، ولهدي نبيه ﷺ موافقًا.

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري

---

(١) «الكافي» (١/ ٢٢٢).



المبحث الأول: حقيقة الغزو الباطني



» أولًا: حقيقة الغزو:

يمكن تعريف الغزو الباطني بأنه: الوسائل والخطط غير العسكرية التي يقوم بها الباطنية من أجل الدعوة لمذهبهم ونشر نحلتهم.

وهو غزو للأمة من داخلها بواسطة هذا العدو الباطني الذي يتكلم بلسانها، ويلبس لبوسها، وينتسب لدينها، ويتستر بالتشيع لآل بيت نبيها، فمنذ سقوط الدولة الكسروية المجوسية الفارسية لا يزال هذا العدو يستخدم هذه الوسيلة إلى يومنا هذا، وذلك لاستغلال جهلة الشيعة لتحقيق أغراضه بواسطتهم، والوصول إلى أهدافه على أيديهم.

وهذا العدو تتعدد أسماؤه وألقابه، وتختلف صوره ومسمياته، وتتنوع مكائده باختلاف البلدان، فلهم - كما يقول الشهرستاني - «دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان»(١)، كما أن دينهم يقوم على ما يسمونه التقية، الذي هو التظاهر أمام الآخرين بخلاف ما يعتقدون، وهو ما سماه القرآن نفاقًا، وقد قال سبحانه لنبيه ﷺ في جنسهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

وقد عاد هذا الغزو الباطني من جديد على أوسع نطاق، وبمختلف الوسائل بعد قيام ثورة الملالي في إيران، والتي فرضت في دستور دولتها على أتباعهم القيام بهذا الغزو لديار المسلمين، وجعلوه أول أهدافهم، بل رسالتهم الأساسية التي يسعون لتحقيقها، وذلك لبسط نفوذهم في كافة أرجاء العالم باسم التشيع، فنص دستورهم على «أن جيش الجمهورية الإسلامية، وقوات حرس الثورة الإسلامية لا يتحملان فقط مسؤولية حفظ وحراسة الحدود، وإنما يتكفلان أيضًا بحمل رسالة عقائدية، أي الجهاد في سبيل الله، والنضال من أجل توسيع حاكمية قانون الله في كافة أرجاء العالم»(٢).

---

(١) «الملل والنحل» (١/ ١٩٢).

(٢) «الدستور لجمهورية إيران الإسلامية» (ص١٦)، منشورات مؤسسة الشهيد، وانظر: الطبعة الأخرى من الدستور، التي أصدرتها وزارة الإرشاد الإيرانية (ص١٠).

كما دعا مؤسس دولتهم إلى «تصدير ثورته» إلى العالم الإسلامي حيث يقول: «إننا نريد أن نصدِّر ثورتنا الإسلامية إلى كافة البلاد الإسلامية»[(١)]، وهو لا يريد التصدير السلمي فحسب؛ بل يريد فرض نحلته على المسلمين بالقوة كما فعل أسلافه في الدولة الصفوية، وقد أشار إلى ذلك قبل قيام دولته، وقرر أن سبيل ذلك هو إقامة دولة شيعية تتولى هذا الأمر فيقول: «ونحن لا نملك الوسيلة إلى توحيد الأمة الإسلامية[(٢)] وتحرير أراضيها من يد المستعمرين وإسقاط الحكومات العميلة لهم، إلا أن نسعى إلى إقامة حكومتنا الإسلامية، وهذه بدورها سوف تتكلل أعمالها بالنجاح يوم تتمكن من تحطيم رؤوس الخيانة، وتدمر الأوثان والأصنام البشرية التي تنشر الظلم والفساد في الأرض»[(٣)].

وهذا تطور خطير لهذه النحلة لم يعرف عن أسلاف الاثني عشرية، فقد كانت عقيدتهم قديماً تقوم على وجوب الانتظار حتى يخرج إمامهم الغائب المنتظر المعدوم، ولهذا بوب المجلسي في «بحار الأنوار» باباً أسماه: «باب فضل انتظار الفرج، ومدح الشيعة في زمن الغيبة، وما ينبغي فعله في ذلك الزمان»[(٤)]، وذكر فيه (٧٧) رواية. وقالوا بأن المنتظر كالمجاهد في سبيل الله، وجاء في مصادرهم: «كل راية ترفع قبل راية القائم فصاحبها طاغوت، وإن كان رافعها يدعو إلى الحق»[(٥)].

ويبدو أن التربص بالحكومات وشعوبها تم التأصيل لشرعيته من خلال عقيدة الانتظار أيضًا (انتظار المهدي)، وأن السعي لإسقاطها ونشر الفوضى فيها والتآمر مع

(١) «خطاب الخميني حول مسألة تحرير القدس والمهدي المنتظر» (ص١٠).
(٢) يعني على مذهب الروافض.
(٣) «الحكومة الإسلامية» (ص٣٥).
(٤) «بحار الأنوار» (٥٢/ ١٢٢-١٥٠)، وانظر: «إكمال الدين» (ص٦٠٣) وما بعدها.
(٥) «الكافي» بشرحه للمازندراني (١٢/ ٣٧١)، «بحار الأنوار» (٢٥/ ١١٣).

كل عدو ضدها هو عقيدة الملالي المعاصرين، وخطتهم السرية تجاه المسلمين، ولذا يقول شيخهم عبد الهادي الفضلي[(١)] - عند حديثه عن مهديهم المنتظر ووجوب التوطئة والتمهيد لظهوره -[(٢)]: «إن الذي يفاد من الروايات في هذا المجال هو أن المراد من الانتظار هو: وجوب التمهيد والتوطئة بظهور الإمام المنتظر»[(٣)]، ثم يشرح معنى التوطئة بقوله: «إن التوطئة لظهور الإمام المنتظر تكون بالعمل السياسي عن طريق إثارة الوعي السياسي، والقيام بالثورة المسلحة»[(٤)].

فعقيدتهم تقوم على رفض أي حكومة سنية، والأمر بتهيئة الناس لقبول نحلتهم عن طريق نشر معتقداتهم بمختلف الوسائل، وهو ما يسميه الفضلي بـ«الوعي السياسي»!! والتخطيط للقيام بالثورات المسلحة داخل الدول الإسلامية.

---

(١) هو عبد الهادي محسن الفضلي، عراقي رافضي من جماعة محسن الحكيم، ولد ١٩٣٥م بالبصرة، وتلقى تعليمه في النجف، حتى بلغ رتبة (آية الله) حسب مراتب رجال الدين عندهم، وفي عام ١٣٩٠هـ غادر العراق إلى الكويت، ومن الكويت إلى السعودية، واتخذ مكانًا قصيًّا عن طائفته للتخفي، واختار تخصصًا بعيدًا عن المظهر الديني للاستتار، فعين مدرسًا للأدب العربي في جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ومنح الجنسية السعودية، وابتعث إلى مصر لإكمال دراسته العليا على نفقة الدولة، حتى حصل على الدكتوراه من كلية دار العلوم بالقاهرة عام ١٣٩٦هـ، ولم يُجدِ هذا الإحسان معه حيث كتب في مؤلفاته يحرض على الثورات داخل الدول الإسلامية، كما نقلنا عنه هنا، ثم تقاعد عام ١٤٠٩هـ، واستقر بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، ومن آثار خدماته للمستعمر الإيراني الصفوي أن قام خامنئي بزيارته في أمريكا أثناء مرضه، وتوفي عام ٢٠١٣م. (انظر في ترجمته: قراءات في فكر الفضلي، لفؤاد عبد الهادي الفضلي).

(٢) وهو كتاب خطير تمكنت من الحصول عليه من العراق إبَّان رحلتي لجمع المادة العلمية لرسالتي «مسألة التقريب» ويبدو أن الكتاب كان لا ينشر وقتها إلا في أوساطهم الخاصة.

(٣) «في انتظار الإمام» (ص٦٩).

(٤) «في انتظار الإمام» (ص٧٠).

» ثانيًا: حقيقة الباطنية:

الباطنية[1] مذهب سري ظاهره التشيع، والانسلاخ من الدين، وضعه زنديق يقال له: ابن سبأ، «أراد أن يفسد الإسلام بمكره - وخبثه كما فعل بولص بدين النصارى - فأظهر النسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى سعى في فتنة عثمان وقتله، ثم لما قدم على الكوفة أظهر الغلوَّ في علي والنص عليه ليتمكن بذلك من أغراضه»[2]، فتقنع بالتشيع وانتحال مذهب أهل البيت لتحقيق أهدافه.

يقول الإمام ابن الجوزي: «الباطنية قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض، وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة، فمحصول قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم، بل يزعمون أن الله حق وأن محمدًا رسول الله والدين صحيح، لكنهم يقولون: لذلك سرٌّ غير ظاهر»[3].

وقول ابن الجوزي هذا وإن كان في الباطنية المحضة إلا أن هناك فرقًا أخرى من الباطنية تشترك معها في الأصل الجامع من أن للقرآن تأويلًا باطنيًا، ومن أخطرها الاثنا عشرية التي تسمى في عصرنا تلبيسًا بالشيعة، يقول الإمام المقدسي: «وأما الباطنية فأصناف وفرق، وأسماؤهم مختلفة لدعوة كل ناجم منهم إلى نفسه، وعامتهم يظهرون الإمامة ويدَّعون للقرآن تأويلًا باطنًا»[4].

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية أن مصطلح الباطنية قد يطلق في كلام الناس على طائفتين كلتاهما تقولان بالتأويل الباطني، فيقول: «وحقيقة الأمر أن اسم الباطنية قد

---

(١) الباطنية اسم عام يدخل فيه باطنية الصوفية، وباطنية الفلاسفة، وباطنية الرافضة. وحقيقة الأمر أن باطنية الفلاسفة، وباطنية الصوفية ترجع جذورهم وأصولهم إلى باطنية الرافضة.

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٨/ ٤٧٩).

(٣) «تلبيس إبليس» (ص: ٩١-٩٢).

(٤) «البدء والتاريخ» (٥/ ١٣٣).

يقال، في كلام الناس على صنفين أحدهما من يقول: إن للكتاب والسنة باطنًا يخالف ظاهرهما، فهؤلاء هم المشهورون عند الناس باسم الباطنية من القرامطة وسائر أنواع الملاحدة... وهؤلاء في الأصل قسمان:

قسم يرون ذلك في الأعمال الظاهرة حتى في الصلاة والصوم والحج والزكاة وتحريم المحرمات من الفواحش والظلم والشرك ونحو ذلك، فيرون أن الخطاب المبين لوجوب هذه الواجبات وتحريم المحرمات ليس هو على ظاهره المعروف عند الجمهور، ولكن لذلك أسرار وبواطن يعرفونها كما يقولون: الصلاة معرفة أسرارنا، والصوم كتمان أسرارنا، والحج الزيارة إلى شيوخنا القدسيين، فهؤلاء زنادقة منافقون باتفاق سلف أئمة الإسلام، ولا يخفى نفاقهم على من له بالإسلام أدنى معرفة... وهذا الصنف يقع في القرامطة المظهرين للرفض، ويقع في زنادقة الصوفية من الاتحادية الحلولية، ويقع في غالية المتكلمة... وأما عقلاء هذه الطائفة الباطنية مثل ابن رشد وأمثاله فإنهم إنما يقولون بالباطن المخالف للظاهر في العلميات، وأما العمليات فيقرونها على ظاهرها، وهذا قول عقلاء الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام...

أما القسم الثاني فالذين يتكلمون في الأمور الباطنة من الأعمال والعلوم، لكن مع قولهم: إنها توافق الظاهر، ومع اتفاقهم على أن من ادعى باطنًا يناقض الظاهر فهو منافق زنديق، فهؤلاء هم المشهورون بالتصوف عند الأمة، وهم فيما يتكلمون فيه من الأعمال الباطنة وعلم الباطن يستدلون على ذلك بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة كما يستدل بذلك على الأعمال الظاهرة... وهم أشد إيمانًا بما أخبر به الرسول ﷺ باطنًا وظاهرًا من غيرهم، وأشد تعظيمًا للأعمال الظاهرة مع الباطنة من غيرهم، ولكن يوجد منهم من جنس ما يوجد في بقية الطوائف من البدع والنفاق... فهذا أصل عظيم ينبغي معرفته»[١].

---

(١) «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ١٦٧-١٧١) باختصار.

فالباطنية لقب عام تندرج تحته مذاهب وطوائف الصفة المشتركة بينها هي تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن تأويلًا يذهب مذاهب شتى، وقد يصل التباين إلى حد التناقض الخالص[١].

لكن الأمر المهم في هذا الموضوع والإضافة فيه هو أن أكثر كتب المقالات القديمة والمعاصرة جعلت الباطنية قسيماً للشيعة الاثني عشرية، والتي شاع إطلاق لقب (الشيعة) عليها في عصرنا، وهذا أوقع كثيرًا من الباحثين في وهم كبير وهو أن الاثني عشرية ليست باطنية، وأن الباطنية هم الإسماعيلية فقط.

والحق أن الاثني عشرية التي تلقب اليوم بالشيعة باطنية أيضًا؛ لأن ضابط الباطنية - كما يذكر الشهرستاني وغيره - أنهم الذين يقولون بأن لكل «ظاهر باطنًا، ولكل تنزيلٍ تأويلًا، وإنما لزمهم هذا اللقب (الباطنية) لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيلٍ تأويلًا»[٢]، ويقول المقريزي: «وإنما سميت الإسماعيلية بالباطنية لأنهم يقولون: لكل ظاهر من الأحكام الشرعية باطنٌ، ولكل تنزيلٍ تأويلٌ»[٣].

وهذا هو الأصل الذي تقوم عليه نحلة الاثني عشرية التي تلقب في عصرنا بالشيعة، خاصة بعد تطور المذهب واتجاهه نحو الغلو بتأثير من متشيعة الفرس الذين كان لهم دور كبير في انحراف التشيع، وكون طائفة الاثني عشرية باطنية ثابت من خلال تأويلاتها وأصولها واعتقادها ومنهجها، ويكفي النظر في ثلاثة موارد أساسية لديهم، وهي:

الأول: أهم مصادرهم الأربعة المتقدمة وهو «الكافي».

الثاني: أهم مصادرهم الأربعة المتأخرة وهو «بحار الأنوار».

---

(١) انظر: «مذاهب الإسلاميين» (١/ ٧٥١).

(٢) انظر: «الملل والنحل» (١/ ١٩٢).

(٣) «المواعظ والاعتبار» (٢/ ٢٦٢).

الثالث: أصل أصول التفاسير عندهم وهو «تفسير القمي»، يكفي النظر في هذه المصادر لمعرفة أنهم باطنيون مغرقون في الباطنية.

جاء في «أصول الكافي» للكليني - وهو من أهم كتب الشيعة وأعلاها درجة عندهم - ما نصه: «عن محمد بن منصور قال: سألت عبدًا صالحًا[1] عن قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف:٣٣] قال: فقال: إن القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق»[2].

تقرر هذه الرواية الواردة في أصح كتبهم الأربعة - وأمثالها كثير - مبدأ أن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر مخالفة تامة، وتضرب المثل بما أحل الله وحرم في كتابه، وأن المقصود بذلك رجال بأعيانهم، فما جاء في القرآن مما أحل الله فهو رمز على الأئمة الاثني عشر، وما جاء في القرآن مما حرم الله فهو رمز على أعدائهم - بزعمهم -، وهم جميع حكام المسلمين ومن بايعهم من لدن الصحابة وتابعيهم ومن بعدهم من الشعوب الإسلامية ممن بايعوا حكام زمانهم إلى يوم الدين، وهذا التأويل هو أصل دين الباطنية.

وقد شاع التأويل الباطني في كتبهم وأصبح من أصول دينهم التي يقوم عليها كيانهم العقدي؛ لأنه لا بقاء لمذهبهم إلا به، ولا يستقيم لهم دليل إلا بهذا التحريف الذي يسمونه تأويلًا، ولهذا عقد صاحب «البحار» بابًا لهذا بعنوان: «باب أن للقرآن ظهرًا وبطنًا»، وقد ذكر في هذا الباب (٨٤) رواية[3]، وفي «تفسير البرهان» عقد بابًا مماثلًا لما في

---

(١) يعنون به موسى الكاظم والذي يعتبرونه إمامهم السابع (انظر: أصول الكافي هامش ١/ ٣٧٤).
(٢) «أصول الكافي» (١/ ٣٧٤)، «الغيبة» للنعماني (ص٨٣)، «تفسير العياشي» (٢/ ١٦).
(٣) انظر: «بحار الأنوار» (٩٢/ ٧٨-١٠٦).

البحار بعنوان: «باب في أن القرآن له ظهر وبطن»[١].

وجاء في مصادرهم عن جابر الجعفي[٢] قال: «سألت أبا جعفر عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال لي: يا جابر: إن للقرآن بطنًا، وللبطن بطنًا وظهرًا، وللظهر ظهرًا، يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه»[٣].

وتؤصل مصادرهم لهذا المنهج الباطني بلغة الأرقام، فتبلغ به ما يزيد عن سبعين بطنًا!! يقولون: «...لكل آية من كلام الله ظهر وبطن، بل لكل واحدة منها كما يظهر من الأخبار المستفيضة سبعة وسبعون بطنًا»[٤].

وهذا المنهج الباطني في التعامل مع النصوص لا يتفق مع لغة أو عقل أو نقل.

ولكن استطاع الاثنا عشرية لمهارتهم في التقية أن يخفوا حقيقتهم الباطنية، وأن يتستروا على كثير من مصادرهم ردحًا من الزمان، بل ربما نسب بعضهم مقالات الاثني عشرية الثابتة في مصادرهم إلى القرامطة الباطنية، فترى مثلًا إمامًا من الأئمة

---

(١) «البرهان» (١/ ١٩).

(٢) جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي، توفي سنة (١٢٧هـ)، قال ابن حبان: «كان سبئيًّا من أصحاب عبد الله بن سبأ. كان يقول: إن عليًّا يرجع إلى الدنيا»، وروى العقيلي بسنده عن زائدة أنه قال: جابر الجعفي رافضي يشتم أصحاب رسول الله ﷺ، وقال النسائي وغيره: متروك. وقال يحيى: لا يكتب حديثه ولا كرامة، قال ابن حجر: ضعيف رافضي (انظر: ميزان الاعتدال: ١/ ٣٧٩-٣٨٠، تقريب التهذيب ١/ ١٢٣، الضعفاء للعقيلي: ١/ ١٩١-١٩٦).

(٣) «تفسير العياشي» (١/ ١١)، «المحاسن» للبرقي (ص٣٠٠)، «البرهان في تفسير القرآن» (١/ ٢٠-٢١)، «تفسير الصافي» (١/ ٢٩)، «بحار الأنوار» (٩٢/ ٩٥)، «وسائل الشيعة» (١٨/ ١٤٢).

(٤) «مرآة الأنوار» لأبي الحسن الشريف (ص٣).

الكبار كشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ينسب مقالات الاثني عشرية وتأويلاتها الباطنية إلى القرامطة، حيث يقول: «من ادعى علماً باطنًا، أو علماً بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئًا، إما ملحدًا زنديقًا، وإما جاهلًا ضالًّا... وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم، فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الإسماعيلية والنصيرية وأمثالهم»، ثم ذكر أمثلة لذلك، فقال: «وهؤلاء الباطنية قد يفسرون: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢] أنه علي، وقوله: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة:١٢] أنهم طلحة والزبير، ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء:٦٠] بأنها بنو أمية»[(١)].

هذه التأويلات التي ينقلها ابن تيمية وينسبها للباطنية موجودة بعينها عند الاثني عشرية، فالتأويل المذكور للآية الأولى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ جاء عند الاثني عشرية في خمس روايات أو أكثر[(٢)]، وسجل في طائفة من كتبهم المعتمدة[(٣)]، وليس في الآية أية دلالة على هذا التأويل[(٤)].

وكذلك الآية الثانية: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ ورد تأويلها بذلك في طائفة من كتبهم المعتمدة[(٥)]. وبلغت رواياتها عندهم أكثر من ثماني روايات[(٦)].

ومثلها الآية الثالثة: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ جاء تأويلها عند الاثني عشرية بما

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٣٦-٢٣٧).

(٢) انظر: «اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية» هاشم البحراني (ص٣٢١-٣٢٣).

(٣) انظر من ذلك: «تفسير القمي» (٢/ ٢١٢)، «معاني الأخبار» لابن بابويه (ص٩٥)، «تفسير البرهان» (٤/ ٦-٧)، «تفسير الصافي» (٤/ ٢٤٧)، «تفسير شبر» (ص٤١٦).

(٤) قال السلف في تفسير الآية: إن الإمام المبين ها هنا هو أم الكتاب، أي: وجميع الكائنات مكتوبة في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ. (انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٩١).

(٥) انظر: «البرهان» (٢/ ١٠٦، ١٠٧)، «تفسير الصافي» (٢/ ٣٢٤)، «تفسير العياشي» (٢/ ٧٧-٧٨)، وانظر: «تفسير القمي» (١/ ٢٨٣).

(٦) راجع المصادر السابقة.

قاله شيخ الإسلام في أكثر من اثنتي عشرة رواية[1]، وتناقل هذا التأويل مجموعة من مصادرهم المعتمدة[2].

هذه التأويلات - كما ترى - ينسبها شيخ الإسلام ابن تيمية إلى الباطنية القرامطة، وهي بعينها ثابتة في المصادر المعتمدة لدى الاثني عشرية، مما يثبت أن الاثني عشرية غارقة في الباطنية، لكنها تمثل الوجه الدعائي والعلني أمام عموم المسلمين.

بل يرى ابن حزم أن باطنية الإسماعيلية ما هم إلا وسيلة من وسائل الاثني عشرية التي تستعملها للكيد للأمة ودينها، حيث يقول: «وما توصلت الباطنية إلى كيد الإسلام وإخراج الضعفاء منه إلى الكفر إلا على ألسنة الشيعة»[3].

ولذلك أقول: إن تقسيم الرافضة إلى باطنية واثني عشرية لم يعد اليوم قائماً بعد ظهور كتب الاثني عشرية وانتشارها، وإنما هو مجرد تقسيم للاختلاف بينهما في عدد الأئمة وأعيانهم، لا لاختلافهم في النهج الباطني، وربما يصح هذا التقسيم في مرحلة تاريخية ما، قبل انحدار التشيع إلى دركات الغلو.

ولهذا جاء في كتاب «البحار» (أحد مصادر الاثني عشرية المعتمدة عندهم) أبواب كثيرة هي بمثابة قواعد وأصول في تفسير القرآن عندهم وفق هذا المنهج الباطني الغالي، وكتاب البحار هو المرجع الوحيد لتحقيق معارف مذهبهم - كما يقوله بعض شيوخهم -[4]، وقد جمعت هذه الأبواب تأويلات باطنية لا صلة لها بمعاني الألفاظ، ولا

(١) انظر: «البرهان» (٢/ ٤٢٤-٤٢٥).

(٢) انظر: «تفسير القمي» (٢/ ٢١)، «تفسير العياشي» (٢/ ٢٩٧)، «تفسير الصافي» (٣/ ١٩٩-٢٠٢)، «البرهان» (٢/ ٤٢٤-٤٢٥)، «تفسير شبر» (ص٢٨٤)، وانظر: «مقتبس الأثر» (دائرة المعارف الشيعية) (٢٠/ ٢١).

(٣) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ١٧١).

(٤) «مقدمة البحار» البهبودي (ص ١٩).

بدلالة السياق، بل هي إلحاد وتحريف لكتاب الله جل وعلا، حقيقتها الاستهزاء بكلام الله والتكذيب بآياته، ولعله يكفي أن تقرأ عناوين بعض هذه الأبواب التي تتضمن العشرات من أحاديثهم[1] لتدرك أن الاثني عشرية باطنية.

ولنستعرض بعضًا من هذه العناوين فيما يلي:

- باب أنهم الصلاة والزكاة والحج والصيام وسائر الطاعات، وأعداؤهم الفواحش والمعاصي[2]، وتضمن هذا الباب (١٧) رواية.
- باب «تأويل المؤمنين والإيمان والمسلمين والإسلام بهم وبولايتهم عليهم السلام، والكفار والمشركين، والكفر والشرك، والجبت والطاغوت واللات والعزى، والأصنام بأعدائهم ومخالفيهم»[3]، وقد ذكر تحت هذا الباب مائة حديث لهم.
- باب «أنهم - عليهم السلام - الأبرار والمتقون، والسابقون والمقربون، وشيعتهم أصحاب اليمين، وأعداؤهم الفجار والأشرار وأصحاب الشمال»[4]، وذكر فيه (٢٥) رواية لهم.
- باب أنهم - عليهم السلام - وولايتهم العدل والمعروف والإحسان والقسط والميزان، وترك ولايتهم وأعدائهم الكفر والفسوق والعصيان والفحشاء والمنكر والبغي[5]، وأورد فيه (١٤) حديثًا من أحاديثهم.

---

(١) ومفهوم الحديث عندهم هو روايات الزنادقة التي نسبوها زورًا وبهتانًا لبعض أهل البيت، وليست أحاديث رسول الله ﷺ.

(٢) «بحار الأنوار» (٢٤/ ٢٨٦-٣٠٤).

(٣) «بحار الأنوار» (٢٣/ ٣٥٤-٣٩٠).

(٤) المصدر السابق: (٢٤/ ١-٩).

(٥) «بحار الأنوار» (٢٤/ ١٨٧-١٩١).

- ☐ باب أنهم -- عليهم السلام - آيات الله وبيناته وكتابه.. وفيه (٢٠) رواية[١].
- ☐ وباب أنهم السبع المثاني، وفيه (١٠) روايات[٢].
- ☐ وباب أنهم - عليهم السلام - الصافون والمسبحون وصاحب المقام المعلوم وحملة عرش الرحمن، وأنهم السفرة الكرام البررة، وفيه (١١) رواية[٣].
- ☐ وباب أنهم كلمات الله، وفيه (٢٥) رواية[٤].
- ☐ وباب أنهم حرمات الله، وفيه (٦) روايات[٥].
- ☐ وباب أنهم الذكر وأهل الذكر، وفيه (٦٥) رواية[٦].
- ☐ وباب أنهم أنوار الله، وفيه (٤٢) رواية[٧].
- ☐ وباب أنهم خير أمة وخير أئمة أخرجت للناس، وفيه (٢٤) رواية[٨].
- ☐ وباب أنهم المظلومون، وفيه (٣٧) رواية[٩].
- ☐ وباب أنهم المستضعفون، وفيه (١٣) رواية[١٠].

---

(١) «بحار الأنوار» (٢٣/ ٢٠٦-٢١١).
(٢) «بحار الأنوار» (٢٤/ ١١٤-١١٨).
(٣) «بحار الأنوار» (٢٤/ ٨٧-٩١).
(٤) «بحار الأنوار» (٢٤/ ١٧٣-١٨٤).
(٥) «بحار الأنوار» (٢٤/ ١٨٥-١٨٦).
(٦) «بحار الأنوار» (٢٣/ ١٧٢-١٨٨).
(٧) «بحار الأنوار» (٢٣/ ٣٠٤-٣٢٥).
(٨) «بحار الأنوار» (٢٤/ ١٥٣-١٥٨).
(٩) «بحار الأنوار» (٢٤/ ٢٢١-٢٣١).
(١٠) «بحار الأنوار» (٢٤/ ١٦٧-١٧٣).

- وباب أنهم أهل الأعراف الذين ذكرهم الله في القرآن، وفيه (٢٠) رواية[١].
- وباب تأويل الوالدين والولد والأرحام وذوي القربى بهم - عليهم السلام - وفيه (٢٣) رواية[٢].
- باب نادر في تأويل النحل بهم - عليهم السلام -[٣].
- باب أنهم النجوم والعلامات[٤].
- وأنهم الحفدة[٥] في قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].
- وعليٌّ رضي الله عنه هو سبيل الله[٦] في قوله سبحانه: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٧].
- وهو الحسرة على الكافرين[٨] في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الحاقة: ٥٠].
- وهو حق اليقين[٩] في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة: ٥١].
- وهو الصراط المستقيم[١٠] في قوله سبحانه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

---

(١) «بحار الأنوار» (٢٤/ ٢٤٧-٢٥٦).
(٢) «بحار الأنوار» (٢٤/ ٢٥٧-٢٧٢).
(٣) «بحار الأنوار» (٢٤/ ١١٠-١١٣).
(٤) «بحار الأنوار» (٢٤/ ٦٧-٨٢).
(٥) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦٤)، «البرهان» (٢/ ٣٧٦)، «الصافي» (١/ ٩٣٢).
(٦) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦٩)، «البرهان» (٢/ ٣٨٣)، «البحار» (٩/ ١١١).
(٧) إبراهيم: آية ٣، وفي عدة مواضع أخرى من كتاب الله سبحانه.
(٨) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦٩)، «البرهان» (٢/ ٣٨٣).
(٩) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦٩)، «البرهان» (٢/ ٣٨٣).
(١٠) «تفسير العياشي»: (١/ ٢٤)، «البرهان»: (١/ ٥٢).

- وهو الهدى[1] في قوله: ﴿قُلْنا فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

- والأئمة هم الأيا م والشهور، وعقد شيخهم المجلسي بابًا في ذلك بعنوان: (باب تأويل الأيام والشهور بالأئمة عليهم السلام) ضمنه طائفة من رواياتهم[2].

- والأئمة هم بنو إسرائيل[3] في قوله سبحانه: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[4].

- وهم الأسماء الحسنى التي يدعى بها: يروون عن الرضا عليه السلام قال: إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله، وهو قول الله: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] قال - راويهم -: قال أبو عبدالله: نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل - كذا - من أحد إلا بمعرفتنا، قال: فادعوه بها[5].

وقال شيخهم المجلسي: «والأئمة هم الماء المعين والبئر المعطلة والقصر المشيد وتأويل السحاب والمطر والفواكه وسائر المنافع الظاهرة بعلمهم وبركاتهم»، ثم أورد طائفة من نصوصهم في ذلك[6].

وهكذا تمضي تأويلاتهم، بل تحريفاتهم على هذا النحو الذي يكشف عوراتهم ويفضح إلحادهم.

فماذا بعد هذا؟! أليس هذا هو عين مذهب الباطنية الذين «يجعلون الشرائع المأمور بها، والمحظورات المنهي عنها لها تأويلات باطنة تخالف ما يعرفه المسلمون منها.. والتي

---

(١) «تفسير العياشي» (١/ ٤٢)، «البرهان» (١/ ٨٩).

(٢) «البحار» (٢٤/ ٢٣٨ - ٢٤٣)، وانظر: الطوسي: «الغيبة» ١٠٤، والقمي «الخصال»: (٢/ ٣٢ - ٣٣).

(٣) «تفسير العياشي» (١/ ٤٤)، «البرهان» (١/ ٩٥)، «البحار» (٧/ ١٧٨).

(٤) البقرة: آية ٤٠، وفي عدة مواضع من كتاب الله.

(٥) «تفسير العياشي»: (٢/ ٤٢)، وانظر: «الصافي»: (١/ ٦٢٦)، «البرهان»: (٢/ ٥١).

(٦) «البحار»: (٢٤/ ١٠٠ - ١١٠).

يعلم بالاضطرار أنها كذب وافتراء على الرسل - صلوات الله عليهم -، وتحريف لكلام الله ورسوله عن مواضعه، وإلحاد في آيات الله»[1].

إن هذا النوع من التأويل كفر بالله ورسوله وآياته؛ لأن حقيقته التكذيب بما جاء عن الله ورسوله، وقد سمى الإمام الشنقيطي هذا النوع من التأويل «لعبًا؛ لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ»[2]، وتكمن خطورة هذا الاتجاه الباطني في أنه يقتضي بطلان الثقة بالألفاظ، ويسقط الانتفاع بكلام الله وكلام رسوله، فإن ما يسبق إلى الفهم لا يوثق به، والباطن لا ضابط له، بل تتعارض فيه الخواطر، ويمكن تنزيله على وجوه شتى، وبهذا الطريق يحاول الباطنية التوصل إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها، وتنزيلها على عقائدهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة، ولو كانت تلك التأويلات الباطنية هي معاني القرآن، ودلالاتها لما تحقق به الإعجاز، ولكان من قبيل الألغاز، والعرب كانت تفهم القرآن من خلال معانيه الظاهرة.

ومجمل القول: إن الاثني عشرية ليست قسيمًا للباطنية كما جاء في كثير من كتب الفرق والمقالات، بل هي الباطنية نفسها، وأنه لم يعد هناك حدود فاصلة بين ما يسمى بـ«الجعفرية» و«الشيعة» وبين ما يسمى بـ«الباطنية» و«الإسماعيلية» فيما يتعلق بالمنهج الباطني، وإن كان بعضهم يكفر بعضًا.

ولا تزال العقلية الشيعية المعاصرة - ولا سيما رجال دينهم من الملالي - تعيش أسيرة لتلك التأويلات التي وضعها علماؤهم السابقون، والتي عرضنا أمثلة لها فيما مضى؛ لأنهم اعتمدوا هذه المصادر إلى اليوم وسموها (صحاح الإمامية)، ولذلك فإنهم في كتاباتهم يسيرون على النهج الباطني المغرق في الباطنية.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٩).

(٢) انظر: «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات» (ص٣٤-٣٥)، «أضواء البيان» (١/ ١٩١).

ومن الأمثلة المعاصرة لهذه التأويلات الباطنية الغالية أن أحد علمائهم المعاصرين[1] يتحدث عن غيبة مهديهم - وهو كما يقول بعض كتاب الشيعة من أشهر الكتاب الإمامية الذين عالجوا (الغيبة)[2] -، فيعقد فصلاً بعنوان (المهدي في القرآن الكريم)، ويورد في هذا الفصل خمسين آية من القرآن كلها يزعم تأويلها بمهديهم الذي لا وجود له ولا حقيقة، ويتوصل بذلك إلى أن موضوع المهدي - كما يزعم - لا يختلف عن ضروريات الإسلام الأخرى، وإنكاره إنكارٌ لضرورة من ضروريات الدين[3].

أما شيخهم المعاصر محمد رضا الطبيسي النجفي (ت ١٣٦٥هـ) فيفسر ٧٦ آية من كتاب الله بعقيدة الرجعة عندهم[4]، وهذا شطط لم يبلغ مستواه شيوخهم القدامى الذين فسروا عشرين آية ونيفًا بالرجعة، وفي القرن الثاني عشر تطور الأمر إلى تأويل ٦٤ آية بتلك العقيدة الباطلة على يد شيخهم الحر العاملي[5] وغيره، ثم كانت نهاية الشطط على يد هذا الطبيسي وغيره من شيوخهم المعاصرين.

وهذا محمد حسين آل كاشف الغطا وهو من مراجع الشيعة الكبار في العصر الحاضر ومن دعاة الوحدة والتقارب.. يفسر قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠]، بالتفسير التالي: «علي بحر نور الإمامة، وفاطمة بحر نور النبوة والكرامة. يخرج منهما اللؤلؤ الأخضر بخضرة السماء، والمرجان الأحمر بحمرة

(١) ويدعى علي محمد دخيل.

(٢) «تاريخ الإمامية» عبدالله فياض، ص ١٦٢.

(٣) «الإمام المهدي» عن المصدر السابق: ص ١٦٢.

(٤) انظر: كتابه «الشيعة والرجعة» مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٥هـ.

(٥) «دائرة المعارف العلوية» جواد تارا، ص ٢٥٦.

الأرض»[1].

فهل هذا سوى تفسير باطني لا تربطه بالآية أدنى رابطة؟ ويفسر د. محمد الصادقي الآية المذكورة بمثل ما فسر به آل كاشف الغطا، حيث يقول: «اتصل بحر النبوة فاطمة الصديقة بنت النبي ﷺ ببحر الإمامة عليه السلام - يعني عليًا - بحران ملتئمان متلاقيان بينهما برزخ الرسالة القدسية المحمدية.. والخارج منهما اللؤلؤ والمرجان: الحسنان هما مجمع الولاية روحانياً والنبوة نسبيًا»[2].

وفي تفسير «الميزان» لإمامهم الأعظم محمد حسين الطباطبائي كثير من التفسيرات الباطنية التي يختارها من كتب التفسير القديمة عندهم، ويذكرها تحت عنوان (بحث روائي)، ومن النماذج التي نقلها مقرًا بها معتقدًا لها: ما ذكره تفسير «البرهان» عند قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [التحريم: ١٠]. قال: «الآية مثل ضربه الله لعائشة وحفصة أن تظاهرتا على رسول الله وأفشتا سره»[3]، وعند قوله سبحانه: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] قال الصادق: «نحن وجه الله»[4]. وهكذا يستقي الرجل التفسير الباطني من أمهات كتبهم، ويتعمد النقل لبعض الروايات الضعيفة من كتب أهل السنّة ليخدم بها مذهبه.

ونكتفي بهذه الشواهد التي عرضناها من تفسيرات معاصريهم؛ لأن غرضنا معرفة مدى سير الأواخر على غلو الأوائل في النهج الباطني.

ففي الأوائل كتب تفسير باطنية محضة مثل تفسير القمي والعياشي، والبحراني، ومحسن

---

(١) محمد حسين آل كاشف الغطا في مقدمته لكتاب «حياة الإمام الحسن بن علي» لمؤلفه باقر شريف القرشي، مطبعة الآداب، النجف، ط. ٢، ١٣٨٤هـ.
(٢) «الفرقان» (٧/ ٣٢) محمد الصادقي (الهامش).
(٣) «الميزان» (١٩/ ٣٤٦).
(٤) «الميزان» (١٩/ ١٠٣).

الكاشاني وغيرهم، وكتب تفسير معتدلة بالنسبة لتلك التفاسير الباطنية مثل تفسير «البيان» للطوسي، و«مجمع البيان» للطبرسي، والفئة الأولى اعتمدت على روايات الشيعة فقط، والفئة الثانية اعتمدت على روايات السنة والشيعة، أما كتب التفسير المعاصرة فهي فيما تعتمده من رواياتهم في تفسير الآيات تتلبس بالروح الباطنية، وحينما تحاول أن تبشر بالتشيع وتحتج على أهل السنة ببعض الروايات عندهم تتخلص إلى حدٍّ ما من الروح الباطنية.

والخلاصة أنك لا تجد تفسيرًا شيعيًّا اعتمد على رواياتهم ومصادرهم إلا اتخذ الطريقة الباطنية في التحريف والتأويل الفاسد منهجًا.

» ثالثًا: الأمة:

المقصود بالأمة التي تتعرض للغزو في هذا البحث هي أمة الإسلام، ذلك أن مصطلح الأمة يطلق ويراد به أحد معنيين:

الأول: أمة الإجابة، وهي أمة الإسلام، وهم الذين استجابوا لله ورسوله، وهي المعنية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وفي قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[١]، وفي قوله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[٢].

وهذه الأمة تشمل جميع المسلمين من أهل القبلة، حتى يدخل فيهم فرق المبتدعة الذين جاء ذكرهم في حديث افتراق الأمة في قوله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي

---

(١) أخرجه مسلم ح (١٩٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود ح (٤٢٩١)، والطبراني في «الأوسط» ح (٦٥٢٧)، والحاكم في «المستدرك» ح (٨٥٩٢) وإسناده صحيح.

على ثلاث وسبعين فرقة»[١]، وهم المبتدعة الذين ابتدعوا بدعة لا تخرجهم عن الإسلام، وهم وإن كانوا مستحقين للوعيد الوارد في قوله ﷺ: «كلها في النار»[٢]، إلا أن الله عز وجل يعفو عمن يشاء منهم، ويعذب من يشاء، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨].

أما الوعيد لهم بالنار فلا يقتضي الخلود فيها، فمآل من شاء الله دخوله النار منهم إلى الجنة، وأما من أخرجته بدعته عن الإسلام، فليس من أمة الإجابة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «البدعة التي يُعَدُّ بها الرجل من أهل الأهواء: ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة؛ كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة»[٣]. وهؤلاء المبتدعة أتوا في ضلالهم في الغالب من جهلهم، أما الروافض فقد وضع أصل نحلتهم منافق زنديق للتآمر على الأمة والكيد لها، فالخوارج من المبتدعة صناعة فكر جاهل، كما وصفهم الرسول ﷺ بقوله: «حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم»[٤]، والروافض صنيعة فكر متآمر، وضع أصوله عدو حاقد وزنديق ماكر.

وهذه الأمة (أمة الإجابة) بمختلف درجاتهم ومراتبهم وفرقهم هم ممن اصطفاهم الله، وإن اختلفت درجات ومراتب الاصطفاء؛ وهم على ثلاث مراتب: السابقون بالخيرات، والمقتصدون، والظالمون لأنفسهم، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ

---

(١) أخرجه أبو داود ح (٤٥٩٦)، والترمذي ح (٢٦٤٠)، وابن ماجه ح (٣٩٩١)، وأحمد ح (٨٣٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده حسن.
(٢) هذه الزيادة أخرجها أحمد ح (١٢٢٠٨)، وابن ماجه ح (٣٩٩٣) وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٤١٤).
(٤) أخرجه البخاري (ح ٣٦١١).

بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر:٣٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذه الأصناف الثلاثة في هذه الآية هم أمة محمد ﷺ خاصة»[1]. وقال الحافظ ابن كثير: «الصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة، كما هو ظاهر الآية، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ»[2].

القسم الثاني: أمة الدعوة، وهم غير المسلمين، وهم من توجه لهم الدعوة للدخول في الإسلام، أو الذين دعوا إلى الإسلام فلم يستجيبوا.

قال الإمام النووي: «لفظة (الأمة) تطلق على معان:

منها: من صدَّق النبي ﷺ وآمن بما جاء به، وتبعه فيه، وهذا هو الذي جاء مدحه في الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وكقوله ﷺ: «شفاعتي لأمتي»[3]، وقوله: «تأتي أمتي غرًّا محجَّلين»[4] وغير ذلك.

ومنها: من بعث إليهم النبي ﷺ من مسلم وكافر، ومنه قوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[5]»[6].

ويدخل في أمة الدعوة أصحاب الملل، كاليهود والنصارى، وأصحاب النحل

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٨٢).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٤٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المسند» ح(٦٤٢)، والبزار في «المسند» ح(٤٧٧٦)، وقال الهيثمي «رواه البزار، وفيه من لم أعرفهم» (مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٨).

(٤) أخرجه البخاري ح(١٣٦)، ومسلم ح(٢٤٦) بنحو هذا اللفظ.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ح (١٥٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٦) «تهذيب الأسماء واللغات» (٣/ ١١).

كالهندوسية والبوذية والوثنية وغيرهم، كما يدخل فيهم عموم الفرق الباطنية المنتسبة للتشيع الذين قال فيهم أئمة الإسلام: إن «ظاهرهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض»، كالنصيرية الذين قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية: إنهم «أكفر من اليهود والنصارى»(١)، وقد انبثقوا من الإمامية الاثني عشرية، ومثلهم البابية والبهائية وغيرهم، والدروز الذين يلقبون أنفسهم بالموحدين، والبهرة، والأغاخانية، وهؤلاء كلهم إسماعيلية باطنية غلاة، وكذلك الجناح الآخر من الباطنية وهم الاثنا عشرية الذين يلقبون أنفسهم بالجعفرية والخاصة والمؤمنين، وغلب عليهم لقب «الشيعة» في عصرنا - كما أشرنا -، وهم المقصود الأول من هذا البحث(٢).

والضابط لمعرفتهم اليوم أنهم الذين يعتمدون في تلقي دينهم على المصادر الأربعة المتقدمة(٣) والأربعة المتأخرة(٤)، وهي التي يسمونها «صحاح الإمامية»، ويسميها الدستور الإيراني «سنة المعصومين»، وأصحاب هذه المصادر والمتلقين لها والمعتمدين لما جاء فيها وإن تسموا بـ«الشيعة» فلا صلة لهم بالشيعة، إنما هم الامتداد التاريخي والعقدي للسبئية، فالسبئية هي الاسم الأقدم، والاثنا عشرية هي الاسم الأحدث لحقيقة واحدة(٥)، وشيعة اليوم ليسوا بشيعة(٦)؛ لأن التشيع الشرعي لأهل البيت هو ما قرره أئمة الإسلام، مثل قول الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «ارقبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته»(٧)، ومثل قوله أيضًا رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليَّ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٤٩).
(٢) ومصادرهم هي عمدة هذا البحث.
(٣) وهي: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه.
(٤) وهي: الوافي، والبحار، والوسائل، ومستدرك الوسائل.
(٥) انظر: «شيعة اليوم سبئية الأمس» (بحث منشور بمجلة البيان).
(٦) انظر: «شيعة اليوم ليسوا بشيعة» (بحث منشور بمجلة البيان).
(٧) أخرجه البخاري ح (٣٧١٣).

أن أصل من قرابتي»[1]، ومثل ما قرره أئمة الإسلام عند تقرير اعتقاد أهل السنة بأنهم «يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ»[2].

وأحق الطوائف بهذا التشيع الشرعي هم أهل السنة، أعني بالتشيع الشرعي الاعتقاد الحق بمحبة أهل البيت المحبة الشرعية، لا المحبة البدعية والشركية التي هي نهج من يتسمى بالشيعة في عصرنا، وذلك لا يعني صحة التسمي بالشيعة؛ لأن الدين عند الله الإسلام، وقد اختار هؤلاء اسم الشيعة وتركوا اسم الإسلام.

إن غلاة الرافضة تسموا في عصرنا تضليلًا وتلبيسًا بالشيعة، وزعموا أنهم شيعة أهل البيت، والحقيقة أنهم ليسوا متبعين ولا محبين لآل البيت، بدليل أن جملة من مقالاتهم الثابتة في مصادرهم لا تجعل لمن يؤمن بها نصيبًا في الإسلام، ولا انتماء للمسلمين، ولذلك فإن علماء الأمة الذين عرفوا حقيقة هذه الطائفة قالوا قولتهم فيهم، فعن أبي بكر المروذي قال: سألت أبا عبد الله عمن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة؟ قال: ما أراه على الإسلام[3]، وقال الإمام مالك: الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ ليس له اسم - أو قال: - نصيب في الإسلام[4]، وقال الإمام البخاري - رحمه الله -: «ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم ولا يعادون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم»[5]، وقال الإمام السمعاني - رحمه الله -: «واجتمعت الأمة على تكفير الإمامية، لأنهم يعتقدون تضليل الصحابة،

---

(١) أخرجه مسلم ح (١٧٥٩).

(٢) «العقيدة الواسطية» (ص١١٨).

(٣) «السنة» للخلال (٢/ ٥٥٧) قال محققه: «إسناده صحيح»، وانظر: «شرح السنة» لابن بطة (ص١٦١)، «الصارم المسلول» (ص٥٧١).

(٤) «السنة» للخلال (٢/ ٥٥٧)، قال محققه: «إسناده صحيح».

(٥) «خلق أفعال العباد» (ص١٢٥).

وينكرون إجماعهم، وينسبون إلى ما يليق بهم[(١)]»[(٢)].

وقال ابن حزم: «ولا خلاف بين أحد من الفرق المنتمية إلى المسلمين من أهل السنة، والمعتزلة والخوارج، والمرجئة والزيدية في وجوب الأخذ بما في القرآن وأنه المتلو عندنا.. وإنما خالف في ذلك قوم من غلاة الروافض وهم كفار بذلك مشركون عند جميع أهل الإسلام، وليس كلامنا مع هؤلاء، وإنما كلامنا مع أهل ملتنا»[(٣)]. وحين احتج النصارى بما يقوله الروافض من تحريف القرآن أجابهم بقوله: «وأما قولهم (يعني النصارى) في دعوى الروافض تبديل القرآن فإن الروافض ليسوا من المسلمين، إنما هي فرقٌ حدث أولها بعد موت النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة، وكان مبدؤها إجابة من خذله الله تعالى لدعوة من كاد الإسلام، وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر»[(٤)].

وقال الجاحظ: «إن الروافض ليست منا بسبيل؛ لأن من كان أذانه غير أذاننا، وصلاته غير صلاتنا، وطلاقه غير طلاقنا، وعتقه غير عتقنا، وحجته غير حجتنا، وفقهاؤه غير فقهائنا، وإمامه غير إمامنا، وقراءته غير قراءتنا، وحلاله غير حلالنا، وحرامه غير حرامنا، فلا نحن منه ولا هو منا»[(٥)].

وقال الشوكاني: «إن أصل دعوة الروافض كياد الدين، ومخالفة شريعة المسلمين، والعجب كل العجب من علماء الإسلام، وسلاطين الدين، كيف تركوهم على هذا المنكر

(١) قوله: «إلى ما يليق بهم» كذا في الأصل، وإذا كان الضمير يعود إلى الرافضة، فالعبارة مستقيمة، أي ينسبون الصحابة إلى ضلال يليق بالرافضة أنفسهم، أما إذا كان الضمير يعود إلى الصحابة، ففي العبارة تصحيف، ولعل صحتها (إلى ما لا يليق بهم).

(٢) «الأنساب» (٦/ ٣٤١).

(٣) «الإحكام في أصول الأحكام» (١/ ٩٦).

(٤) «الفصل» (٢/ ٨٠).

(٥) «رسائل الجاحظ» (رسالة حجج النبوة) (٣/ ٢٣٣-٢٣٤).

البالغ في القبح إلى غايته ونهايته؟!»[1].

وقال الشيخ موسى جار الله: «لو ثبتت أخبار «الكافي» و«الوافي» في القرآن وفي تأويل الآيات وتنزيلها، فلا قرآن ولا إسلام ولا شرف لأهل البيت ولا ذكر لهم»[2].

ولذلك لما سئل الإمام محمد بن إبراهيم - رحمه الله -: هل للرافضة شفعة على المسلمين، أم لا؟ أجاب قائلًا: «مذهب الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - أن لا شفعة لكافر على مسلم، سواء كان كافرًا كفرًا أصليًّا، أو مرتدًّا، أو داعية إلى بدعة، ورافضة هذه الأزمان مرتدون، عَبَدة أوثان، فيدخلون في هذا الحكم»[3].

وقد أدرك هؤلاء الروافض مدى بعدهم عن الأمة، وأنهم أمة أخرى وإن انتسبوا إلى هذه الأمة في الظاهر، فقالوا على لسان شيخهم الجزائري: «لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا»[4].

وسمى شيخهم ابن بابويه ما جمعه من مسائل اعتقادهم باسم «دين الإمامية» باعتبار أنهم دين آخر غير الإسلام.

وهذا ما أشار إليه وقرره علامة الشام الشيخ محمد بهجة البيطار لما رأى إصرار الروافض على ضلالهم فقال لهم: «لنتفق جميعًا على أن لكلٍّ دينه ومعتقده، ولنتعاون فيما بيننا كما تتعاون الدول المختلفة الأديان والعقائد»[5].

---

(١) «نثر الجوهر على حديث أبي ذر» للشوكاني، الورقة: ١٥-١٦ (مخطوط).

(٢) «تهذيب الوشيعة في نقد الشيعة» (ص٩٢)، ط. مكتبة الإمام البخاري.

(٣) «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم» (٨/ ١٨٩).

(٤) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٢٧٩).

(٥) انظر: «الإسلام والصحابة الكرام بين السنّة والشيعة» محمد بهجة البيطار (ص ١١٦).

ومع انفصال هذه الطائفة عن الأمة فإنهم يعمدون اليوم إلى إيهام العامة بأن خلافهم العقدي إنما هو فقط مع من يسمونهم الوهابية، بخلاف بقية المسلمين، رامين إلى غايتين خبيثتين:

الأولى: الترويج لباطلهم وضلالهم.

الثانية: التنفير من دعوة التوحيد، دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -.



المبحث الثاني: نشأة الغزو الباطني وجذوره



» المطلب الأول: النشأة الزمنية:

بدأت المواجهة الخفية بين المسلمين وهؤلاء الباطنيين، أو بدأ الغزو الباطني للإسلام وأهله منذ انتصار المسلمين على الفرس.

ويكشف الإمام ابن حزم - رحمه الله - حقيقة هذا الغزو المتقنع بالتشيع فيقول: «إن الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدًا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكان العرب عند الفرس أقل الأمم خطرًا، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق، فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت، واستبشاع ظلم عليٍّ رضي الله عنه بزعمهم، ثم سلكوا بهم مسالك حتى أخرجوهم عن طريق الهدى»[1].

ويشهد لذلك ما سيأتي بيانه من ظهور الأثر الفارسي في بنية النحلة الاثني عشرية.

كما كان للمكر اليهودي أثر، بل مشاركة في التأسيس لهذا الغزو، قال المقريزي: «وكان ابتداء التشيع في الإسلام أن رجلًا من اليهود في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أسلم، فقيل له: عبد الله بن سبأ، وعرف بابن السوداء، وصار ينتقل من الحجاز إلى أمصار المسلمين يريد إضلالهم، فلم يطق ذلك فرجع إلى كيد الإسلام وأهله»[2].

---

(١) «الفصل» لابن حزم (٢/ ٢٧٣).

(٢) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (٤/ ١٥١).

وقد أراد ابن سبأ اليهودي[١]- كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - «إفساد دين الإسلام كما أفسد بولص دين النصارى»[٢]. وقال أيضًا: «فأول من ابتدع الرفض كان منافقًا زنديقًا يقال له: عبد الله بن سبأ، فأراد بذلك إفساد دين المسلمين كما فعل بولص صاحب الرسائل التي بأيدي النصارى حيث ابتدع لهم بدعًا أفسد بها دينهم، وكان يهوديًا فأظهر النصرانية نفاقًا فقصد إفسادها، وكذلك كان ابن سبأ يهوديًّا فقصد ذلك وسعى في الفتنة لقصد إفساد الملة، فلم يتمكن من ذلك»[٣].

وكان - كما يرى بعض الباحثين - أحد أعضاء جمعية سرية (تلمودية) غايتها تقويض الدولة الإسلامية وتعمل لحساب دولة الروم[٤].

ويرى ابن تيمية أن ابن سبأ أول من أحدث القول بالعصمة لعلي، وبالنص عليه في الخلافة[٥]، وهذا ما يقرره الإمام الزيدي ابن المرتضى[٦]، بل هذا ما تقر به كتب الرافضة نفسها[٧].

ويرى أبو زهرة أن عبد الله بن سبأ هو الطاغوت الأكبر الذي كان على رأس الطوائف الناقمين على الإسلام الذين يكيدون لأهله، وأنه قال برجعة علي، وأنه وصي محمد، ودعا

---

(١) راجع للتوسع في أمر السبئية: «أصول مذهب الشيعة» (١/ ٨٢) وما بعدها، «عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة» د/ سليمان العودة، «ابن سبأ حقيقة لا خيال» د/ سعدي الهاشمي، «آراء الخوارج» عمار الطالبي (١/ ٧٥-٨١)، «البدعة» د/ عزت عطية ص٦٤، وما بعدها بالإضافة إلى كتب الملل والنحل والمقالات والرجال.

(٢) «منهاج السنة» (٦/ ٤٢٨).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٨٤)، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

(٤) «عائشة والسياسة» سعيد الأفغاني (ص٦٠).

(٥) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٤/ ٥١٨).

(٦) «المنية والأمل» (ص١٢٥).

(٧) انظر: «المقالات والفرق» (ص٢٠).

إلى ذلك، وذكر أبو زهرة أيضًا أن فتنة ابن سبأ وزمرته كانت من أعظم الفتن التي نبت في ظلها المذهب الشيعي(١).

لقد قام ابن سبأ مع خليته والمتعاونين معهم من مجوس الفرس، ومن اغتر بهم من أوباش البلدان البعيدة عن دار العلم والإيمان بتنفيذ مؤامرتين أو جريمتين:

الأول: قتل فاروق هذه الأمة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاتح بلاد الفرس، ومطفئ نار المجوسية، ومبيد ملك الكسروية، ثم قتل ذي النورين الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي جمع القرآن وحفظ الله به الأمة من فرقتها، ثم إثارة الفتن على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، الذي واجه هذه الشرذمة ورد كيدهم في نحورهم، وعاقبهم وأجرى عليهم حكم الشرع، فحرق طائفة منهم أصرت على غلوها، وتوعد آخرين، كما واجه الخوارج بتبصير جاهلهم، ومعاقبة من بغى منهم، حتى انتهى الأمر بقتله على يد أحد الخوارج لجهلهم وغلوهم.

الثاني: محاولة الطعن في شرعية الدولة، فإن ابن سبأ - كما تعترف كتب الشيعة نفسها - أول من قال بفرض إمامة علي، والطعن في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم(٢).

وكانت هذه الطائفة الغالية تعرف باسم «السبئية»، ثم توارى هذا الاسم بعد استئصال الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لرموزهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإنه خرج ذات يوم من باب كندة فسجد له أقوام، فقال: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو الله، فاستتابهم ثلاثًا فلم يرجعوا، فأمر في الثالث بأخاديد فخدت، وأضرم فيها النار، ثم قذفهم فيها وقال:

---

(١) انظر: «تاريخ المذاهب الإسلامية» (١/ ٣١-٣٣).

(٢) انظر: «المقالات والفرق» للقمي (ص٢٠).

لمـا رأيـت الأمـر أمـرًا منكـرا
أجـجـت نـاري ودعـوت قـنـبرا

وفي صحيح البخاري أن عليًّا رضي الله عنه أتى بزنادقتهم فحرقهم، وبلغ ذلك ابن عباس فقال: أما أنا فلو كنت لم أحرقهم؛ لنهي النبي ﷺ أن يعذب بعذاب الله ولضربت أعناقهم؛ لقول النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[(١)][(٢)].

وبعد هذه الضربة العلوية اختفت هذه الخلايا الباطنية حتى مقتل الحسين -رضي الله عنه-.

فاندسوا في عموم المناصرين والمتشيعين للحسين، ولذا ذهب بعض الباحثين إلى أن «دم الحسين يعتبر البذرة الأولى للتشيع كعقيدة»[(٣)]، ثم تبين أمرهم، وظهروا على حقيقتهم في عام ١٢١ أو ١٢٢هـ بعد خروج زيد بن علي على هشام بن عبد الملك، فعرفوا بعدها باسم «الرافضة»، ثم إنهم بدؤوا يغيرون أسماءهم ودعوتهم من مكان إلى مكان، وقد أشار الشهرستاني إلى هذا المكر الخطير، فذكر أن «لهم دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان»، فاتخذوا من اسم «الشيعة» ستارًا ينشرون من خلاله عقائدهم ويحققون بواسطته أغراضهم إلى يومنا الحاضر.

فالاسم الأقدم هو (السبئية والرافضة)، والاسم الأحدث هو (الشيعة)، وما سواهم زيدية، وإسماعيلية.

---

(١) أخرجه البخاري ح(٣٠١٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٨٥).

(٣) «دائرة المعارف الإسلامية» (١٤/ ٥٩).

أما الزيدية فهم الأقرب لأهل السنة[١]، إلا من انتسب إليهم وليس منهم كالجارودية الرافضة[٢].

وقد حفظ لنا التاريخ وشهد الواقع وقرر الأئمة أن الاتجاه الشيعي كان مأوى لكل من أراد الكيد للإسلام وأهله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن أصل كل فتنة وبلية هم الشيعة ومن انضوى إليهم، وكثير من السيوف التي سلت في الإسلام إنما كان من جهتهم، وبهم تسترت الزنادقة»[٣].

---

(١) ولذا ذكر الشيخ أبو زهرة أن التقريب بيننا وبينهم «قائم من غير محاولة تقريب» (انظر: الإمام زيد ص٤). وقد خرج منهم علماء كبار كالصنعاني وابن الوزير والمقبلي والشوكاني وغيرهم، وهم ليسوا من الرافضة في شيء، ولذا أجمعت الرافضة على تكفير الزيدية، وعدوهم من النواصب، واستحلوا دماءهم وأموالهم (انظر: «رجال الكشي» ص١٩٩، «بحار الأنوار» ٧٢/ ١٧٩).

(٢) الجارودية هم أسلاف الحوثية المعاصرة الذين جمعوا مع عقيدة الجارودية عقيدة الإمامية الاثني عشرية، ثم تبنوا ولاية الفقيه الخمينية، فأصبحوا يسيرون على نهج الرافضة الخمينية المعاصرة، ولم يكن لهؤلاء الغلاة ظهور وانتشار في اليمن حتى قامت الثورة الخمينية، فتواصلت معهم واستقدمت رموزهم لإيران وأمدتهم بالمال وأغرتهم وغرَّتهم، وسخرتهم عملاء لها يأتمرون بأمرها، ولقد حذر العالم اليمني المعاصر مقبل بن هادي الوادعي قبل التمدد الحوثي الرافضي من مساعي إيران للتسلل إلى اليمن تحت قناع التشيع، والعمل على زرع خلاياها في اليمن على غرار ما يسمى حزب الله في لبنان، ومحاولة نسج خيوطها للتآمر على الزيدية، فقد قال الوادعي محذرًا ومنذرًا من هذا الغزو الإيراني الباطني لليمن في مقابلة أجرتها معه مجلة المجلة: «إن التشيع في اليمن قد مات، ولكن إيران تريد إحياءه بالمال».

ولم يستمع لهذا النذير والتحذير أحد، والآن نرى استقواء الحوثية بإيران، ودعم إيران لهم بالمال والسلاح، حتى أدت مساعيها ومكائدها إلى تمدد تلك البذرة الخبيثة التي تلقب بالحوثية في أنحاء اليمن، وهذا المنهج في تأسيس الخلايا هو المنهج نفسه الذي سلكته السبئية الأولى حينما زرعت أول خلية لها في الكوفة، ومنها انتشر شرها في العالم الإسلامي.

(٣) «منهاج السنة» (٣/ ٢٤٣).

» المطلب الثاني: النشأة المكانية:

أول موطن غرست فيه بذرة الرفض الخبيثة هو الكوفة[1]، وقد أقر الروافض بهذه الحقيقة فقالوا: «إن الله عز وجل عرض ولايتنا على أهل الأمصار، فلم يقبلها إلا أهل الكوفة»[2]، فالتشيع لم يجد موطنًا في بلاد الإسلام إلا في الكوفة لبعدها عن العلم وأهله، وقد كان للخلية السبئية اليهودية التي تزعمها ابن سبأ اليهودي الدور الخطير في وضع بذرة هذه النحلة في تلك البلدة، فقد كان له نشاط مبكر في الكوفة، وما غادرها حتى ترك فيها خلية تعمل على نهجه، يكاتبهم ويكاتبونه[3].

وقد لاحظ شيخ الكوفة وعالمها أبو إسحاق السبيعي (ت١٢٧هـ) التغير الذي طرأ على أهل هذه البلدة، فقد غادر الكوفة وهم على السنة، لا يشك أحد منهم في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، ولكنه حينما عاد إليها وجد فيها ما ينكر من القول بالرفض، والطعن في القيادة العليا للأمة ممثلة في خلفاء رسول الله ﷺ، فقد روى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبي العباس بن مسروق قال: حدثنا محمد بن حميد، حدثنا جرير، عن سفيان، عن عبد الله بن زياد بن جدير، قال: قدم أبو إسحاق السبيعي الكوفة، قال لنا شمر ابن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدثوا، فقال أبو إسحاق: «خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون، ويقولون، ولا والله ما أدري ما يقولون»[4].

قال محب الدين الخطيب: «هذا نص تاريخي عظيم في تحديد تطور التشيع، فإن أبا

---

(١) كما خرج الإرجاء أيضًا من الكوفة، وظهر القدر والاعتزال والتصوف من البصرة، وظهر التجهم من ناحية خراسان، وكان ظهور هذه البدع بحسب البعد عن الدار النبوية (انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٠/ ٣٠٠-٣٠١).

(٢) «بحار الأنوار» (٩٧/ ٢٥٩).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» (٤/ ٣٢٦-٣٢٧)، «عبد الله بن سبأ» د/ سليمان العودة (ص٤٩).

(٤) «المنتقى» (ص٣٦٠).

إسحاق السبيعي كان شيخ الكوفة وعالمها[١]، ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين، وعمّر حتى توفي سنة ١٢٧ هـ، وكان طفلًا في خلافة أمير المؤمنين علي، وهو يقول عن نفسه: رفعني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب يخطب، أبيض الرأس واللحية. ولو عرفنا متى فارق الكوفة، ثم عاد فزارها، لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذي كان فيه شيعة الكوفة علويين، يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبي بكر وعمر، ومتى أخذوا يفارقون عليًّا، ويخالفونه فيما كان يؤمن به، ويعلنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه صاحبي رسول الله ﷺ ووزيريه وخليفتيه على أمته في أنقى وأطهر أزمانها»[٢].

ثم ما لبث أن سرى داء الرفض من الكوفة إلى العالم الإسلامي.

(١) انظر ترجمته في: «تهذيب التهذيب» (٨/ ٦٣)، «الخلاصة» (ص٢٩١).
(٢) «حاشية المنتقى» (ص٣٦٠-٣٦١).

» المطلب الثالث: جذوره العقدية:

سرى داء الرفض الباطني وانتشر متسترًا بأقنعة مختلفة، أشهرها قناع التشيع، وهو يحمل معه وتحت مظلته ديانات شتى ونحلًا مختلفة وأهواءً متنوعة، حتى ذكر بعض العلماء المعاصرين أنه تتبع فرق التشيع فوجد عندهم كل المذاهب والأديان التي جاء الإسلام لمحاربتها(١)، وهذه حقيقة يكاد يتفق عليها المحققون من العلماء والباحثين(٢)، لأنه قد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام وأهله، وكل من احتال ليعيش في المجتمع الإسلامي بعقيدته السابقة باسم الإسلام من يهودي ونصراني ومجوسي وغيرهم.

قال الإمام أبو سعيد الدارمي: «حدثنا الزهراني أبو الربيع، قال: كان من هؤلاء الجهمية رجل، وكان الذي يظهر من رأيه الترفض وانتحال حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال رجل ممن يخالطه ويعرف مذهبه: قد علمت أنكم لا ترجعون إلى دين الإسلام ولا تعتقدونه، فما الذي حملكم على الترفض وانتحال حب علي؟ قال: إذًا أصدقك، إنَّا إنْ أظهرنا رأينا الذي نعتقده رمينا بالكفر والزندقة، وقد وجدنا أقوامًا ينتحلون حب علي ويظهرونه ثم يقعون بمن شاؤوا، ويعتقدون ما شاؤوا، ويقولون ما شاؤوا، فنسبوا إلى الترفض والتشيع، فلم نر لمذهبنا أمرًا ألطف من انتحال حب هذا الرجل، ثم نقول ما شئنا، ونعتقد ما شئنا، ونقع بمن شئنا، فلأن يقال لنا: رافضة أو شيعة، أحب إلينا من أن يقال: زنادقة كفار، وما علي عندنا أحسن حالًا من غيره ممن نقع بهم».

ثم قال الدارمي: «وصدق هذا الرجل فيما عبر عن نفسه ولم يراوغ، وقد استبان ذلك من بعض كبرائهم وبصرائهم، أنهم يستترون بالتشيع، يجعلونه تثبيتًا لكلامهم وخبطهم،

---

(١) انظر: «الوحدانية» د/ بركات عبد الفتاح (ص١٢٥).

(٢) انظر: «مختصر التحفة الاثني عشرية» (ص ٢٩٨) وما بعدها، «فجر الإسلام» أحمد أمين (ص٢٧٧)، «السيادة العربية» فلوتن (ص٨٣-٨٤).

وسلّمًا وذريعة لاصطياد الضعفاء وأهل الغفلة، ثم يبذرون بين ظهراني خبطهم بذر كفرهم وزندقتهم ليكون أنجع في قلوب الجهال وأبلغ فيهم، ولئن كان أهل الجهل في شك من أمرهم، إن أهل العلم منهم لعلى يقين، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

ولهذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن المتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم واليونان والنصارى واليهود وغيرهم أمورًا مزجوها بالتشيع، وذكر أن هذا تصديق لما أخبر به النبي ﷺ في أن هذه الأمة ستركب سنن من كان قبلها[٢]، وقال بأن هذا بعينه صار في المتسبين للتشيع[٣].

لقد تجلى الأثر اليهودي في نحلة التشيع من خلال أصلين:

الأولى: أن المؤسس الأول وهو ابن سبأ كان يهوديًا.

الثانية: التشابه في أسس الاعتقاد بين الروافض واليهود، ولهذا أشار القمي والنوبختي والكشي - وهم من شيوخ الشيعة القدامى - إلى هذه الحقيقة حينما استعرضوا آراء ابن سبأ، كالنص والوصية والرجعة، والتي أصبحت فيما بعد من أصول الشيعة، فقالوا: «فمن هنا قال من خالف الشيعة: إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية»[٤].

كما نجد جذور الديانة الفارسية المجوسية في أصول العقائد الرافضية ظاهرة، ولذا قال الشيخ أبو زهرة: «إنا نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك والوراثة،

---

(١) «الرد على الجهمية» للدارمي (ص: ٢٠٦-٢٠٧).

(٢) انظر الأحاديث في ذلك في: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» رقم [٧٣٢٠]، وصحيح مسلم، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» رقم [٢٦٦٩]، والمسند (٢/ ١٤٧).

(٣) «منهاج السنة» (٨/ ١٥).

(٤) انظر: «المقالات والفرق» للقمي (ص٢٠)، «فرق الشيعة» للنوبختي (ص٢٢)، «رجال الكشي» (ص١٠٨).

والتشابه بين مذهبهم ونظام الملك الفارسي واضح، ويزكي هذا أن أكثر أهل فارس من الشيعة، وأن الشيعة الأولين كانوا من فارس»[(١)]، وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى التقديس، فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي وذريته[(٢)]، كما تجد تعظيم الرافضة لكل ما هو فارسي، فالإمامة في ولد الحسين، لا لأنهم أولاد الحسين، ولكن لأن أمهم هي ابنة يزدجرد القائد الفارسي، لأنهم رأوا في أولادها من الحسين وارثين لملوكهم الأقدمين، ورأوا أن الدم الذي يجري في عروق علي بن الحسين وفي أولاده دم إيراني من قبل أمه ابنة يزدجرد، والذي هو من سلالة الملوك الساسانيين المقدسين عندهم[(٣)]، ولهذا لم يقولوا بإمامة أولاد الحسن وهو أفضل من الحسين[(٤)] - رضي الله عنهما -، وعظموا سلمان الفارسي رضي الله عنه وغلَوا فيه حتى بلغوا به مرتبة النبوة[(٥)]، بل رفعوه إلى مقام الألوهية، قال الأشعري: «وقد قال في عصرنا هذا قائلون بألوهية سلمان الفارسي رضي الله عنه»[(٦)]، كما نجد

---

(١) «تاريخ المذاهب الإسلامية» (١/ ٣٨).

(٢) ينظر: «فجر الإسلام» (ص٢٧٧)، «دراسات في الفرق» عرفان عبد الحميد (ص٢٣)، «أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام» فلهوزن (ص١٦٨)، «السيادة العربية» فلوتن (ص٧٦).

(٣) ينظر: «أصول مذهب الشيعة» (١/ ٩٨-٩٩)، «الزندقة والشعوبية» سميرة الليثي ص٥٦، «وجاء دور المجوس» عبد الله الغريب، ص٧٧، «نشأة الفكر الفلسفي» ٢/ ١١١، «المهدي والمهدوية» ص٨٢، «عقيدة الشيعة» ونلدسن، ص١٥١.

(٤) الحسن أفضل من الحسين، وكلاهما سيدا شباب أهل الجنة؛ وريحانتا رسول الله ﷺ، أما وجه أفضلية الحسن، فيدل عليه قوله ﷺ عن الحسن: «إن ابني هذا سيد...»، والحديث رواه البخاري في كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي - رضي الله عنهما -: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين» ٣/ ١٦٩، وأبو داود، كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الفتنة ٥/ ٤٨ (ح٤٦٦٢)، والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام ٥/ ٦٥٨ (ح٣٧٧٣)، والنسائي، كتاب الجمعة، باب مخاطبة الإمام رعيته وهو على المنبر ٣/ ١٠٧، وأحمد ٥/ ٣٧-٣٨، ٤٤، ٤٩، ٥١.

(٥) انظر أمثلة لذلك في: «رجال الكشي» (ص٦-٧، ١٦، ١٩).

(٦) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٨٠).

نصوص الغلو في سلمان ﵁ في المصادر المعتمدة لدى الشيعة إلى اليوم، فمن ذلك ما جاء في أخبارهم: «أن سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمنًا، ومن أنكره كان كافرًا»[(١)]، كما أثبتت رواياتهم بأن سلمان «يبعث الله إليه ملكًا ينقر في أذنه يقول: كيت وكيت»[(٢)]، وعن الحسن عن منصور قال: قلت للصادق - عليه السلام -: «أكان سلمان محدثًا؟ قال: نعم. قلت: من يحدثه؟ قال: ملك كريم. قلت: إذا كان سلمان كذا فصاحبه أي شيء هو؟ قال: أقبل على شأنك»[(٣)]. فهي تثبت الوحي لسلمان وتوحي بأن صاحبه وهو عليٌّ فوق ذلك؟! بل أثبتت أخبارهم لسلمان علم الأئمة والأنبياء، كما جعلت له أمر الإمام والنبي، فقالت: «... سلمان أدرك علم الأول وعلم الآخر» ثم فسرت ذلك، فقالت: «يعني علم النبي ﷺ، وعلم عليٍّ، وأمر النبي ﷺ، وأمر علي»[(٤)].

وجاء في رواياتهم أن سلمان أحد الشيعة الذين بهم - كما يفترون - «ترزقون، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون»[(٥)]. وهذا الغلو في سلمان ﵁، لا لأنه سلمان الصحابي، بل لأنه من أصل فارسي.

بل عظَّموا بعض العناصر الفارسية التي شاركت في التآمر والكيد ضد دولة الخلافة الراشدة، وهو أبو لؤلؤة الفارسي المجوسي قاتل الخليفة العظيم عمر بن الخطاب ﵁ حتى لقبوه بلقب (بابا شجاع الدين)[(٦)]، ووضعوا على قبره المزعوم قبة يقدسونها في إيران إلى اليوم، وإذا ذكروه ترضوا عنه وعظموه؛ لقيامه بتنفيذ الجريمة الكبرى وهي قتل الفاروق

---

(١) «رجال الكشي» (ص١٥).
(٢) «رجال الكشي» (ص١٦).
(٣) «رجال الكشي» (ص١٩).
(٤) «رجال الكشي» (ص١٦).
(٥) «رجال الكشي» (ص ٦-٧).
(٦) «الكنى والألقاب» عباس القمي (٢/ ٥٥).

عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي لم يَفْرِ في الإسلام فريه أحد[١]، وقد عدوا يوم مقتل عمر رضي الله عنه بيد هذا المجوسي عيدًا من أعيادهم[٢]، كما قدسوا أعياد ومناسبات المجوس، كيوم النيروز، وجعلوه عيدًا كفعل الفرس المجوس[٣]، مع اعترافهم بأنه من أعياد الفرس[٤].

وهكذا تختفي خلف التشيع شتى المذاهب والنحل والاتجاهات والتيارات المعادية للإسلام والمسلمين.

---

(١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «رأيت الناس مجتمعين في صعيد، فقام أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين، وفي بعض نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم أخذها عمر فاستحالت بيده غربًا، فلم أر عبقريًّا في الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن» (أخرجه البخاري ٣٦٣٣، ومسلم ٢٣٩٣).

(٢) انظر: «الأنوار النعمانية» الجزائري (١/ ١٠٨).

(٣) انظر: «مقتبس الأثر» الأعلمي (٢٩/ ٢٠٢ ٢٠٣)، «بحار الأنوار» باب عمل يوم النيروز (٩٨/ ٤١٩)، «وسائل الشيعة» باب استحباب صوم يوم النيروز والغسل فيه ولبس أنظف الثياب والطيب، (٧/ ٣٤٦).

(٤) انظر: «بحار الأنوار» (٤٨/ ١٠٨).

المبحث الثالث: فرق الغزو الباطني



» المطلب الأول: كثرة فرقهم:

الفرق المنتسبة للتشيع كثيرة جدًّا، والذي يعنينا منها هم باطنية الرافضة، وبالخصوص طائفة الاثني عشرية التي تلقب في عصرنا بالشيعة، والتي تعمل على احتواء كل الفرق المنتسبة للتشيع مهما بلغ غلوها وتطرفها، وهذه الفرق تظهر بوجوه متغيرة وأسماء متنوعة، ودعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان، ولقب بكل مكان، وأساليب مختلفة باختلاف الزمان والمكان والإنسان. ويذكر المسعودي المتوفى سنة (٤٣٦هـ) وهو شيعي أن فرق الشيعة في عصره بلغت ثلاثًا وسبعين فرقة[١]، ويزعم الرافضي مير باقر الداماد[٢] أن الفرق المذكورة في حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة هي فرق الشيعة، وأن الناجية منها هي طائفته، طائفة الإمامية[٣]. وأما أهل السنة والمعتزلة والخوارج وغيرهم من سائر الفرق فجعلهم من أمة الدعوة أي ليسوا من أمة الإجابة، فهم في اعتقاده لم يدخلوا في الإسلام أصلًا، وهذه المقالة قد قالها الشيعة من قبل، وأشار إلى ذلك الشهرستاني[٤]، والرازي[٥]. وقد ورد في «دائرة المعارف» أنه ظهر من فروع الفرق الشيعية ما يزيد كثيرًا عن الفرق الاثنتين والسبعين فرقة المشهورة[٦]، بينما يذكر المقريزي أن فرق الشيعة بلغت ثلاثمائة فرقة[٧]. أما كتب الشيعة في الفرق فتذكر افتراقهم

---

(١) «مروج الذهب» (٣/ ٢٢١)، وانظر: «اعتقادات فرق المسلمين» (ص٨٥).

(٢) من شيوخ الدولة الصفوية توفي سنة (١٠٤هـ) فترجم له في «الكنى والألقاب» للقمي (٢/ ٢٠٦).

(٣) انظر: «التعليقات على شرح الدواني للعقائد العضدية» ضمن كتاب الأعمال الكاملة للأفغاني (١/ ٢١٥).

(٤) انظر: «الملل والنحل» (١/ ١٦٥).

(٥) انظر: «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (ص٨٥).

(٦) «دائرة المعارف الإسلامية» (١٤/ ٦٧).

(٧) «الخطط» (٢/ ٣٥١).

عند موت كل إمام ممن يدعون إمامته، وقد تتبعت ما ذكروه في كتب الفرق عندهم، فبلغت ما يربو على ستين فرقة[1].

أما في كتب الرواية عندهم فإن الكليني في «الكافي» يذكر رواية تجعل فرق الشيعة ثلاث عشرة فرقة كلها في النار إلا واحدة[2].

لكن تذكر بعض أخبارهم المهمة، والتي هي فيما يبدو على درجة عالية من السرية أن هذا الاختلاف أمر مقصود، وخطة موضوعة لخداع أهل السنة، وللعمل على إخفاء حقيقة المذهب عن عموم المسلمين، ولذلك لما شكا أحدهم لإمامه كثرة اختلافهم قال: «ذلك من عندنا، لو اجتمعتم على شيء لصدقكم الناس علينا»[3]، وقد علق شارح الكافي على هذا اللون من نصوصهم قائلًا: «إن اختلاف كلمتهم أصلح لهم وأنفع لبقائهم، إذ لو اتفقوا لعرفوا بالتشيع وصار ذلك سببًا لقتلهم»[4].

وهذا النص وإن كان محاولة لستر افتراقهم وتشتتهم الذي يدل على أنهم ليسوا على شيء، لكنه من جهة أخرى يكشف أسلوبًا خطيرًا لسلوكهم، وهو التظاهر باختلاف أقوالهم ومواقفهم لإخفاء حقيقة دينهم.

فاختلاف فرقهم وتباين أقوالهم وتعدد مواقفهم أمر مقصود؛ وذلك لإخفاء حقيقة المذهب الذي تواصَوا بكتمانه، فقالوا: «إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله

---

(١) كما في كتاب «فرق الشيعة» للنوبختي، و«المقالات والفرق» للقمي، وهما الكتابان الباقيان من كتب الفرق عند الاثني عشرية - كما يقولون -.

(٢) «أصول الكافي» (المطبوع على هامش مرآة العقول) (٤/ ٣٤٤)، وقد حكم المجلسي على هذه الرواية حسب مقاييس طائفة الأصولية عندهم بأنها ترتقي إلى درجة الحسن (مرآة العقول ٤/ ٣٤٤).

(٣) «المصدر السابق» الموضع نفسه.

(٤) «شرح جامع على الكافي» للمازندراني (٢/ ٣٩٧).

الله»[1]، كما اتفقوا على التظاهر أمام الآخرين بخلاف عقيدتهم الحقيقية، فقالوا: «اتقوا الله في دينكم فاحجبوه بالتقية، فإنه لا إيمان لمن لا تقية له»[2]، وهذا الاختلاف الجاري في أحاديثهم ورواياتهم، والتناقض الشائع في نصوصهم كما أنه يقصد به أحيانًا إخفاء حقيقة المذهب، فهو أيضًا طبيعة كل نحلة باطلة ليست من عند الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، فالاختلاف والتناقض من العلامات البارزة لكل نحلة باطلة، وهو من معالم الهداية في معرفة الحق من الباطل، والتمييز بين الصدق والكذب، فإن الباطل يعرف بتناقضه، والكذب يدرك باختلافه، والتناقض والاختلاف حقيقتان ثابتتان في نحلة الرافضة[3].

وقد أقر بهذه الحقيقة شيخهم الطوسي الملقب عندهم بشيخ الطائفة، وذكر أن السبب في تأليف كتابه «تهذيب الأحكام» هو «ما آلت إليه أحاديثهم من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابله ما ينافيه...»، واعترف بأن هذا الاختلاف قد فاق ما عند أصحاب المذاهب الأخرى، وأن هذا كان من أعظم الطعون على مذهبهم، وأنه جعل بعض الشيعة يترك التشيع لهذا السبب[4]، وقد اشتكى بعض شيوخهم من هذه الظاهرة وهو الفيض الكاشاني صاحب «الوافي» أحد الكتب الثمانية المعتمدة فقال عن اختلاف طائفته: «... تراهم يختلفون في المسألة الواحدة على عشرين قولًا أو ثلاثين قولًا أو أزيد؛ بل لو شئت أقول: لم تبق مسألة فرعية لم يختلفوا فيها أو في بعض متعلقاتها»[5].

---

(١) «أصول الكافي» (١/ ٢٢٢).
(٢) «الكافي» (٢/ ٢١٨).
(٣) انظر: «تناقض المذهب برهان بطلانه.. الرافضة نموذجًا» منشور بمجلة البيان (٣٤٨) .
(٤) «تهذيب الأحكام» (١/ ٣٠٢).
(٥) «الوافي» المقدمة (ص٩).

وقد عزت أيضًا بعض رواياتهم ظاهرة الاختلاف إلى كثرة الكذب على الأئمة.. فهذا الفيض بن المختار يشكو لأبي عبد الله - كما تقول روايتهم - كثرة اختلافهم ويقول: «ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟! إني لأجلس في حلقهم بالكوفة فأكاد أن أشك في اختلافهم في حديثهم. فقال أبو عبد الله: هو ما ذكرت يا فيض، إن الناس أولعوا بالكذب علينا، وإني أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا، وكل يحب أن يدعى رأسًا»[(1)].

(١) «رجال الكشي» (ص١٣٥-١٣٦)، «بحار الأنوار» (٢/ ٢٤٦).

» المطلب الثاني: فرق الشيعة المعاصرة:

الفرق المعاصرة المنتسبة للتشيع كلها باطنية رافضة باستثناء الزيدية غير الجارودية، ولن نتطرق لذكر فروع الفرق الشيعية؛ لأن منها ما قد انتهى من الوجود، ومنها ما هو داخل في فرقة من الفرق الموجودة اليوم، والذي يعنينا أن نتعرف على الفرق الشيعية المعاصرة، يقول شيخ الرافضة محسن الأمين: «والموجود اليوم من فرق الشيعة هم: الإمامية الاثنا عشرية وهم الأكثر عددًا، والزيدية، والإسماعيلية»[(١)]، ويقول د. علي سامي النشار: «وتشمل الشيعة في عصرنا الحاضر فرقًا ثلاثًا هي: الاثنا عشرية، والإسماعيلية، والزيدية»[(٢)].

أما مصطلح الرافضة فيشمل طائفتين: هما الإسماعيلية، والاثنا عشرية، وكلتا الطائفتين منبثقتان من شيعة ابن سبأ.

ولا يدخل الزيدية أتباع زيد بن علي في الروافض؛ لأن الرافضة هم امتداد للسبئية إلا أنهم دخلوا في عموم الشيعة بعد مقتل الحسين، وتظاهروا بالتشيع، ثم جاهروا بمعتقدهم أثناء خروج زيد بن علي على هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي في أحداث سنة ١٢١ أو ١٢٢ هـ؛ فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر، فترحم عليهما رفضه قوم، فقال لهم: رفضتموني، فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيديًّا؛ لانتسابهم إليه[(٣)].

ثم انقسمت الرافضة بعد ذلك، وبالتحديد سنة ١٤٨هـ بعد وفاة جعفر الصادق الذي يدعون التشيع له إلى طائفتين:

---

(١) «أعيان الشيعة»: (١/ ٢٢). وانظر: محمد المهدي شمس الدين (رافضي): «نظام الحكم والإدارة في الإسلام»: ص ٦١.
(٢) «نشأة الفكر الفلسفي»: (٢/ ١٢).
(٣) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٣٥)، وانظر: «البداية والنهاية» (١٣/ ١٠٦).

الأولى: الإسماعيلية، وقالت بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وهي التي اشتهرت تسميتها في كتب المقالات بـالباطنية.

والثانية: هي الموسوية أو القطعية، وقالت بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وهم أسلاف الاثني عشرية، والتي اشتهرت تسميتها في عصرنا بالشيعة.

فصار المنتسبون للتشيع في عصرنا ثلاث طوائف:

الأولى: الزيدية، وهم ليسوا برافضة ولا باطنية، بل هم أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة، باستثناء طائفة الجارودية أسلاف الحوثية، فهم روافض جمعوا بين زندقة الاثني عشرية وضلال الجارودية[1].

الثانية: الإسماعيلية، وهي التي إذا أطلق لقب الباطنية في كتب المقالات والفرق لا ينصرف إلا إليها في الغالب.

الثالثة: الاثنا عشرية، وهي التي تلقب في عصرنا بالشيعة، وهم - في الحقيقة - باطنية أيضًا.

---

(١) انظر: بحث «براءة الزيدية من الحوثية» المنشور بمجلة البيان (٣٣٧).

» المطلب الثالث: فرق الاثني عشرية:

الاثنا عشرية - التي غلب إطلاق لقب (الشيعة) عليها- امتداد للشيعة الإمامية (بمعناها العام) وفصيلة من فصائلها، بل فرقة واحدة من خمس عشرة فرقة انقسمت إليها الشيعة بعد وفاة الحسن العسكري[1] سنة (٢٦٠هـ)، ومع ذلك فقد انبثق من الاثني عشرية فرق كثيرة، بحسب ما يقوله العالم العراقي محمود الملاح - وهو من المعنيين بتتبع هذه الفرقة -، حيث قال: «وفي عصرنا هذا نجد الاثني عشرية منقسمة إلى: أصولية، وأخبارية، وشيخية[2]، وكشفية[3]».

---

(١) انظر: القمي/ فرق الشيعة: ص ١٢٠ وما بعدها.

(٢) الشيخية: وقد يقال لها: الأحمدية، هم أتباع الشيخ أحمد الأحسائي المولود سنة ١١٦٦هـ، والمتوفى سنة ١٢٤١هـ، وهو من شيوخ الاثني عشرية.

وقد قال الآلوسي - رحمه الله - (عن الأحسائي وأتباعه): «ترشح كلماتهم بأنهم يعتقدون في أمير المؤمنين علي على نحو ما يعتقده الفلاسفة في العقل الأول»، كما نسب إليه القول بالحلول، وتأليه الأئمة، وإنكار المعاد الجسماني، وأن من أصول الدين الاعتقاد بالرجل الكامل وهو المتمثل في شخصه. وقد اختلف الشيعة الاثنا عشرية في شأنه بين مادح كالخوانساري في روضات الجنات: ١/ ٩٤، وقادح مثل محمد مهدي القزويني في كتابه: ظهور الحقيقة على فرقة الشيخية، ومتوقف مثل علي البلادي في أنوار البدرين ص ٤٠٨، ومنهم من زعم التوسط في شأنه فقال: «..اختلف الناس فيه بين من يقول بركنيته وبين من يقول بكفره، والتوسط خير الأمور، والحق أنه من أكابر علماء الإمامية» - ثم امتدحه بجملة كلمات - إلى أن قال: «نعم له كلمات في مؤلفاته بجملة -كذا- متشابهة لا يجوز من أجلها التهجم والجرأة على تكفيره». (محمد حسين آل كاشف الغطا/ (حاشية) المصدر السابق ص ٤٠٨-٤٠٩). وهذا الاختلاف قد يدل على أن الكثير من الاثني عشرية تهون عندهم موبقات هذا الرجل وضلالاته. (انظر في مذهب الشيخية: الآلوسي/ نهج السلامة: ص ١٨-١٩(مخطوط)، مختصر التحفة: ص ٢٢، الأعلمي الحائري/ مقتبس الأثر: ٢٠/ ١٣٦، محمد حسن آل الطلقاني/ الشيخية نشأتها وتطورها، مجلة العرفان مجلد ٣٣، ص ١٩٩، أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٠، محسن عبد الحميد/ حقيقة البابية والبهائية ص :٣٦، مصطفى عمران/ تهافت البابية والبهائية ص ٣٤، جولد تسيهر/ العقيدة والشريعة: ص٢٧٠، مبارك إسماعيل/ التيارات الفكرية ص ١١٠).

(٣) الكشفية: هم أصحاب كاظم بن قاسم الرشتي المتوفى سنة ١٢٥٩هـ، تلميذ الأحسائي (مؤسس=

وركنية[١]، وكريمخانية[٢]، وقزلباشية[٣]، وكلها داخلة في المجموعة الاثني عشرية،

=الشيخية) والقائم مقامه من بعده، والآخذ بنهجه مع زيادة في الغلو والتطرف، وسميت بالكشفية لما ينسب إلى زعيمها من دعوى الكشف والإلهام. يقول الشيخ الآلوسي عن الكشفية: «الكشفية لقب لقبهم به بعض وزراء الزوراء (علي رضا باشا) أعلى الله درجته، وهم أصحاب السيد كاظم الحسيني الرشتي وهو تلميذ الأحسائي وخريجه، لكن خالفه في بعض المسائل، وكلماته ترشح بما هو أدهى وأمر مما ترشح به كلمات شيخه، حتى إن الاثني عشرية يعدونه من الغلاة وهو يبرأ مما تشعر به ظواهر كلماته، وقد عاشرته كثيرًا فلم أدرك منه ما يقول فيه مكفروه من علماء الاثني عشرية، نعم عنده على التحقيق غير ما عندهم في الأئمة وغيرهم مما يتعلق بالمبدأ والمعاد.. ولا أظن مخالفاته لشيخه تجعله وأصحابه القائلين بقوله فرقة غير الشيخية» (نهج السلامة ص١٩)، ومنهم من اعتبره فرقة مستقلة لتصريحه بذلك في قوله في كتابه (دليل الحيران ص ١٣٦) : «هذا مسلك لم يسبقني إليه أحد قبلي» (انظر: آل طعمة/ مدينة الحسين ص٣٤) ولذلك يعتبره محمد حسين آل كاشف الغطا هو الذي خرج عن الجادة القويمة، وزاغ زيغًا عظيمًا، وأنه أدخل على الشيعة الإمامية أشد فتنة وأعظم بلية، ومنه وأتباعه نشأت بلية البابية بخلاف شيخه الإحسائي: (محمد حسين آل كاشف الغطا/ حاشية علي أنوار البدرين ص ٤٠٨-٤٠٩، وانظر في الكشفية أيضًا: مصطفى عمران/ تهافت البابية ص ٣٧- ٣٩، آل طعمة/ مدينة الحسين، وفيه بحث مطول عن الكشفية من كتب زعيمها وتلامذته ص ٢٤ وما بعدها، عبد الرزاق الحسين / البابيون والبهائيون ص ١٠).

(١) الركنية: أتباع مرزا محمد كريم بن إبراهيم خان الكرماني، من تلامذة الرشتي وعلى مذهبه، سميت بذلك؛ لقولها بالركن والشيعي الكامل، واعتباره من أصول الدين والمتمثل في شخص زعيمهم. (انظر: آل طعمة/ مدينة الحسين ص ٥٦). ومنهم من يعتبر الركنية والكشفية من ألقاب الشيخية، والجميع فرقة واحدة. (انظر: مجلة العرفان مجلد ٣٣ ص١٩٩، محمد آل الطلقاني/ الشيخية ص ٢٧٤).

(٢) كريمخانية: هم أتباع محمد الفجري الكرماني كريمخان، وهو على مذهب الشيخية ولذلك قال فيه الحائري: «رئيس الطائفة الشيخية» (مقتبس الأثر: ٢٤/ ٢٧٤-٢٧٥).

(٣) القزلباشية: هم صوفية متشيعة من أتباع الصفويين، ولفظ القزلباش معناه الرؤوس الحمر - باللغة التركية -، لتغطية رؤوسهم بشعار أحمر، وهو عبارة عن قنلسوة يلبسونها شعاراً لهم، وقد وصفها بعضهم بقوله: «لقد أمر حيدر بن جنيد الصفوي أتباعه بأن ترتفع من وسط عمامتهم، ذات الأكوار العديدة قطعة مدببة على هيئة الهرم مقسمة من قمتها إلى أطرافها إلى اثنتي عشرة شقة تذكر بعلي وأبنائه الاثني عشر، ومن هنا سمي الصوفية من أتباع الصفويين بالقزلباش اتصالًا بهذا الشعار الاثني عشري الأحمر». وقد زعم محسن الأمين أن القزلباش لقب للاثني عشرية في بعض البلدان، ولعله أراد التستر على كثرة فرق طائفته وانقساماتها كعادته.

(انظر: مصطفى الشيبي/ الفكر الشيعي: ص٤٠٥-٤٠٦، أعيان الشيعة: ١/ ٢٣، ٢٤).

وأصولها مبثوثة في كتب الاثني عشرية، وهي بعد هذا يكفر بعضها بعضًا»[1]. وزاد بعض الباحثين من الشيعة[2] أسماء أخرى هي: القرتية[3]، والبابية[4]، والكوهرية[5]، وزاد بعضهم أيضًا النوربخشية[6]، ثم إنه كما يقول الآلوسي: «ولا يبعد أن تظهر فرق

---

(١) الآراء الصريحة: ص٨١.

(٢) آل طعمة/ مدينة الحسين: ص٥٥-٥٦.

(٣) القرتية: أصحاب امرأة اسمها هند، وكنيتها أم سلمة، ولقبها قرة العين، لقبها بذلك كاظم الرشتي في مراسلاته، إذ كانت من أصحابه، وهي ممن قلدت الباب بعد موت الرشتي، ثم خالفته في عدة أشياء منها: التكاليف، فقيل: إنها كانت تقول بحل الفروج ورفع التكاليف بالكلية. قال الآلوسي (أبو الثنا): «وأنا لم أحس منها بشيء من ذلك مع أنها حبست في بيتي نحو شهرين.. والذي تحقق عندي أن البابية والقرتية طائفة تعتقد في الأئمة نحو اعتقاد الكشفية فيهم، ويزعمون انتهاء التكليف بالصلوات الخمس وأن الوحي غير منقطع» (نهج السلامة: ص٢١، وانظر عن القرتية: آل طعمة/ مدينة الحسين ص٥٦، ٢٣٩، وما بعدها، وغالب الكتب التي ألفت في البابية تحدثت عن هذه المرأة وأتباعها.

(٤) البابية: أتباع الباب ميرزا علي محمد الشيرازي ١٢٣٥-١٢٦٥هـ، وهو من الإمامية الاثني عشرية، ادعى أنه الباب للإمام الذي ينتظرونه، وأنه وحده الناطق عنه، ثم ادعى أنه هو إمامهم الغائب، ثم زعم أن الله - سبحانه - قد حل فيه، وله ضروب من الكفر والضلال. (انظر في مذهب البابية: محسن عبد الحميد/ حقيقة البابية والبهائية، مصطفى عمران/ تهافت البابية والبهائية، محمود الملاح/ البابية والبهائية، إحسان إلهي ظهير/ البابية).

(٥) الكوهرية: هم أتباع الآخوند ملا حسن كوهر المروجون لنحلته في كربلاء حتى اليوم (آل طعمة/ مدينة الحسين: ص ٥٥) وكان للكشفية أثر بليغ في ظهورها (المصدر السابق ص ٢٣٩) يؤلهون الأئمة ويقولون بنفي العقاب عن مرتكب المعاصي (انظر: المصدر السابق ص ٥٣-٥٤).

(٦) النوربخشية: نسبة إلى محمد نوربخش القوهستاني يكنى بأبي القاسم (المولود سنة ٧٩٥هـ، والمتوفى سنة ٨٦٩هـ) يدعي الاثنا عشرية أنها فرقة من فرقهم، وهي توجد في وديان هملايا، وكوهستان بلتستان المتصلة بتبت الصينية، وقد ادعى المهدية لنفسه، وطبق الأحاديث الواردة عن طريق أهل السنة في اسم المهدي وكنيته على شخصه، وأنكر مهدي الشيعة وانفصل عنها، وبهذا رأى بعضهم أنه ليس من فرق الاثني عشرية، بل هو من الصوفية أصحاب وحدة الوجود. (إحسان إلهي ظهير/ الشيعة ص: ٣١٦).

ولكن لا يمنع هذا أن يكون من الاثني عشرية في الأصل وادعى دعوى المهدية، وأخذ بروايات أهل السنة لانطباقها عليه، لأنه كان يقول بالأئمة الاثني عشر، ولهذا اكتفى في يوم بيعته بالمهدية بقبول=

أخرى من الإمامية بعد»[1] نسأل الله تعالى العافية.

ومن خلال تتبعي لنصوص الاثني عشرية التي تنسبها للأئمة وترويها في كتبها المعتمدة وجدت أنها تحمل في ثناياها بذور نحل مختلفة وأهواء متباينة، يجد فيها كل صاحب هوى وغلو وبدعة، بغيته ومرامه... فهي قد اتسعت بحكم معتقد التقية، وكثرة الكذب والافتراء على الأئمة، وانضواء الملحدين والمتآمرين في صفوفهم، وعجز شيوخ الشيعة عن تنقية المذهب مما علق به من كيد الملحدين عبر القرون، وفقدان الموازين الصحيحة الثابتة لتمحيص الروايات وتحقيقها، اتسعت بسبب ذلك وغيره لاحتواء تلك البذور السامة وذلك الركام الهائل من الأخبار المظلمة.

أما الحديث المفصل عن كل فرقة بذاتها فهذا موضوع يطول الحديث فيه.

ولعلنا نكتفي بالحديث عن افتراق الاثني عشرية إلى أصولية وأخبارية؛ لأن الأصولية هي أساس المذهب الاثني عشري، وتمثل الأكثرية، ويقابلها الأخبارية، وإن كانت أقل منها.

كما أن الخلاف الأصولي الأخباري يمثل خلافًا في بنية المذهب الاثني عشري، فهو خلاف بين رجال الاثني عشرية الذين جمعوا تراث المذهب الاثني عشري؛ فتجد الحر العاملي صاحب وسائل الشيعة، والكاشاني صاحب الوافي، والنوري الطبرسي صاحب مستدرك الوسائل كلهم أخبارية مع أنهم مصنفو مصادرهم المعتمدة في الرواية عندهم. بل يعتبرون ابن بابويه صاحب «من لا يحضره الفقيه» أحد مصادرهم الأربعة المتقدمة

=اثني عشر تيمناً بعدد الأئمة (الشيبي/ الفكر الشيعي: ص ٣٣٢).

كما زار - عندما قدم العراق - العتبات الشيعية المقدسة عندهم (المصدر السابق ص ٣٣٣)، أما المنزع الصوفي فإن الصلة بين التصوف والتشيع قائمة ووثيقة. (انظر في مذهب هذه الطائفة: الشيعة والتشيع: ص ٣١٤، مصطفى الشيبي/ الشيعية: ص ٣٢٨ وما بعدها).

(١) أبو الثناء الآلوسي/ نهج السلامة: ص٢٢.

هو رئيس الأخباريين[1]، ويقابلهم الطوسي صاحب الاستبصار والتهذيب، والمرتضى المنسوب له (أو لأخيه) نهج البلاغة وغيرهما، وهما من الأصوليين.

فإذن الخلاف بين الأصوليين والأخباريين هو خلاف بين أركان المذهب ومشيدي بنائه، فلنتوقف للتعريف بهاتين الفرقتين:

فالأخباريون يمنعون الاجتهاد، ويعملون بأخبارهم، ويرون أن ما في كتب الأخبار الأربعة عند الشيعة[2] كلها صحيحة قطعية الصدور عن الأئمة، ويقتصرون على الكتاب والخبر، ولذلك عرفوا بالأخبارية نسبة إلى الأخبار، وينكرون الإجماع (ودليل العقل)[3]، ولا يرون حاجة إلى تعلم أصول الفقه، ولا يرون صحته. ويقابلهم الأصوليون أو المجتهدون، وهم القائلون بالاجتهاد، وبأن أدلة الأحكام الكتاب والسنة والإجماع ودليل العقل، ولا يحكمون بصحة كل ما في الكتب الأربعة.. ويمثلون الأكثرية[4].

لكن شيخهم الأنصاري يكشف - حسب ما ينقله عن محققهم غلام رضا القمي - أن الأخباريين لا يعتمدون في الأدلة الشرعية إلا على أخبار الشيعة فقط، ويقبلونها على علاتها بلا تفريق بين صحيحها وسقيمها. يقول ما نصه: «ويعجبني في بيان وجه تسمية هذه الفرقة (الأخباريين) المرموقة بالأخبارية وهو أحد أمرين:

---

(١) انظر: الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة: ص ٤، كما أنك تلاحظ أن من شيوخ الأخبارية من ظهر واشتهر عندهم كمحمد حسين آل كاشف الغطا صاحب أصل الشيعة وأصولها، وأيضًا تلاحظ كثرة الأخبارين في بعض الجهات مثل البحرين..، كما أن من كبار شيوخ الطائفة الأصولية الذين يمثلون الكثرة الغالبة.. محسن الحكيم، وشريعت مداري، والخوئي، والخميني وغيرهم.

(٢) وهي: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه.

(٣) انظر: العقل عند الشيعة الإمامية، رشدي عليان.

(٤) انظر: حسن الأمين/ دائرة المعارف: ص ١٠٧، عز الدين/ بحر العلوم/ التقليد في الشريعة: ص ٩٢، فرج العمران/ الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة: ص ١٩.

الأول: كونهم عاملين بتمام الأقسام من الأخبار من الصحيح والحسن والموثق والضعيف من غير أن يفرقوا بينها في مقام العمل في قبال المجتهدين.

الثاني: أنهم لما أنكروا الأدلة الثلاثة بما فيها القرآن الكريم، وخصوا الدليل بالواحد منها، أعني الأخبار فلذلك سموا بالاسم المذكور»[(١)].

فهم هنا استجابوا لأساطيرهم التي تقول بنقص القرآن فأعرضوا عن كتاب الله في مقام الاحتجاج، واعتمدوا على تلك الأساطير، فهم بهذا أخرجوا أنفسهم عن دائرة الإسلام، ومع ذلك فإن جملة من شيوخ الشيعة تدعي مع هذا الكفر البواح الذي أعلنته طائفة الأخبارية أن الخلاف بين الأصوليين والأخباريين «يقتصر على بعض الوجوه البسيطة ككل خلاف يحدث بين أبناء الطائفة الواحدة تبعًا لاختلاف الرأي والنظر»[(٢)].

وقال صاحب «الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة»: «إني بحسب تتبعي وفحصي كتب الأصوليين والأخباريين لم أجد فرقًا بين هاتين الطائفتين إلا في بعض الأمور الجزئية التي لا توجب تشنيعًا ولا قدحًا»[(٣)].

فهل هم إذن وجهان لعملة واحدة؟!

لقد حاول بعض الشيعة المعاصرين أن يخفف من وقع الكلمة السابقة حول عملهم بالأخبار وردهم للقرآن، فقال: «كيف ينكر الأخباريون وهم من المسلمين دليلية الكتاب!؟»[(٤)]، ثم التمس لذلك مخرجًا بما ذكره شيخهم الاسترابادي من «أن القرآن

---

(١) القلائد على الفرائد، حاشية على رسائل الشيخ الأنصاري، مبحث حجية القطع. انظر: التقليد في الشريعة الإسلامية: ص ٩٣.

(٢) التقليد: ص ٩٢، وانظر: البحراني/ الحدائق ١/ ١٦٩-١٧٠.

(٣) فرج العمران/ الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة ص: ٢-٣.

(٤) عز الدين/ التقليد: ص ٩٣.

ورد على وجه التعمية بالنسبة إلى أذهان الرعية»[١]، فلا يجوز فهمه والعمل به إلا بمقتضى أخبارهم[٢].

فكأن نهاية القولين واحدة، لأن أخبارهم قد حرفت معاني القرآن، وصرفتها عن مدلولها، ولا سيما أن هذه الطائفة لا تفرق بين صحيح الأخبار وباطلها.

أما بداية افتراق الاثني عشرية إلى: أخبارية، وأصولية، فيذكر البحراني أن شيخهم محمد أمين الاستراباذي المتوفى سنة ١٠٣٣هـ هو أول من فتح باب الطعن على المجتهدين، وتقسيم الفرقة.. إلى أخباري ومجتهد»[٣].

ومنهم من يذكر أنه أقدم من ذلك، وأن الاستراباذي هو الذي جدده[٤].

هذا وقد جرى بين هاتين الفرقتين ردود ومنازعات وتكفير وتشنيع حتى إن بعضهم يفتي بتحريم الصلاة خلف البعض الآخر[٥]، وكان من شيوخ طائفة الأخبارية من لا يلمس مؤلفات الأصوليين بيده تحاشياً من نجاستها، وإنما يقبضها من وراء ملابسه[٦].

وقد كفر الاستراباذي (الأخباري) بعض الأصوليين ونسبهم إلى تخريب الدين[٧] - على حد تعبيره - كما نسب الكاشاني (الأخباري) صاحب الوافي - أحد مصادرهم الثمانية - جمعًا من علمائهم إلى الكفر[٨]، ورد عليه بعضهم بأن له من المقالات التي جرى

(١) الفوائد المدنية: ص٤٧-٤٨، التقليد ص ٩٤، الحدائق: ١/ ١٦٩.
(٢) الفوائد المدنية: ص٤٧-٤٨، التقليد ص ٩٤، الحدائق: ١/ ١٦٩.
(٣) انظر: لؤلؤة البحرين/ للبحراني: ص١١٧.
(٤) انظر: الأصوليون والأخباريون فرقة واحدة: ص ٤.
(٥) انظر: محمد جواد مغنية/ مع علماء النجف: ص ٧٤.
(٦) محمد آل الطلقاني/ الشيخة: ص ٩.
(٧) انظر: لؤلؤة البحرين/ للبحراني: ص ١١٨.
(٨) انظر: لؤلؤة البحرين/ للبحراني: ص ١٢١.

فيها على مذهب الصوفية والفلاسفة ما يوجب الكفر كقوله بوحدة الوجود [١]، وهكذا يكفر بعضهم بعضًا كما كان أسلافهم من قبل، كما صورته جملة من رواياتهم مع أن الطائفتين كلتيهما من الاثني عشرية.

أما عناصر الخلاف بين الفريقين فقد ألف في شأنها شيخهم جعفر كاشف الغطا كتاباً بعنوان: «الحق المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الأخباريين» [٢] أنهى فيه عناصر الخلاف إلى ثمانين، بينما نرى شيخهم البحراني يحاول أن يقلل من مسائل الخلاف بينهما فيهبط بها ليقصرها على ثمان [٣] أو أقل [٤]؛ لأنه يرى أن هذا الخلاف يؤدي إلى القدح في شيوخ الطرفين وفتح باب الطعن والتشنيع على الشيعة [٥]. ومن بعده محسن الأمين الذي جعلها خمسًا [٦]، وصنف ثالث توسط فجعلها ثلاثًا وأربعين [٧] أو أربعين [٨] أو تسعًا وعشرين [٩].

والتقليل من الخلاف يعود إلى أنهم يرجعون بعض المسائل إلى بعض، أو يحكمون بأن الأمر فيه خلاف عند هؤلاء وهؤلاء، فلا يعتبر حينئذ خلافًا بين طرفين، أو أن الخلاف ليس بخلاف حقيقي كخلافهم حول الإجماع الذي يثبته الأصوليون وينكره الأخباريون، ولكن شيخهم البحراني يعتبر هذا ليس بخلاف ثابت؛ لأن الإجماع وإن

---

(١) وهو البحراني/ انظر لؤلؤة البحرين: ص١٢١.

(٢) طبع في طهران عام ١٣١٦هـ، انظر: الذريعة من ٧/ ٣٧-٣٨.

(٣) انظر: عز الدين بحر العلوم/ التقليد: ص ٩٥.

(٤) لأني رجعت إليها في الحدائق فلم أجده أثبت أكثر من أربعة فروق، وانظر الحدائق: ١/ ١٦٧وما بعدها.

(٥) الحدائق: ١/ ١٦٧.

(٦) انظر: أعيان الشيعة: ١٧/ ٤٥٣-٤٥٨.

(٧) وهو شيخهم عبد الله بن صالح البحراني في كتابه منية الممارسين، (انظر: الحدائق ١/ ١٦٧).

(٨) وهو شيخهم عبدالله السماهيجي (انظر: روضات الجنات ١/ ٣٦).

(٩) وهو: الخوانساري. انظر: المصدر السابق ١/ ٣٦ وما بعدها.

ذكره المجتهدون (الأصوليون) في الكتب الأصولية وعدوه في جملة الأدلة.. إلا أنك تراهم في مقام التحقيق في الكتب الاستدلالية يناقشون في ثبوته وحصوله وينازعون في تحققه ووجود مدلوله حتى يضمحل أثره بالكلية [١٠]. وليس الغرض هنا بسط مسائل الخلاف بينهم [١١] وإنما الإشارة إلى انقسام الاثني عشرية على نفسها إلى حزبين متعاديين متنازعين في أصول الاستدلال وغيرها، وإن حاول بعضهم أن يخفف من هذا، وهنا أشير إلى أن الخلاف الذي وقع بين هاتين الفرقتين من الاثني عشرية قد كشف أمورًا كثيرة من حقائق المذهب بحكم ارتفاع التقية في صولة النزاع، وما كانت لتبين لو لم يكن هذا الخلاف.

وإن دراسة واعية متأنية للخلاف بين الطرفين لتكشف الكثير من أسرار هذه النحلة.

---

(١٠) الحدائق: ١/ ١٦٨.

(١١) انظر هذه المسائل في: مقتبس الأثر للحائري: ٣/ ٢٩٦ وما بعدها، الخوانساري/ روضات الجنات: ١/ ٣٦، البحراني/ الحدائق: ١/ ١٦٧ وما بعدها، الكشكول: ٢/ ٣٨٦-٣٨٩، محمد صادق بحر العلوم/ دليل القضاء الشرعي أصوله وفروعه: ٣/ ٢٢-٢٦، محسن الأمين/ أعيان الشيعة: ١٧/ ٤٥٣-٤٥٨، عز الدين بحر العلوم/ التقليد ص: ٩٥ وما بعدها، الغريفي/ الاجتهاد والفتوى: ص ٩٩.

وقد ذكر بعضهم أن أهم النقاط التي جرى فيها الخلاف هي أربع، إحداها: تنويع الحديث إلى صحيح، وحسن، وموثق، وضعيف، حيث قرره الأصوليون ومنعه الأخباريون، والثانية: مسألة التقليد فالأصوليون لا يجوزون تقليد الميت، ولكن الأخباريين يجوزونه، وثالثها، ورابعها: الإجماع والعقل حيث قال الأصوليون بالاحتجاج بهما بعد الكتاب والسنة، ومنع من ذلك الأخباريون (انظر: الغريفي/ الاجتهاد والفتوى: ص ٩٩).



المبحث الرابع: العدوان الباطني على عقائد الأمة



أولاً: العدوان الباطني على مصادر التلقي:

» المطلب الأول: العدوان الباطني على القرآن الكريم:

حاول الباطنيون المساس بمقام القرآن العظيم، بمحاولة الاعتداء على نصه بدعوى نقصه وتحريفه، أو الاعتداء على معانيه بالتأويل الباطني، أو الاعتداء على مقام الوحي والنبوة بادعاء نزول كتب إلهية على أئمتهم تماثل القرآن وتضاهيه، بل يزيد عليه ثلاث مرات، كما يفترون. وحالهم في هذه الدعاوى كحال المتنبئين الكذابين، ولم يضروا كتاب الله، بل ارتدت محاولاتهم عليهم، وصارت فضيحة وسُبَّة لا تفارقهم، ومن بالغ كيدهم وعدوانهم على القرآن العظيم أنهم صاغوا عدوانهم على هيئة روايات نسبوها زورًا لبعض آل البيت علها تحظى بالقبول، وتروج على السذج والدهماء، ثم تحولت إلى معتقدات أصبحت دينًا مستقلًّا يسمونه (دين الإمامية).

وسأبين هذا العدوان من خلال ما يفترونه حول نص القرآن وحجيته ومعانيه، ودعواهم تنزل كتب إلهية تضاهيه، وذلك فيما يلي:

المسألة الأولى: محاولة العدوان والافتراء على النص القرآني:

أجمعت الأُمة على حفظ الله لكتابه العظيم، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو حجة الله الخالدة ومعجزة نبيه الكبرى، وقد تكفل الله سبحانه بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وتحدى به الناس جميعًا، فمن حاول المساس به والنيل من قدسيته فإنه بعيد عن الإسلام وإن تسمى به، وإنه يجب كشفه لتعرف الأُمة عداوته؛ لأنه يحارب الإسلام في أصله العظيم وركنه المتين، فلم توجد هذه الفرية إلا في مصادر الرافضة، وقد كشفت حقيقتهم وأماطت اللثام عن تشيعهم الكاذب، وأصبحت فريتهم عارًا عليهم، فراحوا ينكرونها بكل وسيلة، ولكن مصادرهم التي تحوي هذا الكفر وأصحابها الذين يجاهرون به لا يزالون محل تقديس وتعظيم منهم.

إن دعوى تحريف القرآن هي محاولة يائسة من أعداء المسلمين تستهدف الطعن في دينهم وقرآنهم، ذلك أنهم حين لم يستطيعوا أن يحدثوا في كتاب الله أمرًا لأنه فوق مناهم، وكانت سهامهم التي تصوب إليه ترتد إلى صدورهم، حينذاك ادَّعَوا أنَّ في كتاب الله نقصًا وتحريفًا، وما أسهل الادعاء الكاذب من حاقد موتور! وما كان لهذا الادعاء وجود حتى نبتت نابتة الرافضة، وقام دينها على أسس ومبادئ ليس لها في كتاب الله ذكر وبيان، فلم يكن لها من بدٍّ إذا أرادت إقامة مذهبها إلا الطعن في القرآن ذاته.

وتقوم فريتهم على القول بأن هذا القرآن ناقص ومحرف، وأن القرآن الكامل عند علي ابن أبي طالب، ثم أورثه الأئمة من بعده، وهو اليوم عند مهديِّهم المنتظر.

وقد ابتدأ الروافض القول بهذه الفرية (تحريف القرآن) في القرن الثاني، ونسبت إلى شيخهم هشام بن الحكم (ت١٧٩، وقيل: ١٩٠هـ)، وشيطان الطاق محمد بن علي بن النعمان أبي جعفر الأحول (ت١٦٠هـ)، وكان من أسباب نشأتها أنهم لم يجدوا ما يقنعون به أتباعهم على ما يدَّعون، وذلك لخلوِّ كتاب الله من النص على أئمتهم وذكر عقائدهم، كقولهم بأن إمامة الاثني عشر أعظم أركان الدين، والوقيعة في أصحاب سيد المرسلين ﷺ وإحياء نحلة المشركين.

وقد سجلت هذه المقالة في أول كتاب ظهر لهم وهو الذي يسمونه (أبجد الشيعة)، وهو كتاب سليم بن قيس، والذي كشف بعض شيوخهم عن أمره، وأنه موضوع، ومؤلفه مجهول.

ثم شاعت هذه الأسطورة في مصادرهم لتبقى برهانًا على كذبها، وعارًا على أصحابها، ودليلًا على كفر واضعيها، وشاهدًا على زندقة من يؤمن بها، ويتلقى دينه عن أهلها.

يقول شيخهم نعمة الله الجزائري معترفًا بفشو هذه الأسطورة في مصادرهم: «الأخبار مستفيضة، بل متواترة، والتي تدل بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلامًا ومادة وإعرابًا»(١).

ويقول شيخهم المجلسي: «وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنًى، وطرْح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأسًا، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا تقصر عن أخبار الإمامة»(٢). وقد علق على ذلك موسى جار الله بقوله: «ولقد أصاب في قوله وفي اعترافه العلامة المجلسي، نعم التحريف الذي تدعيه كتب الشيعة لم يقع، ورجعة جماعةٍ من أولياء الله وأعدائه لأجل الانتقام من الأموية لن تقع»(٣).

وقال شيخهم المفيد: «إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان»(٤)، ويقول عالمهم الطبرسي عن أخبارهم في الطعن في القرآن: «وهي كثيرة جدًّا حتى قال السيد نعمة الله الجزائري في بعض مؤلفاته كما حكي عنه: إن الأخبار الدالة على ذلك تزيد على ألفي حديث»(٥)، وقال ثقتهم محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١): «وإسقاط بعض القرآن وتحريفه ثبت من طرقنا بالتواتر معنًى، كما يظهر لمن تأمل في كتب الأحاديث من أولها إلى آخرها»(٦).

وقد حاول هؤلاء الروافض التستر على هذا الكفر البواح بعد ظهور هذه المقالة التي لا تجعل لمن يؤمن بها في الإسلام نصيبًا، ففي القرن الرابع بعد أن انكشف أمرهم،

(١) الأنوار النعمانية (٢/ ٣٥٧).
(٢) «مرآة العقول» (٢/ ٥٣٦).
(٣) «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة» (ص: ١٥٣).
(٤) «أوائل المقالات» ص ٩٨.
(٥) «فصل الخطاب»: ص ١٢٥ (مخطوط).
(٦) «شرح جامع الكافي» (١١/ ٧٦).

وظهرت زندقتهم ورمتهم الأمة عن قوس واحدة، وكفروهم لسقوطهم في هذه الهاوية الشنيعة، أعلن كبيرهم (ابن بابويه) براءة الشيعة من هذه العقيدة، وأن من نسب إليهم ذلك فهو كاذب، وتبعه ابن المرتضى، والطوسي، ثم الطبرسي، ولكن هؤلاء لم يعلنوا مع هذه البراءةِ البراءةَ من سابقيهم الذين أشاعوا هذا الكفر الصريح بين أتباعهم، ووضعوا أساطيره، وسودوا في ذلك مئات الصفحات، كالكليني الملقب عندهم بثقة الإسلام في كتابه (الكافي)، وشيخه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره.

لكن أبى الله إلا أن يكشف سترهم، ويفضح أمرهم على يد شيخهم النوري الطبرسي الذي قام بجمع هذه الأساطير في كتاب سماه: (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب).

ولربما لأول مرة في التاريخ يحدث هذا الجمع لأساطير الرافضة المتفرقة وأقوال شيوخها، والآيات المفتراة التي يزعمونها في كتاب واحد يطبع وينشر؛ ليصبح فضيحة لهم أبد الدهر، ولهذا قال الطبطبائي أحد شيوخهم المعاصرين: «ما أجاد في تأليفه، ولا وافق الصواب في جمعه، وليته لم يؤلفه، وإن ألفه لم ينشره، وقد صار ضرره أكثر من نفعه، بل لا نفع يتصور من نشره، فإنه جهز السلاح للعدو وهيأه»(١).

ويكفي العاقل المنصف الاطلاع على هذا الكتاب وصاحبه ليحكم بنفسه على دخول الاثني عشرية في الإسلام أو خروجها منه، ولتعرف الأمة حقيقتهم، ويرتاح المسلمون من شر أولئك المرتزقة الذين ينتشرون في العالم الإسلامي لنشر ضلالهم تحت ستار التشيع، ويفيق من غرَّر به شيوخ الشيعة من أولئك الأتباع الجهلة الذين لا يدركون من التشيع إلا أنه حب آل البيت الذي سيدخلهم الجنة بغير حساب(٢).

---

(١) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٣٦٤) (الهامش).

(٢) انظر: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٥٧٥).

لقد قام المؤلف بكشف الغطاء عن عقيدة الشيعة الاثني عشرية في تحريف القرآن، وجمع ما تفرق من أخبارهم فيها، ونقل تصريحات شيوخهم بتواترها، وأنها تزيد على ألفي حديث، واتهم صحابة رسول الله بتحريفه والتواطؤ على ذلك، ولم يستثن من ذلك سوى أمير المؤمنين علي، وهذا الاستثناء صوري، إذ إن لازم قوله تواطؤ الجميع، لأن القرآن الذي عند علي والسالم من التحريف بزعمهم لم يظهره علي ولا إبان خلافته.

ثم قدَّم - من كتبهم - (١٠٦٢) رواية معظمها تقول في آيات من كتاب الله: إنها خطأ، ويذكر تصويبها من كتبهم الأسطورية، فيرد ما أجمعت عليه الأمة ويرتضي ما قاله حثالة من الأفاكين.

كما لم يجبن عن ذكر بعض سور بكاملها تتناقلها الدوائر الشيعية وليس لها ذكر في المصحف، وعلامة الكذب والافتراء واضحة بيّنة في نصها ومعناها لا يخفى إلا على أعجمي جاهل، ولا يروّجها إلا زنديق مغرض.

كما رد على من أنكر التحريف من طائفته، وبيَّن أن إنكار القدامى كان تقية، وأن من أنكر أخبار التحريف يلزمه رد أخبار الإمامة لما بينهما من تلازم.

وهذا الكتاب الذي حوى هذا الكفر قد طبع في إيران سنة (١٢٩٨هـ).

وهذه الأساطير التي أشاعوها حول كتاب الله حملت بذاتها باطلها، وتبين من عناصر تكوينها فسادها، وكان مجرد عرضها كافيًا في الرد عليها، ويكفي في بيان بطلانها أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه الذي هو عند أكثرهم إله خالق، وعند بعضهم نبي ناطق، وعند سائرهم إمام معصوم ولي الأمر وملك، فبقي خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفة مطاعًا ظاهر الأمر، والقرآن يقرأ في المساجد في كل مكان وهو يؤم الناس به، والمصاحف معه وبين يديه، فلو رأى فيه تبديلًا كما تقول الرافضة أكان يقرهم على ذلك؟ ثم أتى ابنه الحسن وهو عندهم كأبيه فجرى على ذلك.

فكيف يسوغ لهؤلاء النوكى أن يقولوا: إن في المصحف حرفًا زائدًا أو ناقصًا أو مبدلًا مع هذا؟! ولقد كان جهاد من حرف القرآن وبدل الإسلام أوكد عليه من قتال أهل الشام الذين إنما خالفوه في رأي يسير رأوه ورأى خلافه فقط، فلاح كذب الرافضة ببرهان لا محيد عنه، والحمد لله رب العالمين(١).

المسألة الثانية: دعواهم أن القرآن ليس حجة إلا بقيم:

القرآن العظيم هو حجة الله على العالمين، يقول الله تعالى - لمن طلب آية تدل على صدق الرسول-: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥٠]، فالقرآن الكريم هو الشاهد والحجة.

وقد حاولت الباطنية الاثنا عشرية المساس بهذا الأصل العظيم، فقالوا على لسان إمامهم في الضلالة، ومن يلقبونه بـ«ثقة الإسلام» (الكليني) وذلك في كتابه: «أصول الكافي» - الذي يعدونه أوثق مصادرهم - ما نصه: «...أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم: وأن عليًّا كان قيم القرآن وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله»(٢).

وسمَّوا كتاب الله بالقرآن الصامت، وسمَّوا الإمام بالقرآن الناطق، وزعموا أن عليًّا - رضي الله عنه وبرأه مما يفترون - قال: «هذا كتاب الله الصامت، وأنا كتاب الله الناطق»(٣).

ومرة أخرى يدعون بأن الأئمة هم القرآن نفسه، ولهذا نجدهم يفسرون قوله سبحانه: ﴿..وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ..﴾ يقولون: النور: علي والأئمة - عليهم السلام -(٤).

---

(١) الفصل: ٢/ ٢١٦-٢١٧ لابن حزم.
(٢) أصول الكافي: (١/ ١٨٨).
(٣) الفصول المهمة: (ص:٢٣٥).
(٤) الكافي: (١/ ١٩٤).

ويقولون في قوله سبحانه: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ يعني: أمير المؤمنين[١].

مع أن الدلالة واضحة وجلية على أن المراد بالنور في الآيتين هو القرآن، ولكن هؤلاء الباطنية يتأولون القرآن على غير معناه لصرف أتباعهم عن أنوار هدايته، ويسندون هذا التأويل الباطل الذي لا تربطه بالآية أدنى رابطة إلى آل البيت كعلي والحسن أو الحسين أو الباقر أو الصادق، وهم أهل العلم واللغة والعقل والدين!!

المسألة الثالثة: زعمهم بأن الأئمة اختصوا بمعرفة القرآن لا يشركهم فيه أحد:

إن علم القرآن لم يكن سرًّا تتوارثه سلالة معينة، ولم يكن لعلي اختصاص بهذا من دون سائر صحابة رسول الله ﷺ، ولكن الشيعة الباطنية حاولت ما وسعتها المحاولة أو الحيلة، فأشاعت دعوى باطلة تخالف هذا الأصل، وهي أن الله سبحانه قد اختص أئمتهم الاثني عشرية بعلم القرآن كله، وأنهم اختصوا بتأويله، وأن من طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضلّ.

جاء في أصول الكافي في خبر طويل عن أبي عبد الله قال: «إن رسول الله ﷺ فسره [أي القرآن] لرجل واحد، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب»[٢].

وفي تفسير فرات: «.. إنما على الناس أن يقرؤوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا»[٣]. وقد استفاض تقرير هذه المقالة في مصادرهم المعتمدة[٤].

---

(١) انظر: تفسير العياشي: (٢/ ١٢٠)، أصول الكافي: (١/ ٤١٩)، تفسير البرهان: (٢/ ١٨٠)، تفسير القمي: (١/ ٣١٠).

(٢) أصول الكافي: (١/ ٢٥)، وسائل الشيعة: (١٨/ ١٣١).

(٣) تفسير فرات (ص:٩١)، وسائل الشيعة: (١٨/ ١٤٩).

(٤) انظر شواهد ذلك في: «أصول مذهب الشيعة» (١/ ١٥١-١٦٤).

ودعوى أن القرآن اختص بمعرفته من يسمونهم بالأئمة الاثني عشر مخالفة لقول الله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤]. فالبيان للناس، لا للذين يحصرونهم في الاثني عشر وحدهم، فليس لمن قال بهذه المقالة إلا أحد طريقين: إما القول بأن الرسول لم يبلغ ما أنزل إليه، وإما أن يكذب القرآن.

المسألة الرابعة: دعواهم بأن قول الإمام ينسخ القرآن ويقيد مطلقه ويخصص عامه:

ومن صور عدوانهم على القرآن الكريم دعواهم أن لأئمتهم حق تغيير الدين الذي شرعه الله لعباده، فزعموا أن لأئمتهم حق تخصيص عام القرآن، وبيان مجمله، وتقييد مطلقه، بل ونسخ محكمه؛ لأن الوحي - كما يفترون - لم ينقطع، بل استمر بعد وفاة الرسول ﷺ؛ لأن الإمام عندهم كالنبي[١]، والإمامة استمرار للنبوة، بل أعلى مرتبة من النبوة[٢]، وهذا ما يجاهر به جملة من شيوخهم. قال شيخهم نعمة الله الجزائري: «الإمامة العامّة التي هي فوق درجة النبوة والرسالة..»[٣]، وقال هادي الطهراني - أحد مراجعهم وآياتهم في هذا العصر -: «الإمامة أجلُّ من النبوة، فإنها مرتبة ثالثة شرف الله تعالى بها إبراهيم بعد النبوة والخلة...»[٤].

وقول الإمام - في زعمهم - كقول النبي سواء بسواء، بل كقول الله عز وجل!!!

ولذلك يقولون: يجوز لمن سمع حديثًا عن أبي عبد الله (يعنون جعفر بن محمد الصادق) أن يرويه عن أبيه أو أحد أجداده؛ بل يجوز أن يقول: قال الله تعالى[٥]، فأجازوا الكذب الصراح على الله ورسوله ﷺ.

---

(١) انظر: «المنية والأمل»: ص ٢١، «عقائد الإمامية»: محمد رضا المظفر: ص ٩٥.

(٢) انظر: أصول الكافي: ١/ ١٧٥.

(٣) زهر الرّبيع: ص١٢.

(٤) ودائع النّبوّة: ص١١٤.

(٥) المازندراني - شرح جامع (علي الكافي): (٢/ ٢٧٢).

فكان للإمام - في اعتقادهم - تخصيص القرآن أو تقييده أو نسخه، وهو تخصيص أو تقييد أو نسخ للقرآن بالقرآن، لأن قول الإمام كقول الله - كما يفترون -!!

فمثلًا: ألفاظ الكفر والكفار والشرك والمشركين الواردة في كتاب الله سبحانه، والتي تعم كل من كفر بالله وأشرك، جاءت عندهم روايات كثيرة تحرف معاني هذه الآيات وتصرفها إلى الكفر بولاية عليٍّ والشرك باتخاذ إمام معه، وتجاهلوا حتى اللغة التي نزل بها القرآن العظيم: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٤٤]، وعدوا الإيمان بإمامة الاثني عشر أعظمَ من الإيمان بالله وحده، والشرك بولايتهم أعظم من الشرك بالله جل وعلا، بل لا شرك عندهم إلا بالشرك في ولاية الأئمة، وولايتهم كافية عندهم في الفوز بالجنة والنجاة من النار، وعموا وصموا عن أصول الإيمان وأركان الإسلام وشرائع الدين.

وقد نسب الإمام الأشعري هذه المقالة إلى الصنف الخامس عشر من أصناف الغالية من الشيعة - حسب تقسيمه - فهم الذين «يزعمون أن الأئمة ينسخون الشرائع ويهبط عليهم الملائكة، وتظهر عليهم الأعلام والمعجزات ويوحى إليهم»(١).

وقد أشار أبو جعفر النحاس (المتوفى سنة ٣٣٨هـ) إلى هذه المقالة ولم ينسبها لأحد، فقال: «وقال آخرون: باب الناسخ والمنسوخ إلى الإمام، ينسخ ما يشاء»(٢). وعدّ ذلك من عظيم الكفر، ثم بين بطلانه بقوله: «لأن النسخ لم يكن إلى النبي ﷺ إلا بالوحي من الله - جل وعز - إما بقرآن مثله على قول قوم، وإما بوحي من غير القرآن(٣)، فلما ارتفع هذان بموت النبي ﷺ ارتفع النسخ»(٤).

---

(١) مقالات الإسلاميين: ١/ ٨٨.
(٢) الناسخ والمنسوخ: ص ٨.
(٣) يعني سنة المصطفى ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم، آية:٣-٤].
(٤) الناسخ والمنسوخ: ص ٨-٩

المسألة الخامسة: قولهم بأن جل القرآن نزل فيهم وفي أعدائهم:

ومن عدوان الباطنية قولهم بأن: «جُلَّ القرآن إنما نزل فيهم (يعني في أئمتهم الاثني عشر) وفي أوليائهم وأعدائهم»[1]، ولا يستحون من هذا الكذب الصراح حتى قالوا بأن أكثر آيات القرآن نزلت في أئمتهم الاثني عشر، مع أنك لو فتشت في كتاب الله وأخذت معك معاجم اللغة العربية كلها وبحثت عن اسم من أسماء هؤلاء الاثني عشر فلن تجد لهم ذكرًا!!

ومع ذلك فإن شيخهم البحراني يزعم بأن عليًّا وحده ذكر في القرآن (١١٥٤) مرة، ويؤلف في هذا الشأن كتابًا سماه: «اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية»[2]. وكل عاقل له أدنى صلة بالقرآن يدرك بأن هذا القول أشبه بالهذيان، ولكنْ هؤلاء الباطنيون لا عقل ولا نقل.

وتأتي بعض رواياتهم لتقول: «نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع في فرائض وأحكام»[3]. وهكذا يقسمون القرآن وفق ما تهوى أنفسهم، وما تمليه عليهم شياطينهم ابتغاء الفتنة، وصرف أتباعهم عن مصدر الهداية وهو القرآن العظيم الذي يهدي للتي هي أقوم.

---

(١) تفسير الصافي: (١/ ٢٤)، وهذا النص جعله صاحب الصافي عنوانًا للمقدمة الثانية.

(٢) المطبعة العلمية بقم (١٣٩٤هـ).

(٣) أصول الكافي: (٢/ ٦٢٧)، البرهان: (١/ ٢١).

» المطلب الثاني: العدوان الباطني على السنة النبوية:

عملت الباطنية على محاربة السنة النبوية من خلال مضاهاة أقوال أئمتهم، أو بعبارة أدق: ما افتراه الزنادقة على الأئمة مضاهاتها بأقوال الله ورسوله ﷺ، فأضفَوا سمة القداسة والعصمة عليها، حتى جعلوها بمنزلة كلام الله ورسوله، كما أشاعوا فرية كبرى تقوم على زعم أن الرسول ﷺ كتم جزءًا من الشريعة وأودعها عند أئمتهم، وذلك ليتسنى لهم الافتراء على الله ورسوله وشرعه ودينه حسب ما يشاؤون.

ومن جهة أخرى سعوا إلى إبطال السنة النبوية من خلال الطعن في نقلتها وحفاظها وهم الصحابة - رضوان الله عليهم -.

كما اخترعوا شخصية أسطورية لا وجود لها إلا في خيالاتهم المريضة، وهي مهديهم المعدوم، وبدؤوا ينسجون الأكاذيب وينسبونها لهذه الشخصية المزعومة فيما يسمونه بحكايات الرقاع، ويعدونها من الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم انتهى بهم الأمر إلى الانفصال عن الأمة تمامًا في مصادر للتلقي لا يعرفها المسلمون، وقد حوت هذه المصادر من الكفر والضلال ما لا يخطر بالبال، ولا يتصوره خيال، وفيما يلي عرض موجز عن محاولاتهم المساس بالسنة والعدوان عليها:

المسألة الأولى: قولهم: إن قول الإمام كقول الله ورسوله:

يزعم الباطنية الرافضة - الملقبون في عصرنا بالشيعة - أن عليًّا والحسن والحسين وثمانية من ذرية الحسين وتاسعهم المهدي المعدوم الذي لا وجود له في الحقيقة، كل هؤلاء بزعمهم كالأنبياء، فقولهم وفعلهم وحي، ولذلك فقد حرفوا مفهوم السنة، فقالوا: السنة هي «كل ما يصدر عن المعصوم من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ»[1].

(١) الأصول العامة للفقه المقارن (ص:١٢٢) لمحمد تقي الحكيم.

ولا يريدون بالمعصوم ما يؤمن به المسلمون، وهو رسول الله ﷺ، بل يريدون ما نسبه زنادقتهم إلى من يدعون عصمتهم، وهم من يلقبونهم بالاثني عشر، فالأئمة عندهم كالرسل «قولهم قول الله، وأمرهم أمر الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، وإنهم لم ينطقوا إلا عن الله تعالى، وعن وحيه»[1].

ولا فرق في كلام هؤلاء الاثني عشر بين سن الطفولة، وسن النضج العقلي؛ وهم - في اعتقادهم مهما كانت مرحلتهم العمرية - لا يخطئون عمدًا ولا سهوًا ولا نسيانًا طوال حياتهم، ولهذا قال أحد شيوخهم المعاصرين: «إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة، دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي ﷺ كما هو الحال عند أهل السنة»[2].

المسألة الثانية: إيداع الشريعة عند الأئمة المعصومين بعد وفاة الرسول ﷺ:

أشاع هؤلاء الباطنيون بين أتباعهم أن رسول الله ﷺ بلَّغ جزءًا من الشريعة، وكتم الباقي وأودعه الإمام عليًّا، فأظهر عليٌّ رضي الله عنه منه جزءًا في حياته، وعند موته أودعه الحسن، وهكذا كل إمام يظهر منه جزءًا - حسب الحاجة - ثم يعهد بالباقي لمن يليه إلى أن صار عند إمامهم المنتظر، وعدوا هذا الهذيان من أركان دينهم.

يقول مرجعهم محمد حسين آل كاشف الغطا: «إن حكمة التدريج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة، ولكنه - سلام الله عليه - أودعها عند أوصيائه، كل وصي يعهد بها إلى الآخر لينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة من عام مخصص، أو مطلق، أو مقيد، أو مجمل مبين إلى أمثال ذلك، فقد يذكر النبي عامًّا ويذكر مخصصه

---

(١) الاعتقادات (ص:١٠٦).

(٢) تاريخ الإمامية، عبد الله فياض ص: ١٤٠.

بعد برهة من حياته، وقد لا يذكره أصلًا، بل يودعه عند وصيه إلى وقته»[١]. وهم بهذا الاعتقاد يريدون تغيير دين الله وتبديل شرعه بدعوى أن هذا من العلم المكتوم المستودع لدى الأئمة.

ويستلزم هذا الاعتقاد الفاسد أيضًا الطعن في رسول الله ﷺ، وأنه كتم جزءًا من الشريعة، وخالف قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة:٦٧].

ومن فضائحهم في هذا الباب أنهم يدعون أن عليًّا كان يتلقى العلم المكتوم طيلة حياة الرسول ﷺ، وقد وصلت مبالغاتهم إلى ما يشبه كلام المجانين، فقالوا بأن عليًّا استمر في تلقي العلم من فم الرسول حتى بعد موته - عليه الصلاة والسلام -، وعقد المجلسي لهذا بابًا بعنوان: «باب ما علَّمه الرسول - صلى الله عليه وآله - عند وفاته وبعده...»[٢].

ومما جاء في هذا الباب أن عليًّا قال: «أوصاني النبي صلى الله عليه وآله فقال: إذا أنا متّ فغسلني بست قرب من بئر غرس[٣]، فإذا فرغت من غسلي فأدرجني في أكفاني، ثم ضع فاك على فمي، قال: ففعلت، وأنبأني بما هو كائن إلى يوم القيامة»[٤]. وحديث آخر في هذا الباب يقول بأن الرسول ﷺ قال - كما يفترون -: «يا علي، إذا أنا متُّ فاغسلني وكفني، ثم أقعدني وسائلني واكتب»[٥].

---

(١) «أصل الشيعة وأصولها» ص ٧٧.

(٢) بحار الأنوار: ٤٠/ ٢١٣-٢١٨.

(٣) بئر غرس: بئر بالمدينة. (انظر: معجم البلدان: ٤/ ١٩٣، معجم ما استعجم: ٢/ ٩٩٤، المراصد: ٢/ ٩٨٨).

(٤) بحار الأنوار: ٤٠/ ٢١٣، بصائر الدرجات: ص ٨٠.

(٥) بحار الأنوار: ٤٠/ ٢١٣، بصائر الدرجات: ص ٨٠.

ومضت بقية الروايات على هذا النسق المظلم، حتى قالوا بأن عليًا كان إذا أخبر بشيء قال: «هذا مما أخبرني به النبي - صلى الله عليه وآله - بعد موته»[(١)]. وهكذا يخربون بيوتهم بأيديهم، ويكشفون كذبهم بأنفسهم عبر مبالغتهم التي لا تكاد تنتهي، وهذا جزء من رواياتهم عن العلم الذي خصه النبي ﷺ لعلي وأورثه الأئمة من بعده.

المسألة الثالثة: ردهم لمرويات الصحابة:

ومن عدوانهم ردهم لمرويات الصحابة - رضي الله عنهم - الذين نقلوا لنا الدين، وبلغوا شريعة رب العالمين، يقول محمد حسين آل كاشف الغطا - في تقرير هذا الأمر عند طائفته -: «إن الشيعة لا يعتبرون من السنة - أعني الأحاديث النبوية - إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت.. أما ما يرويه مثل أبي هريرة وسمرة بن جندب.. وعمرو بن العاص ونظرائهم فليس له عند الإمامية مقدار بعوضة»[(٢)(٣)].

إن هذا «المبدأ» في رفض مرويات الصحابة يفضي إلى فقدان صفة التواتر في نقل شريعة القرآن وسنة سيد الأنام ما داموا يحكمون على النقلة بهذا الحكم، ويحصرون

---

(١) بحار الأنوار: ٤٠/ ٢١٥، الخرائج والجرائح: ص١٣٢، وانظر المزيد من الشواهد في: «أصول مذهب الشيعة» (١/ ٣٦٦).

(٢) «أصل الشيعة وأصولها»: ص ٧٩.

(٣) وقوله: «ما صح لهم من طرق أهل البيت» هذا تعبير فيه شيء من التمويه والخداع؛ لأن من لا يعرف طبيعة مذهب الشيعة يظن أن العمدة عندهم هو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم - الذي جاء من طرق آل البيت - في حين أنهم يعدون الواحد من الاثني عشر كالرسول لا ينطق عن الهوى، وقوله كقول الله ورسوله -كما سبق بيانه -، ولذلك يندر وجود أقوال الرسول في مدوناتهم؛ كما أن قوله: أهل البيت، إنما يعني بعضهم، فليس كل آل البيت يصلحون - عندهم - طريقًا للرواية، لأن آل البيت ليسوا جميعًا أئمة لهم، فالرواية عن ذرية فاطمة من ولد الحسن - رضي الله عنه - غير معتبرة عندهم؛ ولذلك فإن الطوسي في الاستبصار يرد روايات زيد بن علي (الاستبصار: ١/ ٦٦)، فتعبير آل كاشف الغطا من التمويه والخداع؛ لأن الكتاب وضع للدعاية للتشيع في العالم الإسلامي.

اعتبارهم لصحة المنقول بما جاء عن واحد منهم، وهو علي ﷺ دون غيره، والذي يجعلونه المصدر الوحيد للتلقي بعد وفاة الرسول ﷺ، وهذا أساس وضعه زنديق لهدم الدين والطعن في شريعة سيد المرسلين.

المسألة الرابعة: تلقيهم السنة عن «حكايات الرقاع» وما يسمونه بالتوقيعات الصادرة عن الإمام:

هؤلاء القوم الذين يردون ما جاء عن طريق الصحابة الذين أثنى عليهم الله ورسوله يقبلون، بل يعدون من أوثق طرقهم ما يسمى «بحكايات الرقاع»، وحقيقتها كما يلي:

أنه لما توفي إمامهم - الحادي عشر - الحسن العسكري (ت ٢٦٠هـ) لم يكن له عقب[(١)]، وقد تم استبراء زوجاته وإمائه للتأكد من ذلك «حتى تبين لهم - كما يعترف عالم الشيعة ابن بابويه القمي - بطلان الحبل، فقُسم ميراثه بين أُمه وأخيه جعفر، وادعت أمه وصيته، وثبت ذلك عند القاضي والسلطان»[(٢)].

ويقول كبار المؤرخين بأن الحسن العسكري مات عقيماً[(٣)]، ولهذا تحيرت الشيعة بعده، «فافترق أصحابه من بعده خمس عشرة فرقة»[(٤)]، منهم من قال: «انقطعت الإمامة»[(٥)]، ومنهم من قال: «إن الحسن بن علي توفي ولا عقب له، والإمام بعده جعفر بن علي أخوه»[(٦)] إلى غير ذلك من اختلافاتهم وحيرتهم.

---

(١) قال سعد القمي: (توفي - يعني الحسن العسكري - ولم ير له خلف، ولم يعرف له ولد ظاهر) «المقالات والفرق»: ص ١٠٢.

(٢) ابن بابويه القمي: «إكمال الدين»: ص ٤٢.

(٣) قال في «المنتقى»: (إن الحسن بن علي العسكري لم يعقب كما ذكره محمد بن جرير الطبري وعبدالباقي بن قانع وغيرهما من النسابين) «المنتقى»: ص ٣١.

(٤) «المقالات والفرق» للقمي (ص١٠٢).

(٥) المصدر السابق: ص ١٠٨.

(٦) المصدر السابق: ص ١١٠.

وفي خضم هذه الحيرة والاضطراب قام رجل يدعى (عثمان بن سعيد العمري)، وادعى دعوى في غاية الغرابة، ادعى أن للحسن العسكري ولدًا في الخامسة من عمره مختفيًا عن الناس لا يظهر لأحد، وهو الإمام بعد أبيه الحسن، ثم ادعى بأن هذا الطفل - الذي أطلق عليه الإمام، والذي لو كان موجودًا لكان في حضانة أمه - قد اتخذه «وكيلًا عنه في قبض الأموال، ونائبًا يجيب عنه في المسائل الدينية»[(١)]، ولما مات عثمان بن سعيد (ت ٢٨٠هـ) ادعى ابنه محمد بن عثمان نفس دعوى أبيه، وبعد وفاته (ت ٣٠٥هـ) خلفه الحسين بن روح النوبختي في نفس الدعوى (ت ٣٢٦هـ)، ومن بعده خلفه آخر يدعى بأبي الحسن علي بن محمد السمري (ت ٣٢٩هـ) وهو آخرهم عند الشيعة الإمامية، ومن بعده وقعت ما يسمونه (الغيبة الكبرى) وكان هؤلاء النواب[(٢)] عن الإمام يتلقون أسئلة الناس ويأتونهم بأجوبتها باسم الإمام المنتظر ويسمونها توقيعات، والتوقيعات هي خطوط الأئمة بزعمهم في جواب مسائل الشيعة وأسئلتهم.

وهذه الأجوبة والتوقيعات هي عند الشيعة كقول الله ورسوله!! حتى إنهم رجحوا هذه التوقيعات على ما روي بإسناد صحيح عندهم في حال التعارض.

قال ابن بابويه القمي في كتابه «من لا يحضره الفقيه» بعد ما ذكر التوقيعات الواردة من الناحية المقدسة (يعنون بها: مهديهم المزعوم) في باب الرجلين يوصي إليهما.. «قال: هذا التوقيع عندي بخط أبي محمد الحسن بن علي، ثم ذكر أن في الكافي للكليني رواية بخلاف ذلك التوقيع عن الصادق - ثم قال: لست أفتي بهذا الحديث، بل أفتي بما عندي بخط الحسن بن علي..»[(٣)].

---

(١) السيد محمد صالح: «حصائل الفكر»: (ص ٣٦ - ٣٧).

(٢) انظر في أخبار هؤلاء: الطوسي: «الغيبة»: ص ٢١٤ وما بعدها، وانظر: الطبرسي: «الاحتجاج»: (جـ٢/ ص ٢٩٦)، «تاريخ الغيبة الصغرى»: محمد الصدر: ص ٣٩٦.

(٣) انظر: ابن بابويه القمي: «من لا يحضره الفقيه»: (٤/ ١٥١)، وانظر: الحر العاملي: «الوسائل»: (٢٠/ ١٠٨).

قال الحر العاملي في تعقيبه على ذلك: «.. فإن خط المعصوم أقوى من النقل بوسائط..»[١].

وقد اهتم شيوخ الشيعة بهذه التوقيعات ودونوها في كتبهم الأساسية، على أنها من الوحي الذي لا يأتيه الباطل، كما فعل الكليني في أصول الكافي[٢]، وابن بابويه في إكمال الدين[٣]، والطوسي في الغيبة[٤]، والطبرسي في الاحتجاج[٥]، والمجلسي في البحار[٦]، وقد جمع شيخهم عبد الله بن جعفر الحميري الأخبار المروية عن منتظرهم في كتاب سماه: «قرب الإسناد»[٧].

وذكر صاحب الذريعة كتابين لهم في هذا باسم: «التوقيعات الخارجة من الناحية المقدسة»[٨].

وتحكي هذه (التوقيعات) رأي الإمام المزعوم في كثير من أمور الدين والحياة، وتصور قدرته على علم الغيب المجهول، وتحقيقه لأماني شيعته، وشفاءه لأمراضهم، وحله لمشاكلهم، وإجابته لأسئلتهم، واستلامه لما يقدمونه من أموال، وقد تصاغ أحداث ذلك أحياناً بثوب قصصي.

والمتأمل للفتاوى المنسوبة إليه يرى في الكثير منها الجهل في أيسر مسائل الشريعة، مما يدل على أن واضع هذه (التوقيعات) من الزنادقة المتآمرين والجهلة الكذابين، بل من

---

(١) «الوسائل»: (٢٠/ ١٠٨).

(٢) أصول الكافي: ١/ ٥١٧ وما بعدها (باب مولد الصاحب).

(٣) إكمال الدين: ص ٤٥٠ وما بعدها (الباب التاسع والأربعون ذكر التوقيعات الواردة عن القائم).

(٤) الغيبة ص ١٧٢ وما بعدها.

(٥) الاحتجاج: ٢/ ٢٧٧ وما بعدها.

(٦) بحار الأنوار: ٥٣/ ١٥٠-٢٤٦ (باب ما خرج من توقيعاته).

(٧) وقد طبع في المطبعة الإسلامية بطهران.

(٨) أغا برزك الطهراني/ الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٤/ ٥٠٠-٥٠١.

الذين يضعون ولا يحسنون الوضع. وقد شاء الله سبحانه كشفهم وفضحهم على رؤوس الخلائق بهذه الخرافات وأمثالها، فجاءت محاولتهم في الكذب كمحاولة مسيلمة الكذاب محاكاة القرآن.

ومن أمثلة ذلك: ما ذكره صاحب الاحتجاج عن الكليني عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري رحمه الله - النائب الثاني - أن يوصل لي كتابًا قد سألت فيه عن مسائل أُشكلت علي، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان (ع): «أما ما سألت عنه - أرشدك الله وثبتك ووقاك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمنا[1] - فاعلم أنه ليس بين الله ﷺ وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني وسبيله سبيل ابن نوح، وأما سبيل ابن عمي جعفر وولده فسبيل أُخوة يوسف (ع)، وأما أموالكم فلا نقبلها إلا لتطهروا، فمن شاء فليصل، ومن شاء فليقطع»[2].

«وأما ما سألت عنه من أمر المصلي والنار والصورة بين يديه فهل تجوز صلاته؟ فإن الناس قد اختلفوا في ذلك قبلك، فإنه جائز لمن لم يكن من أولاد عبدة الأصنام والنيران أن يصلي والنار والسراج بين يديه، ولا يجوز ذلك لمن كان من أولاد عبدة الأوثان»[3]!!!

«وعن المرأة يموت زوجها فهل يجوز أن تخرج في جنازته أم لا؟

التوقيع: تخرج في جنازته.

---

(١) تأمل تكفيرهم وبراءتهم من آل البيت، واتباعهم لعثمان بن سعيد وتصديقهم لقوله، وهذا يتضمن نقض مذهبهم وهدم ملتهم من وجهين:
الأول: قبولهم قول غير المعصوم في أصل دينهم.
الثاني: تكفيرهم لآل البيت في عصر الحسن، كما يشير إليه بقوله: «من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمنا» وهم - في الظاهر - يدعون التشيع لهم.
(٢) الطبرسي: «الاحتجاج»: (٢/ ٢٨٣).
(٣) الطبرسي: «الاحتجاج»: (٢/ ٢٩٩).

وهل يجوز لها في عدتها أن تزور قبر زوجها أم لا؟

التوقيع: تزور قبر زوجها[١]»!!!

وأمثال هذه الخزعبلات التي يعدونها من الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[٢]، وقد علق الشيخ محمود الآلوسي على تعبد الروافض بحكايات الرقاع بقوله: «إنهم أخذوا دينهم من الرقاع المزورة التي لا يشك عاقل في أنها افتراء على الله تعالى، ولا يصدق بها إلا من أعمى الله بصره وبصيرته، وهذه الرقاع عند الرافضة من أقوى دلائلهم وأوثق حججهم، فتبًّا لقوم أثبتوا أحكام دينهم بمثل هذه الترهات، واستنبطوا الحلال والحرام من نظائر هذه الخزعبلات، ومع ذلك يقولون: نحن أتباع أهل البيت، كلا بل هم أتباع الشياطين وأهل البيت بريئون منهم»[٣].

المسألة الخامسة: انفصال الشيعة عن جماعة المسلمين بمصادر لهم في التلقي هي عمدتهم، وعليها يعولون:

يرجع المسلمون إلى دواوين أهل الإسلام التي جمعت سنة رسول الله ﷺ من الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم وغيرها، لكِنْ هؤلاء الباطنيون الملقبون في عصرنا بالشيعة اعتزلوا الأمة في مصادر التلقي وأبعدوا أتباعهم عنها، ودونوا لهم مصادر لا يعرفها أهل العلم، وجعلوها عمدة دينهم وأساس اعتقادهم، وكانت قديماً إبَّان قوة الدولة الإسلامية موضع التداول السري فيما بينهم، كما يدل على ذلك وصاياهم بكتمان دينهم، ولذلك لم يقف عليها من اعتنى بأمر الرافضة ومكايدهم من علماء الفرق والمقالات، ولعل أول من وقف عليها هو مخدوم الشيرازي؛ حيث ذكر بأن من هفوات الروافض إنكارهم كتب

(١) الطبرسي: «الاحتجاج»: (٢/ ٣٠٢).

(٢) ولو تفرغ باحث لجمع هذه التوقيعات لكان بحثًا طريفًا يكشف حقيقة تشيعهم وكذبهم على أهل البيت.

(٣) «كشف غياهب الجهالات» الورقة ١٢ (مخطوط).

الأحاديث الصحاح التي تلقتها الأمة بالقبول، وإيمانهم بمقابل ذاك بأربعة كتب جمع فيها كثير من الأكاذيب مع بعض الأحاديث وأقوال الأئمة[(١)].

أما اليوم فهم يجاهرون بها بلا حياء ولا مواربة، وينسبونها لأهل بيت رسول الله ﷺ مع إقرارهم بأن رواتها من أصحاب النحل الفاسدة، يقول شيخهم الطوسي: «إن كثيرًا من مصنفي أصحابنا ينتحلون المذاهب الفاسدة - ومع هذا يقول -: إن كتبهم معتمدة»[(٢)].

وهذه المصادر لا سند لها ولا خطام، وقد كشف هذه الحقيقة أعلام هذه النحلة الفاسدة حين نشب الخلاف بينهم، واحتدم النزاع بين فريقين رئيسين منهم هما: طائفة الأخباريين، وطائفة الأصوليين؛ حول تقسيم أحاديثهم إلى صحيح وضعيف، فأباح الأخباريون بالسر المكتوم وهو أنهم ما فعلوا ذلك إلا اتقاءً لنقد أهل السنة لهم بأن أسانيدهم غير معنعنة، يعني ليس لهم أسانيد توثق مروياتهم، واخترعوا أسانيد وأسماء رجال لا مسمى لهم ولا وجود، فيؤكد شيخهم الحر العاملي أن الاصطلاح الجديد (وهو تقسيم الحديث عندهم إلى صحيح وغيره) والذي وضعه ابن المطهر هو محاولة لتقليد أهل السنة حيث قال: «والاصطلاح الجديد موافق لاعتقاد العامة واصطلاحهم، بل هو مأخوذ من كتبهم كما هو ظاهر بالتتبع»[(٣)].

ثم بين أن الدافع لذلك ليس هو الوصول إلى صحة الحديث بقدر ما هو توقي نقد المذهب من قبل خصومهم والدفاع عن مذهبهم، فقال: «والفائدة في ذكره - أي السند - دفع تعيير العامة - يعني أهل السنَّة - الشيعةَ بأن أحاديثهم غير معنعنة، بل منقولة من أصول قدمائهم»[(٤)].

---

(١) النواقض: ص ١٠٩، ١١٠ (مخطوط).

(٢) «الفهرست» ص٢٤-٢٥، وانظر: «مختصر التحفة» ص ٦٩.

(٣) «وسائل الشيعة» (٢٠/ ١٠٠).

(٤) «وسائل الشيعة» (٢٠/ ١٠٠).

وقد جاء علم الجرح والتعديل عندهم مليئًا بالتناقضات والاختلافات، حتى قال شيخهم الفيض الكاشاني: «في الجرح والتعديل وشرائطهما اختلافات وتناقضات واشتباهات لا تكاد ترتفع بما تطمئن إليه النفوس كما لا يخفى على الخبير بها»[(١)].

فعمدتهم في أحاديثهم أربعة كتب عليها مدار العمل عندهم في جميع الأعصار - كما يقولون -، وهي عندهم كالكتب الستة عند أهل السنة.

أولها: «الكافي» في الأصول والفروع لمحمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ أو ٣٢٨) الملقب عندهم بثقة الإسلام، قالوا: «وهو أجل الكتب الأربعة والأصول المعتمدة»[(٢)]، «وكتبه في الغيبة الصغرى»[(٣)] التي يمكن من خلالها الاتصال المباشر بمهديهم، ولذا قالوا بأن «حياته في زمن وكلاء المهدي عليه السلام وبواسطتهم يجد طريقًا إلى تحقيق منقولاته»[(٤)]، قالوا: وهي قرينة واضحة على صحة كتبه وثبوتها، لقدرته على استعلام أحوال الكتب التي نقل منها لو كان عنده شك فيها لروايته عن السفراء والوكلاء المذكورين وغيرهم، وكونه معهم في بلد واحد غالبًا[(٥)].

وثاني صحاحهم: هو كتاب «من لا يحضره الفقيه»[(٦)] لشيخهم الملقب عندهم بالصدوق محمد بن بابويه القمي، وهو خاص بمسائل الفقه عندهم، وقد اشتمل على (١٧٦) بابًا، أولها باب الطهارة، وآخرها باب النوادر، أما عدد أحاديثه فقد قال مرجعهم محسن العاملي: إنها (٩٠٤٤).

---

(١) «الوافي» المقدمة الثانية (١/ ١١-١٢).

(٢) أغابزرك الطهراني: «الذريعة»: (١٧/ ٢٤٥)، وراجع: النوري الطبرسي: «مستدرك الوسائل»: (٣/ ٤٣٢).

(٣) «الذريعة»: (١٧/ ٢٤٥).

(٤) ابن طاوس: «كشف المحجة»: ص ١٥٩.

(٥) الحر العاملي: «وسائل الشيعة»: (٢٠/ ٧١).

(٦) وقد اختار هذا الاسم على غرار كتاب «من لا يحضره الطبيب» للرازي. انظر: مقدمة الكتاب للمؤلف: ص ٣.

وقد طبع الكتاب مرة في طهران في مجلد ضخم، ومرات في النجف كانت الرابعة منها في عام ١٣٣٨هـ، في أربعة أجزاء[١].

وثالثها: «تهذيب الأحكام»، لشيخهم المعروف عندهم بـشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٣٦٠)، وهو أحد أصولهم الأربعة المعتبرة منذ تأليفها إلى اليوم - كما يقولون - وهو في الفروع الفقهية عندهم - كسابقه - وقد أحصيت أبوابه فكانت (٣٩٣) بابًا، وبلغت أحاديثه (١٣٥٩٠)، ولكن صرح الشيخ الطوسي في كتابه «عدة الأصول» أن أحاديث التهذيب وأخبـاره تزيد على (٥٠٠٠)، ومعنى ذلك أنها لا تصل إلا إلى (٦٠٠٠) في أقصى الأحوال. فهل زيد عليها أكثر من الضعف في العصور المختلفة؟! هذا ليس ببعيد، فكما كذبوا على الله ورسوله يكذبون على بعضهم، وقد مردوا على ذلك بحكم عقيدة التقية التي هي أساس دينهم.

وأحاديثه مرتبة على أبواب الفقه، وأشار مؤلفه إلى أنه «ترك ما يتعلق بالتوحيد والنبوة والإمامة لأن شرح ذلك يطول»، وذكر أن السبب في تأليفه هو ما آلت إليه أحاديثهم «من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه...»، واعترف بأن هذا الاختلاف قد فاق ما عند أصحاب المذاهب الأخرى، وأن هذا كان من أعظم الطعون على مذهبهم، وأنه جعل بعض الشيعة يترك التشيع لهذا السبب[٢].

ومن يطالع منهج الطوسي لمواجهة هذا الاختلاف يجد أنه قد علق كثيرًا من اختلافاتهم على التقية بدون دليل، سوى أن هذا الحديث أو ذاك يوافق أهل السنَّة، والنتيجة أنه لا

---

(١) انظر: مقدمة «من لا يحضره الفقيه»، الخوانساري: «روضات الجنات»: (٦/ ٢٣٠- ٢٣٧)، «أعيان الشيعة»: (١/ ٢٨٠).

(٢) انظر: «تهذيب الأحكام»، المقدمة: ص ٢، ٣، النوري الطبرسي: «مستدرك الوسائل»: (٣/ ٧١٩)، «الذريعة»: (٤/ ٥٠٤)، وراجع: أبو زهرة: «الإمام الصادق»: ص ٤٥٨.

دين لهم؛ لأن تعمدهم مخالفة المسلمين في أصولهم وعقائدهم ومصادرهم لا تجعل لهم مكانًا بينهم.

ورابعها: «الاستبصار فيما اختلف من الأخبار» للطوسي السابق ذكره. وهو مجرد اختصار لكتاب «التهذيب» السالف الذكر[1]، ومع ذلك جعله الشيعة أحد أصولهم.

والكتاب يقع في ثلاثة أجزاء: جزءان منه في العبادات، والثالث في بقية أبواب الفقه. بلغت أبوابه (٣٩٣) بابًا، وحصر المؤلف أحاديثه بـ (٥٥١١)، وقال: حصرتها لئلا يقع فيها زيادة أو نقصان. وقد طبع في الهند، وفي إيران[2].

هذه هي أصولهم الأربعة المعتمدة حتى اليوم باتفاقهم.

قال الفيض الكاشاني: «إن مدار الأحكام الشرعية اليوم على هذه الأصول الأربعة، وهي المشهود عليها بالصحة من مؤلفيها»[3].

وقد ألحقوا بها أربعة كتب متأخرة:

أولها: «الوافي» لشيخهم محمد بن مرتضى المعروف بملا محسن الفيض الكاشاني، توفي في كاشان سنة ١٠٩١هـ، وقد جمع في هذا الكتاب ما في الكتب الأربعة المتقدمة، ويقع في ثلاثة مجلدات كبار، وطبع في إيران. قال شيخهم محمد بحر العلوم: «وقد أحصيت أبواب الوافي - مع البابين اللذين في خاتمته - في ثلاثة وسبعين ومائتين بابًا، ويحتوي على نحو خمسين ألف حديث»[4].

---

(١) انظر مقدمة «الاستبصار» للمؤلف: ص ٢.

(٢) انظر: حسن الخرسان في تقديمه للاستبصار، محسن الأمين: «أعيان الشيعة»: (١/ ٢٨٠)، و«الذريعة»: (٢/ ١٤)، وقد وقع في «الذريعة» أن أحاديثه (٦٥٣١) وهو خلاف ما قال المؤلف.

(٣) «الوافي»: (١/ ١١).

(٤) انظر: هامش «لؤلؤة البحرين»: ص ١٢٢.

وثانيها: «بحار الأنوار الجامعة لدر أخبار الأئمة الأطهار» لشيخهم محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠ أو ١١١١)، قال شيخهم أغابزرك الطهراني عن كتاب «البحار» هذا: «لم يكتب قبله ولا بعده جامع مثله، لاشتماله مع جمع الأخبار على تحقيقات دقيقة، وبيانات وشروح لها غالبًا لا توجد في غيره»، وقال: «قد صار بحار الأنوار مصدرًا لكل من طلب بابًا من أبواب علوم آل محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -، وقد استعان بهذا الكتاب القيم جل من تأخر عن مؤلفه، وذلك لأن أكثر مآخذ البحار من الكتب المعتمدة والأصول المعتبرة القليلة الوجود»[١]. وقد حوى هذا الكتاب من الكفر فأوعى، ولو قلبت نظرك في أبوابه وصفحاته لرأيت ظلماتٍ بعضها فوق بعض.

وثالثها: «وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة»، تأليف شيخهم محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤).

وهذا الكتاب عبارة عن نقول من «الكتب الأربعة» عندهم، بالإضافة إلى أكثر من سبعين كتابًا موجودًا عند مؤلفه كما يقول: «وما ندري لِمَ لَمْ يعرفها أوائلهم وينقلوها في مجاميعهم»، كما أن هناك (٧٠) كتابًا نقل بالواسطة عن طريق بعض كتبهم مشايخهم.

وهذا الجامع خاص بأحاديثهم في الأحكام، ويعتبرونه أجمع كتاب لهم في ذلك، وقد رتبه وبوبه مؤلفه على ترتيب كتب الفقه، وطبع الكتاب في ثلاثة مجلدات ضخام، وطبع مرة أخرى في تسعة مجلدات تضم عشرين جزءًا.

ورابعها: «مستدرك الوسائل»، لشيخهم المتأخر حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، وهو مؤلف كتاب «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب» الذي يعتبر أكبر عار وسبة وفضيحة على الشيعة أبد الدهر، ومع هذا جعلوا كتابه «مستدرك الوسائل» من كتبهم الأساسية والمعتمدة في الحديث.

---

(١) «الذريعة»: (٣/ ٢٦- ٢٧).

قالوا: «والدافع لتأليفه عثور المؤلف على بعض الكتب المهمة التي لم تسجل في جوامع الشيعة من قبل»[(١)].

وهناك كتب كثيرة عندهم قالوا: إنها في الاعتبار والاحتجاج كالكتب الأربعة، كما ذكر ذلك المجلسي في مقدمة بحاره[(٢)]، والحر العاملي في الوسائل[(٣)]، وكما نجد ذلك في مقدمات تلك الكتب. ويبدو أن تخصيص ما سلف بالذكر، إما لأنها مجاميع كبيرة، أو قد يكون لمجرد محاكاة أهل السنة وللدعاية المذهبية، ومما يوضح ذلك أنهم اعتبروا مثلًا من المجاميع الثمانية المتقدمة كتاب الوافي، وعدوه أصلًا مستقلًّا، مع أنه عبارة عن جمع لأحاديث الكتب الأربعة المتقدمة (الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه) فكيف يعد أصلًا خامسًا، ومستقلًّا، وهو تكرار لأحاديث الكتب الأربعة؟!

وكذلك اعتبروا (الاستبصار) للطوسي مصدرًا مستقلًّا من المصادر الأربعة المتقدمة، وهو لا يعدو أن يكون اختصارًا لكتاب (تهذيب الأحكام) للطوسي، كما صرح بذلك الطوسي في مقدمة (الاستبصار)[(٤)]، وكما يبدو واضحًا لمن شاء المقارنة بين الكتابين، فالدعاية المذهبية واضحة في صنيعهم هذا.

ثم إن مضامين هذه المصادر ليست أحاديث رسول الله ﷺ، كما أنها ليست من أقوال أئمة أهل البيت، بل هي ما ينسبه الكليني والمجلسي والطبرسي -وهم ممن يجاهر بالقول بتحريف القرآن- إليهم، فروايات الشيعة في كتبها كلها منسوبة إلى الأئمة الاثني عشر، ومعظمها مروي عن جعفر الصادق، وقليل منها - بل نادرٌ ولا يكاد يوجد إلا بكلفة -

---

(١) «الذريعة»: (٤١/١٠٩).

(٢) انظر: (١/٢٦)، قال المجلسي بأن كتب الصدوق ما عدا خمسة فيها لا تقصر في الاشتهار عن الكتب الأربعة (نفس الموضع من المرجع السابق). وقال: «وكتاب بصائر الدرجات من الأصول المعتبرة التي روى عنها الكليني وغيره». (السابق: ١/٢٧)، وهكذا قال في عدد كبير من كتبهم.

(٣) انظر: وسائل الشيعة ج ٢٠ (الخاتمة).

(٤) الاستبصار: ١/٢-٣.

مروي عن رسول الله ﷺ، بل أشار شيخهم الحر العاملي إلى أنهم يتجنبون رواية ما يرفع إلى النبي ﷺ خشية أن يكون من روايات أهل السنة[(١)].

إذن هذه الطائفة «لا تعتني بحديث رسول الله ﷺ ومعرفة صحيحه من سقيمه والبحث عن معانيه، ولا تعتني بآثار الصحابة والتابعين حتى تعرف مآخذهم ومسالكهم، وترد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول»[(٢)].

بل عمدتها ما تزعم روايته عن بعض أهل البيت وليس كل أهل البيت، فقد رد الطوسي روايات زيد بن علي بن الحسين[(٣)]، وكفر هؤلاء جملة من أهل البيت لا لشيء إلا لأنهم لم يصدقوا بدعوى إمامة الاثني عشر[(٤)].

---

(١) انظر: وسائل الشيعة: ٢٠/ ٣٩١.

(٢) منهاج السنة: ٣/ ٤٠.

(٣) انظر: الاستبصار: ١/ ٦٦.

(٤) انظر: أصول الكافي: ١/ ٣٧٢، بحار الأنوار: ٢٥/ ١١٢-١١٤.

» المطلب الثالث: العدوان على إجماع الأمة:

الإجماع من أصول أهل الإسلام، وهو الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة الذي يعتمد عليه في العلم والدين، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة»[١].

وقد حاولت الشيعة الباطنية الاثنا عشرية النيل من هذا الأصل العظيم الذي يجمع الأمة ويوحدها، ولهم في هذا الباب مقالات تكشف عن هذا العدوان المستتر بقناع التشيع الكاذب، نذكرها فيما يلي:

المسألة الأولى: دعواهم أن الحجة في قول الإمام، لا في الإجماع:

يقول شيخهم ابن المطهر الحلي: «الإجماع إنما هو حجة عندنا لاشتماله على قول المعصوم، فكل جماعة كثرت أو قلت كان قول الإمام في جملة أقوالها، فإجماعها حجة لأجله لا لأجل الإجماع»[٢].

إذن الإجماع ليس حجة عندهم بدون وجود الإمام الذي يعتقدون عصمته، فمدار حجية الإجماع هو على قوله لا على نفس الإجماع، فهم في الحقيقة لم يقولوا بحجية الإجماع، وإنما قالوا بحجية قول الإمام، ودعواهم الاحتجاج بالإجماع تسمية لا مسمى لها، فقول ابن المطهر: «الإجماع حجة عندنا» من لغو القول؛ إذ الأصل أن يقول: الإجماع ليس بحجة عندنا، لأن الحجة في قول الإمام المعصوم.. لأن هذا هو مقتضى مذهبهم، فهم جعلوا الإمام بمثابة النبي أو أعظم؛ فهو عندهم ينكت في أذنه، ويأتيه الملك، بل يرى خلقًا أعظم من جبرائيل وميكائيل[٣]، فهم ليسوا بحاجة للإجماع والإمام حاضر

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: (٣/ ٣٤٦).

(٢) ابن المطهر، تهذيب الوصول إلى علم الأصول: (ص: ٧٠)، ط: طهران (١٣٠٨هـ).

(٣) انظر نصوصهم في ذلك من مصادرهم المعتمدة في: «أصول مذهب الشيعة» (١/ ٣١٢).

بينهم، كما أن الصحابة ليسوا بحاجة للإجماع والرسول حاضر بينهم.

فعندهم في كل عصر نبي يسمى الإمام، والحجة في قوله لا في الإجماع، ولهذا قالوا: «ونحن لما ثبت عندنا بالأدلة العقلية والنقلية كما هو مستقصى في كتب أصحابنا الإمامية أن زمان التكليف لا يخلو من إمام معصوم حافظ للشرع يجب الرجوع إلى قوله فيه، فمتى اجتمعت الأمة على قول كان داخلًا في جملتها لأنه سيدها، والخطأ مأمون على قوله، فيكون ذلك الإجماع حجة. فحجية الإجماع عندنا إنما هو باعتبار كشفه عن الحجة التي هي قول المعصوم»[(١)].

والأرض لا تخلو من إمام، لأنه - كما يزعمون - «لو خلت الأرض من إمام لساخت»[(٢)]، والحجة في قوله لا في الإجماع، ومعنى هذا استمرار تعطيل مبدأ الإجماع.

المسألة الثانية: ما خالف العامة ففيه الرشاد:

الإجماع عند جمهور المسلمين ينظر فيه إلى إجماع الأمة، لأن الأمة لا يمكن أن تجتمع على ضلالة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»[(٣)].

أما طائفة الاثني عشرية فلم يكتفوا بالإعراض عن إجماع الأمة وإنكار حجيته، بل تجاوزوا ذلك إلى القول بأن مخالفة إجماع المسلمين هو الحجة، وأن علامة إصابة الحق هو

---

(١) النحاريري/ معالم الدين: ص٤٠٦.

(٢) أصول الكافي: ١/ ١٧٩.

(٣) رواه مسلم ح(١٠٣٧).

في الأخذ بما خالف المسلمين، حتى اعتبروا مبدأ المخالفة أصلًا من أصول الترجيح عند اختلاف رواياتهم، وجاءت عندهم نصوص كثيرة تؤكد هذا المبدأ وتدعو إليه.

جاء في أصول الكافي أن أحد الشيعة سأل إمامه قائلًا: «إذا وجدنا أحد الخبرين موافقًا للعامة (يعني أهل السنة) والآخر مخالفًا لهم؛ بأي الخبرين يؤخذ؟ فقال: ما خالف العامة ففيه الرشاد، فقلت (القائل هو الراوي): جعلتُ فداك، فإن وافقها الخبران جميعًا؟ قال: ينظر إلى ما هم إليه أميل حكامهم وقضاتهم، فيترك ويؤخذ بالآخر، قلت: فإن وافق حكامهم الخبرين جميعاً؟ قال: إذا كان ذلك فأرجه حتى تلقى إمامك، فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات»[(١)].

وذكر ثقتهم الكليني أن من وجوه التمييز عند اختلاف رواياتهم قول إمامهم: «دعوا ما وافق القوم فإن الرشد في خلافهم»[(٢)].

كما يوصون أتباعهم حين ينزل بهم أمر ويحتاجون فيه إلى فتوى ولا يجدون من يفتيهم من شيوخهم، فعليهم حينئذٍ أن يتوجهوا إلى العالم من أهل السنة فيستفتونه لا للعمل بفتواه، بل للعمل بنقيضها، ففي كتابهم (الكافي): عن علي بن أسباط قال: قلت للرضا: يحدث الأمر لا أجد بدًّا من معرفته، وليس في البلد الذي أنا فيه أحد أستفتيه من مواليك، قال: «ائت فقيه البلد، فاستفته عن أمرك، فإذا أفتاك بشيء فخذ بخلافه، فإن الحق فيه»[(٣)].

وعلق على هذا النص أحد شيوخهم، فقال: «من جملة نعماء الله على هذه الطائفة المحقة أنه خلى بين الشيطان وبين علماء العامة، فأضلهم في جميع المسائل النظرية حتى يكون

---

(١) أصول الكافي: (١/ ٦٧-٦٨).

(٢) أصول الكافي، خطبة الكتاب (ص:٨)، وانظر: وسائل الشيعة: (١٨/ ٨٠).

(٣) علل الشرائع: ص ٥٣١، التهذيب: ٦/ ٢٩٥، وسائل الشيعة: ١٨/ ٨٢-٨٣، وبحار الأنوار: ٢/ ٢٣٣.

الأخذ بخلافهم ضابطة لنا، ونظيره ما ورد في حق النساء شاوروهن وخالفوهن»[(١)].

قال الآلوسي معلقًا على هذا الاعتقاد: «فجعلوا مخالفة أهل السنة والجماعة الذين هم على ما كان عليه الرسول وأصحابه -رضوان الله عليهم- أجمعين أصلًا للنجاة، فصار كلما فعل أهل السنة شيئًا تركوه، وإن تركوا شيئًا فعلوه، فخرجوا بذلك عن الدين رأسًا، وذلك هو الضلال المبين باليقين»[(٢)].

---

(١) الإيقاظ من الهجعة: للحر العاملي، ص ٧٠-٧١.

(٢) كشف غياهب الجهالات: الورقة ٦ (مخطوط).

ثانيًا: العدوان الباطني على أصول الإيمان

» المطلب الأول: العدوان الباطني على الإيمان بالله:

المسألة الأولى: مقالتهم في توحيد الربوبية:

لقد جعلوا في مصادرهم الأئمة أربابًا من دون الله، وأحيوا السبئية الأولى الذين ألهوا عليًّا من دون الله تعالى، فقد جاء في أخبارهم أن عليًا - كما يفترون عليه - قال: أنا رب الأرض، الذي يسكن الأرض به[1]. فانظر إلى هذا التطاول والغلو!! فهل رب الأرض إلا الواحد القهار؟! وهل يمسك السماوات والأرض إلا خالقهما سبحانه ومبدعهما؟!

وفي قوله سبحانه: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٨٧] قالوا: يرد إلى أمير المؤمنين فيعذبه عذابًا نكرًا[2].

وفي رواياتهم: عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله -عليه السلام- فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله -عليه السلام-: «أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين -عليه السلام-»[3].

يعني كل ما وقع من رعد وبرق فهو من أمر عليٍّ رضي الله عنه، لا من أمر الواحد القهار. فماذا يستنبط المسلم المنصف من هذه الرواية!؟ والله جل شأنه يقول: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢].

ويعتقدون أيضًا أن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بهما كيف يشاء، فقد عقد

---

(١) مرآة الأنوار (ص:٥٩)، وقد نقل ذلك عن بصائر الدرجات للصفَّار.

(٢) مرآة الأنوار (ص:٥٩)، وقد عزاه إلى كنز الفوائد.

(٣) الاختصاص (ص٣٢٧)، بحار الأنوار: ٢٧/ ٣٣، البرهان: ٢/ ٤٨٢.

صاحب الكافي لهذا بابًا بعنوان: «باب أن الأرض كلها للإمام»[١]، ومما جاء فيه: عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: «أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله...»[٢].

وهذا شرك صريح في ربوبية الله سبحانه؛ لأن الله جل شأنه يقول: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٧]، ويقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

ومن عقائدهم أن هناك جزءًا إلهيًا حلَّ في الأئمة بزعمهم، قال أبو عبد الله: «ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا»[٣]، وقال: «..ولكن الله خلطنا بنفسه..»[٤].

وهذا الجزء الإلهي الذي في الأئمة - كما يزعمون - أعطوا به قدرات مطلقة، ولذلك فإن من يقرأ ما يسمونه معجزات الأئمة - وتبلغ مئات الروايات - يلاحظ أن الأئمة أصبحوا كرب العالمين - تعالى الله وتقدس عما يقولون - في الإحياء والإماتة، والخلق والرزق[٥].

فهذا -مثلًا- عليٌّ يُحْيِي الموتى، فيقولون بأنه أحيا موتى مقبرة الجبانة بأجمعهم[٦]، وضرب الحجر فخرجت منه مائة ناقة[٧]. وقال سلمان - كما يفترون -: «لو أقسم أبو الحسن على الله أن يحيي الأوّلين والآخرين لأحياهم»[٨].

---

(١) انظر: أصول الكافي: (١/ ٤٠٧-٤١٠).

(٢) أصول الكافي: (١/ ٤٠٩).

(٣) أصول الكافي: (١/ ٤٤٠)، وبحار الأنوار: (١/ ٤٤١-٤٤٢).

(٤) أصول الكافي: (١/ ٤٣٥).

(٥) انظر: بحار الأنوار، باب جوامع معجزاته (يعنون عليًا): (٤٢/ ١٧-٥٠).

(٦) بحار الأنوار: (٤١/ ١٩٤)، وعزاه إلى الخرائج والجرائح.

(٧) بحار الأنوار: (٤١/ ١٩٨).

(٨) بحار الأنوار: (٤١/ ٢٠١)، الخرائج والجرائح (ص:٨٢).

ولا يزال بعض مراجع هذه الطائفة يهذي بهذا الضلال، وقال أحد آياتهم في علي بن أبي طالب رضي الله عنه عين ما قالته السبئية الأولى الذين حرَّقهم عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث قال:

أبـا حـسـنٍ أنـت عـين الإلـه
وعـنـوان قـدرتـه السـامـيـة
وأنـت المـحـيـط بـعـلـم الـغـيـوب
فـهـل عـنـك تـعـزب مـن خـافـيـة؟
وأنـت مـدبـر رحـى الـكـائـنـات
وعـلـة إيجـادهـا الـبـاقـيـة
لـك الأمـر إن شـئـت تـنـجي غـدًا
وإن شـئـت تـسـفـع بـالـنـاصـيـة[9]

المسألة الثانية: مقالتهم في توحيد العبادة:

توحيد العبادة هو إخلاص العبادة لله، وعدم صرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره؛ لأنه سبحانه المستحق أن يُعبد وحده لا شريك له.

وهذا التوحيد هو الذي دعت إليه الرسل؛ لأن إقرار أقوامهم بتوحيد الربوبية معلوم، كما أخبر الله تعالى عن أنبيائه نوح، وهود، وصالح، وشعيب أنهم قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف، آيات:٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، وأخبر سبحانه أن هذه دعوة الرسل عامة، فقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل، آية:٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء، آية:٢٥].

(٩) «ديوان الحسين»: الجزء الأول من القسم الثاني الخاص بالأدب العربي، ص ٤٨.

أما مفهوم التوحيد عند هؤلاء الروافض فهو إفراد الأئمة الاثني عشر بالإمامة، والشرك عندهم هو أن يتخذ الناس إمامًا أو حاكمًا غيرهم، ولذلك فإن نصوص القرآن التي تأمر بعبادة الله وحده، غيروا معناها إلى الإيمان بإمامة علي والأئمة، والنصوص التي تنهى عن الشرك جعلوا المقصود بها النهي عن الشرك في ولاية الأئمة.

أ - ففي قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر، آية:٦٥].

جاء في الكافي(١) - أهم مصادرهم -، وفي تفسير القمي(٢) - عمدة تفاسيرهم - وفي غيرهما تفسيرها بما يلي: «يعني إن أشركت في الولاية غيره»، وفي لفظ آخر: «لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك».

وقد جاء في سبب نزولها عندهم: «... إن الله تعالى حيث أوحى إلى نبيه ﷺ أن يقيم عليًا للناس علمًا اندس إليه معاذ بن جبل فقال: أشرك في ولايته الأول والثاني (يعنون أبا بكر وعمر) حتى يسكن الناس إلى قولك ويصدقوك، فلما أنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة، آية:٦٧]، شكا رسول الله ﷺ إلى جبرائيل فقال: إن الناس يكذبوني ولا يقبلون مني، فأنزل الله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٣).

وحتى يدرك القارئ مدى تحريفهم لآيات الله، نسوق الآية وما قبلها وما بعدها:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ

---

(١) أصول الكافي: (١/ ٤٢٧) رقم (٧٦).
(٢) تفسير القمي: (٢/ ٢٥١).
(٣) البرهان: (٤/ ٨٣).

وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤ - ٦٦]، فهي واضحة الدلالة في الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، ولهذا قال ابن جرير: «ومعنى الكلام: ولقد أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك، ولتكونن من الخاسرين، وإلى الذين من قبلك، بمعنى: وإلى الذين من قبلك من الرسل من ذلك، مثل الذي أوحي إليك منه، فاحذر أن تشرك بالله شيئا فتهلك»[1].

ب - وفي قوله جل وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء، آية:٢٥]، والآية تبين أن أصل دعوة الرسل وزبدة رسالاتهم ومفتتح دعوتهم هو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، لكن الروافض بمقتضى عقيدتهم الباطلة يقولون في تأويلها: «ما بعث الله نبيًّا قط إلا بولايتنا، والبراء من أعدائنا»[2].

المسألة الثالثة: اعتقادهم أن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله:

جاء في الكافي وغيره: «إن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجّة»[3].

وحينما قال أحد الشّيعة لإمامه: «إني حججت تسع عشرة حجة، وتسع عشرة عمرة» أجابه الإمام - بأسلوب يشبه السخرية - قائلًا: «حج حجة أخرى، واعتمر عمرة أخرى، تكتب لك زيارة قبر الحسين»[4]. يعني أن عشرين حجة وعمرة لا تساوي في مقاييس هؤلاء الوثنيين سوى زيارة واحدة لقبر الحسين.

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٢٤٤).

(٢) البرهان: (٢/ ٣٦٧)، تفسير العياشي (انظر: المصدر السابق)، تفسير الصافي: (٣/ ١٣٤).

(٣) فروع الكافي: (١/ ٣٢٤)، ثواب الأعمال: لابن بابويه (ص:٥٢)، تهذيب الأحكام: (٢/ ١٦)، كامل الزّيارات: (ص:١٦١)، وسائل الشّيعة: (١٠/ ٣٤٨).

(٤) تهذيب الأحكام (٢/ ١٦)، وسائل الشّيعة (١٠/ ٣٤٨)، بحار الأنوار: (١٠١/ ٣٨).

وفي (وسائل الشيعة) - أحد أهم مصادرهم المعتمدة -: «لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقًا، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات، قلت: وما فيه؟ قال: من زاره تشوقًا إليه كتب الله له ألف حجة متقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظًا سنته من كل آفة أهونها الشيطان، ووكل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرّحمن يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له ويشيّعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويفسح له في قبره مدّ بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير يروعانه، ويفتح له باب إلى الجنة، ويعطى كتابه بيمينه، ويعطى له يوم القيامة نور يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي مناد: هذا من زار الحسين شوقًا إليه، فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمنّى يومئذ أنّه كان من زوّار الحسين - عليه السلام -»[1].

وليست زيارة قبر الحسين عند هؤلاء أفضل من الحج فحسب، بل أفضل الأعمال، جاء في رواياتهم أنّ زيارة قبر الحسين «أفضل ما يكون من الأعمال»[2]. وفي رواية أخرى «من أحبّ الأعمال زيارة قبر الحسين»[3]. ووضع المجلسي في ذلك بابًا بعنوان «باب أن زيارته - عليه السلام - من أفضل الأعمال» ذكر فيه جملة من جنس هذه الروايات[4].

وهكذا تنسى شرائع الإسلام وأوامره، ويهتم هؤلاء بالقبور والأضرحة، ويجعلونها من أفضل الأعمال بلا دليل إلا ما صنعته أوهامهم وأوحاه لهم شياطينهم، ليشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله.

---

(١) كامل الزّيارات: ص١٤٣، وسائل الشيعة: ١/ ٣٥٣، بحار الأنوار: ١٠١/ ١٨.

(٢) كامل الزّيارات (ص١٤٦)، بحار الأنوار (١٠١/ ٤٩).

(٣) كامل الزّيارات (ص١٤٦)، بحار الأنوار (١٠١/ ٤٩).

(٤) بحار الأنوار (١٠١/ ٤٩).

المسألة الرابعة: عدوانهم على قبلة المسلمين:

قبلة المسلمين، وأقدس مقدساتهم، وأفضل البقاع بيت الله الحرام، تقول روايات الاثني عشرية بأنها ليست إلا ذنبًا ذليلًا مهينًا لأرض كربلاء[1].

وينسبون لجعفر الصادق - برأه الله مما يفترون -: «إن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فجٍّ عميق وجعلت حرم الله وأمنه!؟

فأوحى الله إليها - كما يفترون - أن كفي وقرّي ما فضل ما فضّلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمنه أرض كربلاء ما خلقتك، ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقرّي واستقري وكوني ذنبًا متواضعًا ذليلًا مهينًا غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم»[2].

ولكن الكعبة لم تأخذ بالنصيحة كما تقول روايات الشيعة!! فلم تتواضع لأرض كربلاء، وتصبح كالذنب الذليل المهين لها، فحلت بها العقوبة، بل إن العقوبة - كما يقولون - وقعت على كل ماء وأرض ما عدا كربلاء، قالوا في رواياتهم: «.. فما من ماء ولا أرض إلا عوقبت لترك التواضع لله، حتى سلط الله على الكعبة المشركين، وأرسل إلى زمزم ماء مالحًا حتى أفسد طعمه.. »[3].

إن هذه الأسطورة من وضع من لا يحسن الوضع، وكذب من لا يعرف كيف يكذب، فهي من وضع زنديق جاهل؛ لأن حادثة الفيل كانت قبل بعثة الرسول ﷺ، بل كانت سنة مولده ﷺ، أما كربلاء فهي المكان الذي يزعمون أنه قتل فيها الحسين

(١) كامل الزيارات (ص٢٧٠)، بحار الأنوار (١٠١/ ١٠٩).
(٢) كامل الزيارات: (ص:٢٧٠)، بحار الأنوار: (١٠١/ ١٠٩).
(٣) كامل الزيارات: (ص:٢٧٠)، بحار الأنوار: (١٠١/ ١٠٩).

رضي الله عنه عام (٦١هـ)، ومع ذلك ما فتئ ثلة من شيوخهم المعاصرين يجاهرون - بلا وجل أو خجل - بهذه الأسطورة، ويرددون بأن كربلاء أفضل من الكعبة المشرفة، فهذا كبير مراجع الشيعة المعاصرين، وأحد من يتزعم الدعوة للتقريب بين السنة والشيعة يترنم - مخالفًا لنص القرآن وإجماع المسلمين - بهذا البيت الوثني وهو قوله:

ومـــن حـــديـــث كـــربـــلا والـــكـــعـــبـــة

لـــكـــربـــلا بـــان عُـــلْـــو الـــرتـــبـــة

والحديث الذي يشير إليه في هذا البيت هو أسطورتهم السابقة.

وهو يرى أن عقيدة تفضيل أوثانهم على بيت الله الحرام من ضرورات مذهبهم، فيقول بأن كربلاء «أشرف بقاع الأرض بالضرورة»[1]؛ لأنه قد شهدت بذلك آثارهم وأخبارهم.

المسألة الخامسة: قولهم في أسماء الله وصفاته:

أولاً: التجسيم: كان بدء ظهور التَّشبيه في الإسلام من الرّوافض مثل هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي، وأبي جعفر الأحول[2].

وكل هؤلاء الرجال المذكورين هم ممن تعدهم الاثنا عشرية في الطليعة من شيوخها، والثقات من نقلة مذهبها، كما يعترف بذلك شيوخهم المعاصرون[3]، ولذا قرر ابن

---

(١) الأرض والتربة الحسينية: لمحمد حسين آل كاشف الغطاء، ص٥٥-٥٦.

(٢) انظر: اعتقادات فِرق المسلمين والمشركين: ص٩٧.

(٣) انظر: محسن الأمين/ أعيان الشيعة: ١/ ١٠٦، وهؤلاء في كتب الفرق أصحاب طوائف منسوبة لأسمائهم. قال الأشعري: «الهشامية أصحاب هشام بن الحكم..» (مقالات الإسلاميين: ١/ ١٠٦)، و«اليونسية أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي» (السابق: ١/ ١١٠)، و«الهشامية أصحاب هشام ابن سالم الجواليقي» (السابق: ١/ ١٠٩)، والجميع ينتظمهم سلك الرفض.

المرتضى اليماني أن جُلَّ الروافض على التجسيم إلا من اختلط منهم بالمعتزلة[١].

ثم انتقلوا من تشبيه الخالق جل وعلا بالمخلوق الذي كان عليه أوائلهم إلى تشبيه المخلوق بالخالق، فزعموا أن الأئمة هم أسماء الله الحسنى، فأسماء الله سبحانه التي ذكرها في كتابه هي - على حد زعمهم - عبارة عن الأئمة الاثني عشر، روى الكليني في أصل الكافي عن أبي عبد الله في قول الله تعالى: ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف، آية: ١٨٠]، قال: «نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملًا إلا بمعرفتنا»[٢]. وزعموا أن أمير المؤمنين عليًا قال: «أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا حبيب الله، وأنا باب الله»[٣].

ثانيًا: التعطيل: وبعد هذا الغلو الذي أوقعهم في التشبيه والتجسيم تغير المذهب في أواخر المائة الثالثة؛ حيث تأثر بمذهب المعتزلة في تعطيل البارئ سبحانه من صفاته الثابتة له في الكتاب والسنة، فاتخذوا تعطيل الباري جل وعلا عن صفاته العلا مذهبًا ومسلكًا، وسار شيوخهم على هذا النهج من المائة الرابعة كالمفيد، والموسوي الملقب بالشريف المرتضى، وأبي جعفر الطوسي، واعتمدوا في ذلك على كتب المعتزلة[٤].

وكثير مما كتبوه في ذلك منقول عن المعتزلة نقل المسطرة، وكذلك ما يذكرونه في تفسير القرآن في آيات الصفات والقدر ونحو ذلك هو منقول من تفاسير المعتزلة[٥].

---

(١) المنية والأمل ص١٩، وانظر: نشوان الحميري/ الحور العين ص١٤٨-١٤٩.
(٢) أصول الكافي: (١/ ١٤٣-١٤٤).
(٣) أصول الكافي: (١/ ١٤٥)، بحار الأنوار: (٢٤/ ١٩٤).
(٤) انظر: منهاج السنة: ١/ ٢٢٩.
(٥) منهاج السنة: ١/ ٣٥٦.

» المطلب الثاني: العدوان الباطني على الإيمان بالملائكة:

وقد نال هذا الركن من أركان الإيمان نصيبه من تحريفهم وكفرهم وعدوانهم، فقد جعلوا من ملائكة الرحمن خدمًا للأئمة، حيث جاء في آخر حديث طويل لهم: «إن جبرائيل دعا أن يكون خادمًا للأئمة، قالوا: فجبريل خادمنا»(١)، قالوا: «إن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا»(٢).

ولا ريب أنه لا يقول هذا القول إلا من لا يعرف قدر الملائكة - عليهم السلام - ومقامهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فتسمية جبريل رسول الله إلى محمد ﷺ خادمًا له؛ عبارة من لا يعرف قدر الملائكة، وقدر إرسال الله لهم إلى الأنبياء»(٣).

بل إن الملائكة خلقوا بزعمهم من نور علي رضي الله عنه، تقول أخبارهم: «خلق الله من نور وجه علي بن أبي طالب سبعين ألف ملك يستغفرون له ولمحبيه إلى يوم القيامة»(٤)، ويقولون: «خلق الله الملائكة من نور عليٍّ»(٥).

وزعموا أن حياة الملائكة متوقفة على محبة عليٍّ والاستغفار لشيعته؛ لأن هذا بمثابة طعامهم وشرابهم، فقالوا: «ليس لهم طعام ولا شراب إلا الصلاة على علي بن أبي طالب ومحبيه، والاستغفار لشيعته المذنبين»(٦)، «وكانت الملائكة لا تعرف تسبيحًا ولا تقديسًا من قبل تسبيحنا (يعني تسبيح الأئمة) وتسبيح شيعتنا»(٧).

---

(١) بحار الأنوار: ٢٦/ ٣٤٤-٣٤٥، إرشاد القلوب: ص ٢١٤، كنز جامع الفوائد: ص ٤٨٣.
(٢) بحار الأنوار: ٢٦/ ٣٣٥، ابن بابويه/ إكمال الدين: ص ١٤٧، عيون أخبار الرضا: ١/ ٢٦٢، علل الشرائع: ص ١٣.
(٣) منهاج السنة النبوية (٤/ ٦٦).
(٤) كنز جامع الفوائد: (ص:٣٣٤)، بحار الأنوار: (٢٣/ ٣٢٠).
(٥) المعالم الزلفى: (ص:٢٤٩).
(٦) بحار الأنوار: ٢٦/ ٣٤٩.
(٧) جامع الأخبار لابن بابويه: (ص٩)، بحار الأنوار: (٢٦/ ٣٤٤).

وقد زعموا أن من ملائكة الرحمن من لا وظيفة لهم إلا البكاء على قبر الحسين، والتردد لزيارته، قالوا: «وكَّل الله بقبر الحسين أربعة آلاف ملك شعثٍ غبر يبكونه إلى يوم القيامة..»[1].

بل إن الملائكة تتولى رعاية أطفالهم، حتى قالوا: «هم ألطف بصبياننا منا بهم»[2].

وهم من كانوا يعلمون الملائكة، قالوا: «كانت الملائكة لا تعرف تسبيحًا ولا تقديسًا من قبل تسبيحنا (يعني تسبيح الأئمة) وتسبيح شيعتنا»[3].

ومن مقالاتهم وشذوذهم أنهم يدعون أن الشيعي إذا خلا بصاحبه اعتزلهم الحفظة من الملائكة فلم يكتبوا عليهم شيئًا، يقولون: «إذا التقى الشيعي مع الشيعي يتساءلان، قالت الحفظة: اعتزلوا بنا، فإن لهم سرًا وقد ستره الله عليهما»[4]، مع أن الله سبحانه يقول: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

---

(١) وسائل الشيعة: (١٠/ ٣١٨)، فروع الكافي: (١/ ٣٢٥)، ثواب الأعمال: (ص:٤٩)، كامل الزيارات: (ص:١٨٩).

(٢) بحار الأنوار: ٢٦/ ٣٥٤، بصائر الدرجات: ص٢٦.

(٣) جامع الأخبار لابن بابويه: ص٩، بحار الأنوار: ٢٦/ ٣٤٤.

(٤) وسائل الشيعة: ٨/ ٥٦٣-٥٦٤.

» المطلب الثالث: العدوان الباطني على الإيمان بالكتب:

تضمنت كتب الشيعة الأصيلة، ومراجعها المعتبرة عندهم دعاوى عريضة، ومزاعم خطيرة ليس لها وجود في عالم الواقع، ولا يرى لها عين ولا أثر، وليس لها في كتب الأمة شاهد ولا خبر.

لقد زعموا كحال المتنبئين الدجالين أن هناك كتبًا مقدسة نزلت من السماء بوحي من رب العزة جل علاه إلى الأئمة، وأحيانًا تورد مصادرهم نصوصًا وروايات يزعمون أنها مأخوذة من تلك الكتب، وعلى هذه الروايات المدعى أخذها من تلك الكتب تبنى عقائد ومبادئ، لقد زعموا نزول مصحفٍ إلهي من رب العالمين على فاطمة يسمونه مصحف فاطمة، ومصحفٍ آخر يسمونه لوح فاطمة، ثم توسعوا في الدعاوى في هذا الباب حتى قالوا بنزول اثنتي عشرة صحيفة من الله على الأئمة، وهم في هذه الدعاوى لا يختلفون عما يدعيه قديماً مسيلمة الكذاب وسجاح وبيان بن سمعان والمغيرة بن سعيد وغيرهم من الدجالين من نزول الوحي عليهم، كما لا يختلفون عما يدعيه الدجالون المتأخرون والمعاصرون أمثال القاديانية والبابية والبهائية، وفيما يلي نبذة عن هذه الدعاوى:

١- مصحف فاطمة:

تدعي كتب الشيعة نزول مصحف بعد وفاة الرسول ﷺ يسمونه مصحف فاطمة، وهو مثل القرآن الذي أنزله الله على عبده ورسوله ثلاث مرات، وليس فيه من القرآن حرف واحد.

روى الكليني في «الكافي» - بسند صحيح كما يقول علماؤهم[1] - عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبدالله (جعفر الصادق) ثم ذكر حديثًا طويلًا في ذكر العلم الذي أودعه الرسول ﷺ عند أئمة الشيعة - فيما يزعمون - وفيه قول أبي عبدالله - كما يروون -:

(١) انظر: «الشافي شرح أصول الكافي»: (٣/ ١٩٧).

«وإن عندنا لمصحف فاطمة - عليها السلام - قال أبو بصير: قلت: وما مصحف فاطمة - عليها السلام -؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات[١]، ما فيه من قرآنكم حرف واحد»[٢].

وإذا سألتهم: أين هذا المصحف؟ قالوا: إنه لدى مهديهم المنتظر، والذي لا وجود له إلا في خيالاتهم، فهو كتاب موهوم عند منتظر معدوم، وهذه الدعاوى باطلة عقلًا ونقلًا، ولقد أكمل الله لنا الدين وأتم علينا النعمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ويقول تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

٢- لوح فاطمة:

وهذا - كما يؤخذ من رواياتهم - غير مصحف فاطمة، لأن مصحف فاطمة نزل - بزعمهم - بعد وفاة الرسول ﷺ بواسطة الملك، وكتبه علي من فم الملك وسلمه لفاطمة، أو نزل جملة واحدة بواسطة ثلاثة من الملائكة[٣]، أما لوح فاطمة فله صفات أخرى؛ ومنها أنه نزل على الرسول ﷺ وأهداه لفاطمة إلى غير ذلك من أوصافه، وقد نقلوا عنه بعض النصوص التي تؤيد أساطيرهم، ويبدو أن هذا الخبر عن «لوح

---

(١) أخذ بعض من كتب عن الشيعة من هذه الرواية أن الشيعة يعتقدون أن ثلاثة أرباع القرآن قد حذف وأُسقط من الصحف. انظر: القصيمي: «الصراع»: (١/ ١١٠)، وإحسان إلهي ظهير: «الشيعة والسنة»: ص ٨١، وقد رد على ذلك بعض الشيعة بأن (نصهم) يدل على كون مصحف فاطمة غير القرآن. الخنيزي: «الدعوة الإسلامية»: (١/ ٤٧)، وأقول: إن الناظر في رواياتهم يجد أنها تتحدث عن مصحف لفاطمة نزل عليها من عند الله غير القرآن، وإن كان هناك حشد من الأساطير في كتبهم تزعم بأن القرآن ناقص لكن هذا النص ليس منها.

(٢) الكليني: «الكافي»، كتاب الحجة، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة: (١/ ٢٣٨).

(٣) انظر: «دلائل النبوة» لمحمد بن جرير بن رستم الطبري ص٢٧-٢٨.

فاطمة» والنص المنقول منه على درجة عالية من السرية، ففي نهاية النص أمر بكتمانه عن غير أهله، فهو سر من أسرارهم.

وإليك النص:

وروى صاحب الكافي عن أبي بصير عن أبي عبدالله قال: قال أبي لجابر بن عبدالله الأنصاري: إن لي إليك حاجة متى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ قال له جابر: في أي الأحوال أحببت، فخلا به في بعض الأيام فقال: هل يا جابر أخبرتني عن اللوح الذي رأيته في يد أُمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وما أخبرتك به أُمي أنه في اللوح مكتوب؟ فقال جابر: أشهد بالله أني دخلت على أُمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله - صلى الله عليه وآله - فهنيتها بولادة الحسين، فرأيت في يديها لوحاً أخضر ظننت أنه من زمرد، ورأيت فيه كتابًا أبيض شبه لون الشمس، فقلت لها: بأمي وأبي أنت يا بنت رسول الله، ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وآله في اسم أبي واسم بعلي واسم ابني واسم الأوصياء من ولدي وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك، قال جابر: فأعطتنيه أمك فاطمة عليها السلام فقرأته واستنسخته، فقال أبي: فهل لك يا جابر أن تعرضه علي؟ قال: نعم، فمشى معه أبي إلى منزل جابر فأخرج صحيفة من رق، فقال: يا جابر انظر في كتابك لأقرأ عليك، فنظر جابر في نسخته وقرأ أبي فما خالف حرف حرفاً، فقال جابر: أشهد بالله أني هكذا رأيته في اللوح مكتوبًا: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين عظم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي» إلى آخر هذا الهذيان[1].

---

(١) انظر نصه بتمامه في كتب الشيعة: الكليني: «الكافي»: (١/ ٥٢٧، ٥٢٨)، الفيض الكاشاني: «الوافي»، أبواب العهود، بالحجج والنصوص عليهم صلوات الله عليهم، المجلد الأول: (جـ٢/ ٧٢)، وانظر: الطبرسي: «الاحتجاج»: (١/ ٨٤- ٨٧)، ابن بابويه القمي: «إكمال الدين»:=

٣- دعواهم نزول اثنتي عشرة صحيفة من السماء تتضمن صفات الأئمة:

في حديث طويل من أحاديثهم يرويه صدوقهم ابن بابويه القمي أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قال - كما يفترون -: «إن الله تبارك وتعالى أنزل عليّ اثني عشر خاتمًا، واثنتي عشر صحيفة، اسم كل إمام على خاتمه وصفته في صحيفته»[(١)].

٤- الجفر:

كما أن لدى الأئمة الجفر الأبيض، وتقول رواياتهم في تفسيره بأنه: «وعاء من أَدَم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل»[(٢)]، ومرة تنعته بأنه: «جلد ثور ملئ علمًا»[(٣)].

وفيه كما تقول رواياتهم: «زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، وفيه ما يحتاج الناس؛ حتى إن فيه الجلدة، ونصف الجلدة، وثلث الجلدة، وربع الجلدة، وأرش الخدش»[(٤)].

وهل المسلمون بحاجة في دينهم إلى غير شريعة القرآن؟! لقد أكمل الله سبحانه لنا الدين، وختم بكتابه الكتب، ونسخ بالإسلام الأديان كلها: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ [**آل عمران، آية**: ٨٥].

وتأتي روايات أخرى عندهم تجعل من هذه الجفر ألوانًا؛ لكل لون مضمون يتناسب

=(ص ٣٠١- ٣٠٤). الطبرسي صاحب «مجمع البيان»، «أعلام الورى»: ص ١٥٢، الكراجكي: «الاستنصار»: ص ١٨. ويلاحظ أن رواة الشيعة لم يتفقوا في نقلهم لألفاظ هذا الكتاب الإلهي المزعوم، قارن مثلًا بين ما جاء في «إكمال الدين»، وما جاء في «الكافي».

(١) ابن بابويه القمي: «إكمال الدين»: ص ٢٦٣.

(٢) «أصول الكافي» (١/ ٢٣٩).

(٣) المصدر السابق: ١/ ٢٤١.

(٤) «بحار الأنوار» (٢٦/ ٣٧)، «بصائر الدرجات» (ص٤١).

مع لونه، ونكهة توافق شكله، فهناك الجفر الأبيض، وهناك الجفر الأحمر، والذي يحمل الموت الأحمر، والذي سيبعث به منتظرها، وتتوعد الرافضة بهذا الجفر الصالحين من سلف هذه الأمة وخلفها، لأنه يحكي أسطورة الانتقام الموعودة[(١)].

٥- الجامعة:

ثم عندهم رواية أخرى تقول: إن علم التشريع موجود في الجامعة لا في مصحف فاطمة، يقولون: «إن عندنا لصحيفة يقال لها: الجامعة، ما من حلال ولا حرام إلا وهو فيها حتى أرش الخدش»[(٢)].

٦- مجموع الكتب الوهمية عند الأئمة:

وفي حديث طويل لهم يرويه الكليني بسند صحيح -كما يقول علماؤهم[(٣)]- يشير إلى الكتب المقدسة الوهمية التي لدى الأئمة، وسنسوقها بطولها لأهميتها في تصور عدوانهم على الكتب الإلهية والوحي المنزل من رب العالمين، يقول النص:

«عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبدالله (ع) فقلت له: جعلت فداك، إني أسألك عن مسألة، ههنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبدالله (ع) سترًا بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ثم قال: سل عما بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله -صلى الله عليه وآله- علم عليًّا رضي الله عنه بابًا يفتح له منه ألف باب؟ قال: يا أبا محمد علَّم رسول الله -صلى الله عليه وآله- عليًّا رضي الله عنه ألف باب، يفتح من كل باب ألف باب، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: فنكت ساعة في الأرض، ثم قال: إنه لعلم وما هو بذاك.

---

(١) انظر في الجفر الأحمر: «أصول الكافي» (١/ ٢٤٠).

(٢) «بحار الأنوار» (٢٦/ ٢٣)، عن «بصائر الدرجات» (ص٣٩٠).

(٣) انظر: «الشافي في شرح أُصول الكافي»: (٣/ ١٩٧).

قال: ثم قال: يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعًا بذراع رسول الله -صلى الله عليه وآله- وإملائه من فلق فيه، وخط عليٍّ بيمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش، وضرب بيده إليَّ فقال: تأذن لي يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: حتى أرش هذا -كأنه مغضب- قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك.

ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا الجفر، وما يدريهم ما الجفر؟ قال: قلت: وما الجفر؟ قال: وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، قال: قلت: إن هذا هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك.

ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة (ع) وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إنه لعلم وما هو بذاك.

ثم سكت ساعة ثم قال: إنَّ عندنا علم ما كان، وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة. قال: قلت: جعلت فداك هذا والله وهو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك.

قال: قلت: جعلت فداك، فأيّ شيء العلم؟ قال: ما يحدث بالليل والنهار، الأمر من بعد الأمر، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة»[1].

وهذه الأسطورة يكذب آخرها أولها، كما هو ظاهر، ففي أول النص لا يعلم الإمام من كان وراء الجدار حتى يرفع سترًا بينه وبين آخر، وفي آخر النص الإمام يعلم ما كان وما يكون ولا يخفى عليه شيء!!

---

(١) «الكافي»: الكليني، كتاب الحجة، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة... إلخ (١/ ٢٣٨- ٢٤٠).

ومزاعمهم في هذا الباب كثيرة.

وهكذا يحاول القوم أن يسلكوا كل وسيلة لتثبيت معتقدهم في الأئمة، بعد أن زلزل ذلك خلو كتاب الإسلام العظيم «مما يثبتها»، فراحوا يزعمون تنزل كتب إلهية مع القرآن، فكانت هذه الدعوى فضيحة أخرى تضاف لقائمة فضائحهم وأكاذيبهم.

» المطلب الرابع: العدوان الباطني على الإيمان بالرسل:

الرّسل أفضل البشر وأحقّهم بالرّسالة؛ حيث أعدّهم الله تعالى لكمال العبوديّة والتّبليغ والدّعوة والجهاد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤]، فهم قد امتازوا «برتبة الرسالة عن سائر النّاس»، ولا يفضل أحد من البشر عليهم. وقد ذكر الإمام محمد ابن عبد الوهاب أن «من اعتقد في غير الأنبياء كونه أفضل منهم ومساويًا لهم فقد كفر»، وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من العلماء[١]. أما عدوان هؤلاء الباطنيين الروافض على أصل الإيمان بالرسل فيتمثل فيما يلي:

المسألة الأولى: تفضيلهم الأئمة على الأنبياء:

قرّر شيخهم الحر العاملي صاحب الوسائل أنّ تفضيل الأئمّة الاثني عشر على الأنبياء من أصول مذهب الشّيعة[٢]، وقال بأن الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى[٣].

وفي «بحار الأنوار» للمجلسي عقد بابًا بعنوان: «باب تفضيلهم - عليهم السّلام - على الأنبياء وعلى جميع الخلق، وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق، وأنّ أولي العزم إنّما صاروا أولي العزم بحبّهم - صلوات الله عليهم -»[٤].

وهذه المقالة هي التي يجاهر بها الخميني الهالك ومن يشايعه في هذا العصر، كما قرّر ذلك في كتابه «الحكومة الإسلاميَّة» حين قال: «إن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملَكٌ مقرَّب ولا نبي مرسل، وقد ورد عنهم (ع) أن لنا مع الله حالات لا يسعها

---

(١) الرد على الرافضة: (ص:٢٩).

(٢) انظر: الفصول المهمّة في أصول الأئمّة «باب أن النبي والأئمة الاثني عشر - عليهم السلام - أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء السابقين والملائكة وغيرهم»: (ص:١٥١).

(٣) انظر: الفصول المهمة في أصول الأئمة: (ص:١٥٤).

(٤) انظر: بحار الأنوار: (٢٦/ ٢٦٧).

ملك مقرب ولا نبي مرسل»[1].

وهذه العقيدة هي عقيدة غلاة الروافض، كما قرر ذلك كثير من الأئمة، قال القاضي عياض - رحمه الله -: «نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم: إن الأئمة أفضل من الأنبياء»[2]، ونبه على ذلك عبد القاهر البغدادي[3]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[4]، وغيرهما.

المسألة الثانية: معجزات الأئمة:

بحكم اعتقادهم أن الإمام كالنبي، والإمامة استمرار للنبوة، فقد زعموا أن الله يؤيد أئمتهم بالمعجزات، كما يؤيد الأنبياء، فهم يجعلون الأئمة كالأنبياء والرسل الذين يقيم الله بهم الحجة على خلقه، فهم يحتاجون للمعجزات لإثبات إمامتهم كما يحتاجها الأنبياء لإثبات رسالتهم؛ لأن الأئمة - كما تقول رواياتهم -: هم الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض[5].

بل يقول ثقة دينهم الكليني: «إن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام»[6]، وجاءت روايات كثيرة عندهم بهذا المعنى، ولذا قالوا: «نحن حجج الله في عباده»[7]. وقال البحراني في كتابه الذي صنفه في معجزات الأئمة: «إن الله أظهر على أيديهم المعاجز والدلائل؛ لأنهم حجته على عباده»[8].

---

(١) الحكومة الإسلامية: ص٥٢.
(٢) الشفاء: ص١٠٧٨.
(٣) أصول الدين: ص٢٩٨.
(٤) منهاج السنة: ١/ ١٧٧.
(٥) أصول الكافي: ١/ ١٩٢، وانظر: المظفر/ علم الإمام: ص٤٣.
(٦) وهو عنوان باب في الكافي تضمن أربعة أحاديث بهذا المعنى. (أصول الكافي: ١/ ١٧٧).
(٧) أصول الكافي: ١/ ١٩٣.
(٨) هاشم البحراني/ ينابيع المعاجز: ص٢ (المقدمة).

والله جل وعلا إنما جعل الحجة على عباده بإرسال الرسل، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ولم يذكر الأئمة.

» المطلب الخامس: العدوان الباطني على الإيمان باليوم الآخر:

لهم في هذا الركن العظيم أقوال منكرة، وبدع كثيرة، ومكايد خطيرة، فأول هذه المنكرات أنهم صرفوا آيات القرآن الواردة في اليوم الآخر إلى عقيدتهم في الرجعة، وهذه حيلة ماكرة من واضعي هذه النصوص لإنكار أمر اليوم الآخر بالكلية، وأقل ما فيها أنها تصرف قلوب الشيعة عن ذلك اليوم، أو تمحو معاني اليوم الآخر من نفوسهم، لأنهم لا يقرؤون في آيات اليوم الآخر إلا تأويلات شيوخهم له بالرجعة.

ومن المعلوم أن أول من قال بالرجعة ابن سبأ[(١)]، وقد قرر الحافظ ابن حجر أن علامة الغلو في الرفض القول بالرجعة، فقال: «التشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غالٍ في تشيعه ويطلق عليه رافضي، وإلا فشيعي، فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغالٍ في الرفض، وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو»[(٢)].

ومن بدعهم أيضًا قولهم بأن أمر الآخرة للإمام، يقول صاحب الكافي في أخباره: «الآخرة للإمام يضعها حيث يشاء، ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله»[(٣)].

أما لماذا أمر الآخرة للإمام؟ فإن هذا فرع عن تصورهم لأمر الجنة والنار، إذ يقولون: «لولا الأئمّة ما خلقت الجنّة والنّار»[(٤)]، و«إنّ الله خلق الجنّة من نور الحسين»[(٥)]. وعقد

---

(١) انظر: «البرهان» للسكسكي: ص٥٠.

(٢) هدي الساري مقدمة فتح الباري: ص٤٥٩.

ولو قال: «التشيع محبة علي وتقديمه على عثمان، فمن قدمه على عثمان فهو شيعي، ومن قدمه على الشيخين فهو غالٍ في تشيعه...» إلخ كان أولى.

(٣) أصول الكافي: (١/ ٤٠٩).

(٤) الاعتقادات: (ص١٠٦-١٠٧).

(٥) المعالم الزلفى: (ص:٢٤٩).

شيخهم البحراني بابًا خاصًّا بهذا العنوان، وردَّ طائفة من رواياتهم في ذلك[1].

ومرة يقولون بأنَّ الجنَّة هي من مهر فاطمة في زواجها على عليٍّ، وما أدري كيف تكون مهرها وهي مخلوقة من نور ابنها؟! والأصل في المهر أن يدفع من قبل الزوج!!

وما دام أمر الآخرة عندهم للإمام، فإن كل مراحل الحياة الأخروية صبغتها الشيعة بآثار غلوهم في الإمام والأئمة.

فالأئمة يحضرون عند الموت[2]، وحينما يوضع الميت في قبره، يجعل معه تربة من تراب الحسين، لأنها بزعمهم أمان له، وعقد الحرُّ العاملي لهذا بابًا بعنوان: «باب استحباب وضع التّربة الحسينيّة مع الميّت في الحنوط والكفن وفي القبر»[3]، وأول ما يسأل عنه العبد في القبر في اعتقادهم هو حب الاثني عشر، قالوا: «أول ما يسأل عنه العبد حبنا أهل البيت»[4].

أما اعتقادهم في الحشر يوم القيامة، فإن لهم فيه أقوالاً منكرة؛ ففي أخبارهم أن حشر الناس يوم القيامة لا يشمل الجميع كما هو اعتقاد المسلمين، بل هناك فئة لا يشملها الحشر، ولا تتعرض لهول ذلك اليوم، ولا تقف ذلك الموقف العظيم، ولا تمر على الصراط، بل ينتقلون من قبورهم إلى الجنة بلا وسائط.

أولئك هم أهل مدينة «قم»، تقول أخبارهم: «إن أهل مدينة قم يحاسبون في حفرهم ،ويحشرون من حفرهم إلى الجنة»[5].

---

(١) المعالم الزّلفى: (ص:٢٤٩).

(٢) الاعتقادات: (ص:٩٣-٩٤).

(٣) وسائل الشّيعة: (٢/ ٧٤٢).

(٤) بحار الأنوار: (٢٧/ ٧٩)، عيون أخبار الرضا: (ص:٢٢٢).

(٥) بحار الأنور: (٦٠/ ٢١٨)، عباس القمي - الكنى والألقاب: (٣/ ٧١).

وليس ذلك فحسب، بل إن أحد أبواب الجنة قد خصص - بزعمهم - لأهل «قم»، عن أبي الحسن الرضا قال: «إنّ للجنّة ثمانية أبواب، ولأهل قم واحد منها، فطوبى لهم، ثم طوبى»[(١)].

وقد زاد أحد شيوخهم المعاصرين في عدد أبواب الجنة المفتوحة على قم - كما يفترون - فذكر بأن في أخبارهم أن الرضا قال: للجنّة ثمانية أبواب فثلاثة منها لأهل قم[(٢)].

وجعلوا أمور الحساب، والصراط والميزان، والجنة والنار بيد الأئمة، قال أبو عبد الله: «إلينا الصّراط، وإلينا الميزان، وإلينا حساب شيعتنا»[(٣)].

وعدّ الحرّ العاملي من أصول الأئمّة الإيمان بأنّ حساب جميع الخلق يوم القيامة إلى الأئمّة[(٤)].

وهذه الجنة التي يتحدثون عنها هي قصرٌ على الروافض لا يشاركهم فيها أحد لأنها لأئمتهم، كما أن النار التي مفاتيحها بيد الأئمة هي لأعدائهم، قالوا: «إنما خلقت الجنة لأهل البيت، والنار لمن عاداهم»[(٥)].

ولكنهم ينسون هذا ويقولون بأن «الشيعة يدخلون الجنة قبل سائر الناس من الأمم بثمانين عامًا»[(٦)].

---

(١) بحار الأنوار: (٦٠/ ٢١٥)، سفينة البحار: (١/ ٤٤٦).

(٢) أحسن الوديعة: لمحمد مهدي الكاظمي (ص:٣١٣-٣١٤).

(٣) رجال الكشّي: (ص:٣٣٧).

(٤) الفصول المهمّة في أصول الأئمّة: (ص:١٧١).

(٥) المعالم الزلفى: (ص:٢٥١).

(٦) المعالم الزلفى: (ص:٢٥٥)، وانظر بمعنى هذا الخبر: كامل الزيارات: (ص:١٣٧)، وسائل الشيعة: (١٠/ ٣٣١).

» المطلب السادس: العدوان الباطني على الإيمان بالقدر:

حاول الباطنية الاثنا عشرية الانضواء تحت لواء المبتدعة المخالفين للسنة في باب القدر بغية تفريق الأمة وإشاعة البدعة، فدخلوا في سلك القدرية المعتزلة، وتبنوا عقائدهم، ثم نسبوها كذبًا إلى أئمتهم من آل البيت، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بأن «قدماء الشيعة كانوا متفقين على إثبات القدر، وإنما شاع فيهم نفي القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة»[(١)].

وبالرجوع إلى مصادرهم نرى شيخهم المفيد يقول: «الصحيح عن آل محمد ﷺ أن أفعال العباد غير مخلوقة لله..»[(٢)].

وعقد شيخهم الحرّ العاملي (ت:١١٠٤هـ) بابًا بعنوان «باب أنّ الله سبحانه خالق كلّ شيء إلا أفعال العباد»[(٣)]، وقال: «أقول: مذهب الإماميّة والمعتزلة أنّ أفعال العباد صادرة عنهم وهم خالقون لها»[(٤)].

وكذلك قال شيخهم الطبطبائي: «ذهبت الإمامية والمعتزلة إلى أن أفعال العباد وحركاتهم واقعة بقدرتهم واختيارهم، فهم خالقون لها، وما في الآيات من أنه تعالى خالق كل شيء وأمثالها إما مخصص بما سوى أفعال العباد، أو مؤول بأن المعنى أنه خالق كل شيء إما بلا واسطة أو بواسطة مخلوقاته»[(٥)].

وبهذا يتبين أنهم قدرية نفاة تأثروا بأهل الاعتزال، ويقابلهم الجهمية الذين قالوا بأن العبد مجبور على فعله، وأهل السنة وسط بين القدرية النفاة، وبين الجبرية المثبتة الغلاة؛

---

(١) منهاج السنة: (٢/ ٢٩).
(٢) شرح عقائد الصدوق: (ص:١٢).
(٣) الفصول المهمّة في أصول الأئمّة: (ص:٨٠).
(٤) المصدر السابق : (ص:٨١).
(٥) مجالس الموحدين في بيان أصول الدين، محمد صادق الطبطبائي: (ص:٢١).

لأن من قال بالنفي فقد قال بجزء من الأدلة وعطل الباقي، ومن قال بالجبر فقد عمل بالجزء الآخر وعطل ما سواه، ومن أخذ بالقول الوسط فقد أعمل الأدلة كلها، وآيات القرآن أثبتت للعبد فعلاً وقدرة ومشيئة، ولكنها تابعة لقدرة الله ومشيئته، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إلا أَن يَشَاء اللَّهُ﴾[1].

قال شيخ الإسلام: «فجمهور أهل السنة من السلف والخلف يقولون: إن العبد له قدرة وإرادة وفعل، والله خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء، كما دل على ذلك الكتاب والسنة»، ثم ساق الأدلة في ذلك[2].

---

(١) الإنسان، آية: ٣٠، التكوير، آية: ٢٩.

(٢) انظر: منهاج السنة: (١/ ٢٠-٢١).

ثالثًا: العدوان الباطني بابتداع أصول منكرة:

من معالم العدوان الباطني والكيد الرافضي ابتداعهم لمقالات باطلة جعلوها أصولًا لديانتهم، وكفروا جميع المسلمين حكامًا ومحكومين من لدن الصحابة إلى عصرنا هذا، لمخالفتهم لها، ونسبوها مكرًا وكيدًا لبعض آل البيت، وفيما يلي بيان أخطرها:

الأصل الأول: الإمــامة:

الإمامة عند الشيعة هي الأصل الذي تدور عليه أحاديثهم وترجع إليه عقائدهم، وتلمس أثره في فقههم وأصولهم، وتفاسيرهم وسائر علومهم، وفيه مسائل:

» المسألة الأولى: مفهوم الإمامة:

أول من أسس مفهوم الإمامة بالصورة الموجودة عند الشيعة الاثني عشرية هو ابن سبأ، الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصاية من النبي، ومحصورة بالوصي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ «كان أوّل من أشهر القول بفرض إمامة عليٍّ، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفرهم»[1].

وهذا المفهوم السبئي للإمامة غريب لا يعرفه المسلمون، وأكثرهم لا يدرك أبعاده، فهو ادعاء لنبوة الأئمة، وعبروا عنه بلفظ آخر وهو الإمامة، ولهذا قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم أعطوا أئمتهم «معنى النبوة، وإن لم يعطوهم لفظها»[2].

---

(١) رجال الكشي: (ص:١٠٨-١٠٩)، المقالات والفِرَق للقمي (ص:٢٠)، فِرَق الشيعة للنوبختي (ص:٢٢).

(٢) منهاج السنة النبوية: (٦/ ١٨٨).

ويكشف ذلك صراحة شيخهم محمد حسين آل كاشف الغطا أحد مراجع الشيعة في هذا العصر في قوله: «إن الإمامة منصب إلهي كالنّبوّة، فكما أنّ الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيد بالمعجزة التي هي كنصٍّ من الله عليه، فكذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه بالنصِّ عليه، وأن ينصبه إمامًا للناس من بعده»[1].

» المسألة الثانية: منزلة الإمامة:

مسألة الإمامة عند أهل السنة ليست من أصول الدين التي لا يسع المكلف الجهل بها، كما قرره جمع من أهل العلم[2].

ولكنها عند الشيعة بمفهومها السبئي لها شأن آخر، فالنوبختي يذكر بأن من فرق الشيعة من يذهب إلى أن الإمامة من أجل الأمور بعد النبوة[3]، وهذا ما عليه شيعة عصرنا.

ولهذا قال هادي الطهراني - أحد مراجعهم وآياتهم في هذا العصر -: «الإمامة أجلُّ من النبوة، فإنها مرتبة ثالثة شرف الله تعالى بها إبراهيم بعد النبوة والخلة...»[4].

وهذا ما تقرره مصادرهم في التلقي، ففي أحاديث الكليني في الكافي تعلو على مرتبة النبوة[5]، وهذا ما يجاهر به جملة من شيوخهم. قال شيخهم نعمة الله الجزائري: «الإمامة العامة التي هي فوق درجة النبوة والرسالة..»[6].

---

(١) أصل الشّيعة وأصولها: (ص:٥٨).

(٢) انظر: غاية المرام: للآمدي (ص:٣٦٣)، الاقتصاد: للغزالي (ص:١٣٤)، مقدمة ابن خلدون: (٣/ ١٠٨٠).

(٣) فرق الشيعة: (ص:١٩).

(٤) ودايع النبوة: (ص:١١٤).

(٥) انظر: أصول الكافي: (١/ ١٧٥).

(٦) زهر الربيع: (ص:١٢).

جاء في الكافي عن أبي جعفر قال: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعني الولاية -»[(١)].

فأنت ترى أنهم أسقطوا الشهادتين من أركان الإسلام، ووضعوا مكانهما الولاية، وعدوها من أعظم الأركان، وبهذا الضلال يهذي شيوخهم، قال أحد مراجعهم في هذا العصر: «إن أعظم ما بعث الله تعالى نبيه من الدين إنما هو أمر الإمامة»[(٢)].

بل قالوا في أخبارهم أيضًا بأنه: «عرج بالنبي - صلى الله عليه وآله - السماء مائة وعشرين مرة، ما من مرة إلا وقد أوصى الله عز وجل فيها إلى النبي بالولاية لعلي والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض»[(٣)]، «وما وكد على العباد في شيء ما وكد عليهم بالإقرار بالإمامة، وما جحد العباد شيئًا ما جحدوها»[(٤)].

هذه منزلة إمامة الاثني عشر عندهم، وما أدري أين سند هذه المنزلة المزعومة، وكتاب الإسلام العظيم (القرآن الكريم) تذكر فيه مرات، وتؤكد كرات أركان الإسلام: الشهادتان، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، ولا ذكر فيه لشأن ولاية أئمتهم؟!

واهتمام الشيعة بأمر الإمامة وتخصيصها بآل علي ليس حبًّا ولا تشيعًا لهم، وإنما الغاية من ذلك محاربة المسلمين فكريًّا بالتشكيك في شرعية خلافة الخلفاء، والسعي من خلال ذلك إلى تقويض الدولة الإسلامية، كما أراد إمامهم ابن سبأ اليهودي.

---

(١) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام: (٢/ ١٨)، (رقم:٣)، قال في شرح الكافي في بيان درجة هذا الحديث عندهم: «موثق كالصّحيح» (الشّافي شرح الكافي: (٥/ ٢٨) رقم١٤٨٧).

(٢) ودايع النبوة: لهادي الطهراني ص١١٥، وانظر في هذا المعنى: رسالة عين الميزان: لمحمد حسين آل كاشف الغطا ص٤.

(٣) الخصال: ص٦٠٠-٦٠١، بحار الأنوار: ٢٣/ ٦٩.

(٤) قرب الإسناد: للحميري ص١٢٣، بحار الأنوار: ٢٣/ ٦٩.

» المسألة الثالثة: حكم من أنكر إمامة أحد الاثني عشر:

يحكم الشيعة الاثنا عشرية على كل من أنكر إمامة واحد من أئمتهم الاثني عشر بالكفر والخلود في النار.

قال ابن بابويه: «واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين والأئمّة من بعده أنّه بمنزلة من جحد نبوة الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من آمن بجميع الأنبياء ثم أنكر نبوة محمد ﷺ»[1]؛ لأنهم - كما سبق - يعدون الإمامة كالنبوة، بل أعظم، ومنكر الإمامة كمنكر النبوة، بل منكر إمامة واحد كمن أنكر نبوة جميع الأنبياء، ولهذا قال شيخهم الطوسي: «ودفع الإمامة كفر، كما أن دفع النبوة كفر، لأن الجهل بهما على حدٍّ واحد»[2].

هذا ما يقوله شيخهم الطوسي في القرن الرابع، أما شيخهم ابن المطهر الحلي فيذهب إلى القول بأن إنكار إمامة الاثني عشر أعظم من إنكار النبوة، حيث يقول: «الإمامة لطف عام، والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزّمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللّطف العامِّ شرٌّ من إنكار اللّطف الخاص»[3].

وينقل شيخهم المفيد اتفاقهم على تكفير من أنكر إمامة واحد من أئمتهم ولو كان مهديهم الذي لا وجود له إلا في خيالاتهم، فيقول: «اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمّة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطّاعة فهو كافرٌ ضالٌّ مُستحقٌّ للخلود في النّار»[4]. وبهذا كفروا جميع المسلمين، فهم في هذا الباب خوارج

(١) الاعتقادات: (ص:١١١)، بحار الأنوار: (٢٧/ ٦٢).

(٢) تلخيص الشافي: (٤/ ١٣١)، بحار الأنوار: (٨/ ٣٦٨).

(٣) ابن المطهر الحلي، الألفين: (ص:٣).

(٤) المسائل للمفيد، وقد نقل ذلك عنه المجلسي في البحار: (٨/ ٣٦٦).

وعيدية، بل هم أشد تطرفًا منهم في باب التكفير، فهم يحكمون على أن من أنكر مقالة ابن سبأ في الإمامة فهو في عداد الكافرين، بل نسبوا هذه المقالة إلى آل البيت تشنيعًا عليهم.

بل بلغ الأمر بشيخهم نعمة الله الجزائري أن يقرر انفصالهم عن المسلمين جميعًا بسبب الإمامة، فيقول: «لم نجتمع معهم[1] على إله ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبيُّ نبينا»[2].

الأصل الثاني: دعواهم عصمة أئمتهم:

ومن أصولهم التي أحدثوها دعوى عصمة أئمتهم التي أصبحت من أصولهم العقدية، وبها ساوَوا بين كلام الله وكلام رسوله وبين ما ينسب إلى أئمتهم، قال شيخهم المجلسي (ت:١١١١هـ) - صاحب بحار الأنوار أحد مراجعهم المعتمدة - في تقرير مبدأ العصمة في نحلتهم: «اعلم أن الإماميَّة اتفقوا على عصمة الأئمَّة - عليهم السَّلام - من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلًا لا عمدًا ولا نسيانًا، ولا الخطأ في التَّأويل، ولا الإسهاء من الله سبحانه»[3].

فالمجلسي هنا يقرر إجماعهم على امتناع صدور أي معصية من الإمام سواء كانت صغيرة أو كبيرة على سبيل العمد أو السهو أو الخطأ، ويمتنع وقوع ذلك في اعتقادهم ولو شاء الله ذلك، وهذه الصورة للعصمة التي يرسمها المجلسي، ويعلن اتفاق الشيعة عليها لم تتحقق لأنبياء الله ورسله، كما يدل على ذلك صريح القرآن، والسنة، وإجماع الأمة.

---

(١) يعني الأشاعرة، وهو يصدق على جميع المسلمين.

(٢) الأنوار النعمانية: (٢/ ٢٧٩).

(٣) بحار الأنوار: (٢٥/ ٢١١)، وانظر: مرآة العقول: (٤/ ٣٥٢).

وهم يتصورون أنهم بهذه الدعوى يزكون الأئمة، وهذا تصور جاهل؛ لأنهم إذا كانوا مجبورين على الامتناع عن المعاصي بأي حال فلا فضل لهم؛ لأنه لم يكن بإرادتهم واختيارهم، كما أن دعوى أن الأئمة لا يخطئون ولا يسهون هو من الغلو فيهم.

ذلك أن النفي المطلق للسهو والنسيان عن الأئمة تشبيه لهم بمن لا تأخذه سنة ولا نوم، ولهذا قيل للرضا - وهو الإمام الثَّامن الذي تدعي الشيعة عصمته -: «إن في الكوفة قومًا يزعمون أن النبي ﷺ لم يقع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبوا - لعنهم الله - إن الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو»[(١)]. وكان الروافض في القرن الرابع يعدون ذلك من الغلو، ولهذا قال شيخهم ابن بابويه في كتابه «من لا يحضره الفقيه» - وهو أحد الأصول الأربعة المعتبرة عند الشيعة -: «إنَّ الغلاة والمفوضة - لعنهم الله - ينكرون سهو النبي - صلى الله عليه وآله -، يقولون: لو جاز أن يسهو في الصلاة لجاز أن يسهو في التبليغ؛ لأن الصلاة فريضة، كما أن التبليغ فريضة، وليس سهو النبي كسهونا لأن سهوه من الله! وإنما أسهاه ليعلم أنه بشر مخلوق فلا يتخذ ربًّا معبودًا دونه، وليعلم الناس بسهوه حكم السهو»[(٢)].

لكن شيعة عصرنا يرون نفي السهو عن الأئمة من ضرورات نحلتهم، حتى قرر كبيرهم (الخميني) أن أئمته «لا يتصور فيهم السهو والغفلة»[(٣)]، وهذه الدعوى لا رصيد لها من واقع الأئمة، بل شهد الواقع على بطلانها.

ولهذا كانت هذه المبالغات سببًا في ترك هذه النحلة لمن استعمل عقله منهم، فهداه الله إلى الحق، ومن أمثلة ذلك مثلًا ما ذكره القمي والنوبختي وغيرهما من أنه بعد قتل الحسين حارت فرقة من أصحابه، وقالت: قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين؛ لأنه إن

---

(١) بحار الأنوار: (٢٥/ ٣٥٠)، وانظر: عيون أخبار الرِّضا: (ص:٣٢٦).

(٢) من لا يحضره الفقيه: (١/ ٢٣٤).

(٣) الحكومة الإسلامية: (ص٩١).

كان الذي فعله الحسن حقًا واجبًا صوابًا من موادعته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم - فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم، وكثرة أصحاب يزيد حتى قُتل وقُتل أصحابه جميعًا؛ باطل، لأن الحسين كان أعذر في القعود من محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن في القعود عن محاربة معاوية، وإن كان ما فعله الحسين حقًا واجبًا صوابًا من مجاهدته يزيد حتى قتل ولده وأصحابه، فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه العدد الكثير؛ باطل، فشكوا في إمامتهما ورجعوا فدخلوا في مقالة العوام»[(١)].

الأصل الثالث: التقيــــة:

» المسألة الأولى: مفهوم التقية:

التقية: إظهار خلاف ما في الباطن[(٢)]، وذلك بأن يقول أو يفعل خلاف ما يعتقد، وأكثر العرب ينطقون التقيّة «تقاة»، ولهذا جاء في القرآن: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران، آية:٢٨].

ويعرف المفيد التقية عندهم بقوله: «التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا في الدين أو الدنيا»[(٣)]، أي هي إظهار مذهب أهل السنة (الذي يرونه باطلًا)، وكتمان مذهب الرافضة الذي يرونه هو الحق.

وقد اعترف شيخهم محمد جواد مغنية أن التقية عندهم هي - كما يقول بالحرف الواحد - «الغاية تبرر الواسطة»[(٤)]، يعني في سبيل الغاية التي تنشدها استخدم أي

---

(١) المقالات والفرق للقمي (ص:٢٥)، فرق الشيعة للنوبختي (ص:٢٥-٢٦).

(٢) انظر: النهاية لابن الأثير: ١/ ١٩٣.

(٣) شرح عقائد الصدوق: (ص:٢٦١) (ملحق بكتاب أوائل المقالات).

(٤) محمد جواد مغنية/ الشيعة في الميزان: ص٤٩.

وسيلة، أي هي «الميكافيلية»[1].

من هنا يرى بعض أهل السنة: أن أصحاب هذه العقيدة هم شر من المنافقين؛ لأن المنافقين يعتقدون أن ما يبطنون من كفر هو باطل، ويتظاهرون بالإسلام خوفًا، وأما هؤلاء فيرون أن ما يبطنون هو الحق، وأن ما يظهرون من دين الإسلام هو الباطل، وأن طريقتهم هي منهج الرسل والأئمة[2].

ثم إن تقيتهم يستعملونها مع المسلمين، مع أن التقية في الإسلام غالبًا إنما هي مع الكفار، قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران، آية:٢٨]. قال ابن جرير الطبري: «التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا من غيرهم»[3].

ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام، قال معاذ بن جبل، ومجاهد: كانت التقية في جِدة الإسلام قبل قوة المسلمين، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين أن يتقوا منهم تقاة[4].

ولكن تقية الشيعة هي في عصر عز الإسلام وانتشاره، حتى إنهم يرون عصر القرون المفضلة عهد تقية، بل عصر الخلفاء الراشدين المأمورين بالاقتداء بهم واتباعهم عصر تقية في زعمهم، حيث زعموا أن عليًا - رضي الله عنه - كان يستعمل التقية مع الخلفاء قبله[5]، كل هذا لعجزهم عن تفسير موافقته لإخوانه الخلفاء الراشدين ومبايعته لهم

---

(١) أسلوب في المعاملات يتسم بالخداع والمراوغة والغدر والأنانية مبني على مبدأ «الغاية تبرر الواسطة» وهو ينسب إلى المفكر الإيطالي (نيكولا ماكيافلي ١٤٦٩-١٥٢٧م) رائد هذا المبدأ، والذي سجله في كتابه «الأمير» وقدمه لأحد ملوك «أوربا» في القرون الوسطى. (انظر: أحمد عطية/ القاموس السياسي: ص١١٠٥-١١٠٦).

(٢) ابن تيمية: رسالة في علم الظاهر والباطن، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية: (١/ ٢٤٨).

(٣) تفسير الطبري: (٦/ ٣١٦) (تحقيق شاكر).

(٤) انظر: تفسير القرطبي: (٤/ ٥٧)، فتح القدير للشوكاني: (١/ ٣٣١).

(٥) انظر: الأنوار النعمانية: ٢/ ٣٦٢.

وجهاده معهم، ومواقفه المشرقة وصفحات تاريخه النقية في التعامل مع الصحابة والخلفاء الراشدين.

» المسألة الثانية: حكم التقية:

التقية رخصة في حالة الاضطرار، ولذلك استثناها الله - سبحانه - من مبدأ النهي عن موالاة الكفار فقال - سبحانه -: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران، آية:٢٨].

وأجمع أهل العلم على أن التقية رخصة في حال الضرورة، ولكن من اختار العزيمة في هذا المقام فهو أفضل، قال ابن بطال: «وأجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل أنه أعظم أجرًا عند الله»[١]، ولكن تقية الشيعة خلاف ذلك، فهي عندهم ليست رخصة بل هي ركن من أركان دينهم كالصلاة أو أعظم، قال ابن بابويه: «اعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة»[٢]، بل نسبوا إلى النبي ﷺ أنه قال: «تارك التقية كتارك الصلاة»[٣].

بل جعلوها هي الدين كله، ولا دين لمن لا تقية له، جاء في أصول الكافي وغيره أن جعفر بن محمد قال: «إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له»[٤].

وعدوا ترك التقية ذنبًا لا يغفر على حد الشرك بالله، قالت أخبارهم: «يغفر الله للمؤمن كل ذنب، يظهر منه في الدنيا والآخرة، ما خلا ذنبين: ترك التقية، وتضييع

---

(١) فتح الباري: (١٢/ ٣١٧).
(٢) الاعتقادات: (ص:١١٤).
(٣) جامع الأخبار: (ص:١١٠)، بحار الأنوار: (٧٥-٤١٢).
(٤) أصول الكافي: (٢/ ٢١٧)، المحاسن للبرقي (ص:٢٥٩)، وسائل الشيعة للحر العاملي (١١/ ٤٦٠)، بحار الأنوار (٧٥/ ٤٢٣).

حقوق الإخوان»[1].

وإذا كانت التقية في دين الإسلام، لا تمثل نهجًا عامًا في سلوك المسلم، بل هي حالة فردية مؤقتة، مقرونة بالاضطرار، مرتبطة بالعجز عن الهجرة، وتزول بزوال حالة الإكراه؛ فإن التقية عندهم حالة مستمرة، وسلوك جماعي دائم، قال ابن بابويه في كتابه «الاعتقادات» المسمى دين الإمامية: «والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله - تعالى - وعن دين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة»[2].

وروت كتب الشيعة عن علي بن موسى الرضا قال: «لا إيمان لمن لا تقية له، وإن أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية»[3]. فقيل له: يا ابن رسول الله إلى متى؟ قال: «إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم خروج قائمنا، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا»[4].

وتعد التقية في المذهب الشيعي طبيعة ذاتية في بنية المذهب، يقول أبو عبد الله: «إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله»[5].

الأصل الرابع: المهدية والغيبة:

وهي اعتقادهم بوجود ولد للحسن العسكري المتوفى سنة ٢٦٠هـ، واختفائه بعد ولادته، وأنه لا يزال حيًّا إلى اليوم، يرى الناس ولا يرونه، حاضر في الأمصار، غائب عن الأبصار، وهم ينتظرون عودته وخروجه بعد غيبته.

---

(١) تفسير الحسن العسكري: (ص:١٣٠)، وسائل الشيعة: (١١/ ٤٧٤)، بحار الأنوار: (٧٥/ ٤١٥).

(٢) الاعتقادات: (ص:١١٤-١١٥).

(٣) وكأنهم يفسرون قوله - سبحانه -: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات:١٣].

(٤) ابن بابويه - إكمال الدين: (ص:٣٥٥)، الطبرسي - أعلام الورى: (ص:٤٠٨)، وسائل الشيعة: (١١/ ٤٦٥).

(٥) أصول الكافي: (١/ ٢٢٢).

» المسألة الأولى: نشأة فكرة الغيبة وتطورها:

بعد وفاة الحسن العسكري -إمامهم الحادي عشر- (ت٢٦٠هـ) «لم يُر له خلَف، ولم يعرف له ولد ظاهر، فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه»[(١)].

وبسبب ذلك اضطرب أمر الشِّيعة، وتفرَّق جمعهم، لأنَّهم أصبحوا بلا إمام، ولا دين عندهم بدون إمام، لأنه هو الحجة على أهل الأرض[(٢)].

فتحيرت الشيعة واختلفت في أعظم أمر عندها وهو تعيين الإمام، فافترقت إلى أربع عشرة فرقة كما يقول النوبختي[(٣)]، أو خمس عشرة فرقة كما ينقل القمي[(٤)]، وهما من شيوخ الاثني عشرية!

ومن بعدهما زادت الفرقة واتسع الاختلاف، حيث يذكر المسعودي الشيعي (ت:٣٤٦هـ) أن فرقهم بلغت في عصره ثلاثًا وسبعين فرقة[(٥)].

وقد ذهبت هذه الفرق مذاهب شتّى في أمر الإمامة، فمنهم من قال: «إنّ الحسن بن علي حيّ لم يمت، وإنّما غاب وهو القائم، ولا يجوز أن يموت، ولا ولد له ظاهر، لأنّ الأرض لا تخلو من إمام»[(٦)].

فوقفت هذه الفِرقة على الحسن العسكري، وقالت بمهديته وانتظار عودته كما هي العادة عند الشّيعة بعد وفاة كل إمام تدعي إمامته[(٧)]، بينما فِرَق أخرى حاولت أن تمضي

---

(١) المقالات والفِرَق: (ص:١٠٢)، فِرَق الشّيعة: (ص:٩٦) (وفيها: «ولم ير له أثر»).
(٢) أصول الكافي: (١/ ١٨٨).
(٣) فِرَق الشّيعة: (ص:٩٦)، المفيد، الفصول المختارة: (ص:٢٥٨).
(٤) المقالات والفِرَق: (ص:١٠٢).
(٥) مروج الذهب: ٣/ ٢٢١، وانظر: الرازي/ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٨٥.
(٦) فرق الشّيعة: (ص:٩٦)، المقالات والفِرَق: (ص:١٠٦).
(٧) فرق الشيعة: (ص:٩٧)، المقالات والفِرَق: (ص:١٠٧).

بالإمامة من الحسن إلى أخيه جعفر[1]، وأخرى أبطلت إمامة الحسن بموته عقيماً[2].

وبلغت الحيرة في تلك الفترة أن اختار بعضهم التوقف وقالوا: «نحن لا ندري ما نقول في ذلك وقد اشتبه علينا الأمر.. »[3].

أما الاثنا عشرية فقد ذهبت مذهبًا غريبًا وشاذًّا، حيث ربطوا المهدوية بشخصية خيالية أسطورية لا وجود لها، فادعوا أن للحسن العسكري ولدًا «كان قد أخفى (أي الحسن) مولده، وستر أمره لصعوبة الوقت وشدّة طلب السّلطان له.. فلم يظهر ولده في حياته، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته»[4].

وقد دأبت فرق الشيعة على ربط المهدية بشخصيات معروفة كان لها وجود في التاريخ، وذلك بإنكار موتهم وانتظار عودتهم، أو اعتقاد عودتهم بعد موتهم، أما هذه الطائفة فقد تخلصت من آل البيت تمامًا والذين طالما كذبوهم في دعواهم، واخترعت هذه الطائفة مهديًّا لا وجود له إلا في خيالاتهم، ثم ادعوا النيابة عنه.

أما مكان غيبته فإنه كان موضع السرية والكتمان، ولهذا لما تناهى إلى شيعته خبر الغيبة المزعومة حاولوا التعرف على مكانه إلا أن من يلقبونه بـ«الباب»[5] الذي يدعي الصلة به رفض البوح بشيء من ذلك، وأخرج «توقيعًا» سريًا ينسبه للمهدي المزعوم، يقول فيه: «.. إن عرفوا المكان دلوا عليه»[6]، فهذا النص يشير إلى أنه في مكان معين، وفي مخبأ سري لا يعرفه إلا الباب، وأن سبب كتمان مكان غيبته عن شيعته هو خوفه من إخبارهم للغير بمكانه.

---

(١) المقالات والفرق: (ص:١١٠).

(٢) انظر: المقالات والفرق: (ص:١٠٩)، فرق الشّيعة: (ص:١٠٠-١٠١).

(٣) المقالات والفرق: (ص:١١٥-١١٦)، وانظر: فرق الشيعة: (ص:١٠٨).

(٤) الإرشاد: للمفيد (٣/ ١٠٠٥).

(٥) لأنه لا سبيل للوصول إلى المهدي إلا بواسطته، بل لا يستطيع أحد أن يدخل على المهدي سواه!!

(٦) أصول الكافي: (١/ ٣٣٣).

ولكن دلت بعض روايات الكافي على البلد الذي يختفي فيه، حيث قالت: «لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولابد له في غيبته من عزلة، ونعم المنزل طيبة»[١].

فهي تشير إلى أنه يختبئ بالمدينة المنورة، لأن طيبة من أسمائها[٢]، ولما قال أحدهم للحسن العسكري: إن حدث بك حدث فأين أسأل عنه؟ قال: بالمدينة[٣].

بينما يروي الطوسي في الغيبة أنه مقيم بجبل يدعى رضوى[٤]، وتذكر روايات أخرى أنه يختفي في بعض وديان مكة[٥].

غير أن أحاديثهم في الأدعية والزيارة لمقامات الأئمة تلوح إلى أنه مقيم بسرداب سامراء[٦]، ولذلك جاء فيها: «ثم ائت سرداب الغيبة وقف بين البابين، ماسكًا جانب الباب بيدك، ثم تنحنح كالمستأذن، وسم وانزل، وعليك السكينة والوقار، وصل ركعتين في عرضة السرداب، وقل:... اللهم طال الانتظار، وشمت بنا الفجار، وصعب علينا الانتصار، اللهم أرنا وجه وليك الميمون، في حياتنا وبعد المنون، اللهم إني أدين لك بالرجعة، بين يدي صاحب هذه البقعة»[٧]. ولقد أصبحوا بهذه العقيدة موضع السخرية

---

(١) أصول الكافي: (١/ ٣٤٠)، الغيبة للنعماني: (ص:١٢٥)، بحار الأنوار: (٥٢/ ١٥٣).
(٢) انظر: معجم ما استعجم: (٢/ ٩٠٠).
(٣) أصول الكافي: (١/ ٣٢٨)، وقال المازندراني: يحتمل أن يراد بالمدينة سر من رأى، شرح جامع (٦/ ٢٠٨) وهذا الاحتمال قد لا يرد في الرواية التي قبلها.
(٤) الغيبة: (ص:١٠٣).
(٥) تفسير العياشي: (٢/ ٥٦)، البرهان: (٢/ ٨١-٨٢)، بحار الأنوار: (٥٢/ ٣٤١).
(٦) قال ياقوت: سامراء بلد على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخًا يقال لها: سر من رأى، فخففها الناس وقالوا: سامراء وفيها السرداب المعروف في جامعها الذي تزعم الشيعة أن مهديهم يخرج منه، (معجم البلدان (٣/ ١٧٣).
(٧) علي بن طاووس - مصباح الزائر: (ص:٢٢٩)، محمد المشهدي - المزار الكبير: (ص:٢١٦)، المجلسي - بحار الأنوار: (١٠٢/ ١٠٢-١٠٢)، الشيرازي - كلمة المهدي: (ص:٤٧١-٤٧٢).

والتهكم من جميع العقلاء، حتى قال ابن القيم: «ولقد أصبح هؤلاء عارًا على بني آدم، وضحكة يسخر منهم كل عاقل»[١].

أما نموه فهو مخالف تمامًا لسنة الله في خلقه، وخارج عن النواميس الطبيعية التي يخضع لها الكائن الحي بأمر الله، يصور ذلك الخبر المروي على لسان حكيمة بنت محمد، حيث تقول: «لما كان بعد أربعين يومًا -يعني من مولده- دخلت على أبي محمد -عليه السلام- فإذا مولانا الصاحب يمشي في الدار فلم أر وجهًا أحسن من وجهه، ولا لغة أفصح من لغته، فقال أبو محمد - عليه السلام -: هذا المولود الكريم على الله عز وجل، فقلت: سيدي أرى من أمره ما أرى وله أربعون يومًا، فتبسم وقال: يا عمتي أما علمت أنا معاشر الأئمة ننشأ في اليوم ما ينشأ غيرنا في السنة»[٢].

ومسألة الغيبة صارت - بحسب رواياتهم وأخبارهم التي صنعوها - مصدر حقد ضد الصحابة ومن تبعهم بإحسان، حتى قال شيخهم الجزائري: «إني كلما أشكلت عليَّ مسألة أوجبت على نفسي لعنهم، لأنهم سبب في استتار الحجة»[٣].

وعقيدة الاثني عشرية في المهدية والغيبة ترجع إلى أصول مجوسية، فالشّيعة أكثرهم من الفرس، والفرس من أديانهم المجوسيّة، والمجوس تدّعي أنّ لهم منتظرًا حيًّا باقيًا مهديًّا من ولد (بشتاسف بن بهراسف) يُقال له: أبشاوثن، وأنه في حصن عظيم من[٤] خراسان والصِّين[٥]، وهذا مطابق لجوهر المذهب الاثني عشري!!

---

(١) المنار المنيف: ص١٥٢-١٥٣.

(٢) الغيبة للطوسي: ص١٤٤.

(٣) شرح الصحيفة السجادية: (ص:٣٧).

(٤) لعلها «بين».

(٥) تثبيت دلائل النبّوة: (١/ ١٧٩).

» المسألة الثانية: شريعة مهديهم المنتظر:

يشير ابن بابويه في الاعتقادات التي تسمى دين الإمامية إلى أن المهدي إذا رجع من غيبته ينسخ شريعة الإسلام فيما يتعلق بأحكام الميراث، فيذكر عن الصادق أنه يقول: «إن الله آخى بين الأرواح في الأظلة قبل أن يخلق الأبدان بألفي عام، فلو قد قام قائمنا أهل البيت أورث الأخ الذي آخى بينهما في الأظلة ولم يرث الأخ من الولادة»[(١)].

وهذه الرواية تكشف عما يختلج في نفوس أرباب تلك العصابة من رغبة في إحلال العلاقة الحزبية والتنظيمية بين أفرادها محل القرابة والولادة في الميراث، ونهب أموال الناس باسم هذه العلاقة والأخوة المزعومة!

كما تفصح هذه الرواية عن موقف واضعي هذه الروايات من تطبيق الشريعة الإسلامية ورغبتهم في تعطيلها.

وتذكر نصوصهم بأن منتظرهم يغيِّر أيضًا شريعة الإسلام فيما يتعلق بأخذ الجزية من أهل الكتاب، فتنص على أن منتظرهم بهذا المنهج يخالف هدي رسول الله ﷺ فتقول: «ولا يقبل صاحب هذا الأمر الجزية كما قبلها رسول الله ﷺ»[(٢)].

ويكفي هذا الاعتراف في تأكيد خروجه عن سنة رسول الله ﷺ وتبديله لها عمدًا.

بل إن الحكم والقضاء في دولة المنتظر يقام على غير شريعة المصطفى ﷺ، جاء في الكافي وغيره، قال أبو عبد الله: «إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان ولا يسأل بينة»[(٣)].

---

(١) الاعتقادات: (ص:٨٣).

(٢) بحار الأنوار: (٥٢/ ٣٤٩).

(٣) أصول الكافي: (١/ ٣٩٧).

وقد تبنى ثقة دينهم الكليني هذه العقيدة وبوب لها بابًا خاصًا بعنوان: «باب في الأئمة - عليهم السلام - أنهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ولا يسألون البينة»[1].

» المسألة الثالثة: سيرة مهديهم المنتظر:

أما سيرته الموعودة فتحمل سماتٍ من شريعته الجديدة، حيث يقوم بالعدوان على مقدسات المسلمين ومساجدهم بحجة إعادتها لأساسها، فيقوم بعملية هدم وتخريب في الحرمين الشريفين، حيث تنص أخبارهم «أن القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، ومسجد الرسول ﷺ إلى أساسه، ويرد البيت إلى موضعه وإقامته على أساسه»[2].

ثم يتجه إلى قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه، ويبدأ - كما تقول أخبارهم - «بكسر الحائط الذي على القبر... ثم يخرجهما (يعني صاحبي رسول الله) غضين رطبين فيلعنهما ويتبرأ منهما ويصلبهما، ثم ينزلهما ويحرّقهما، ثم يذريهما في الريح»[3].

وفي رواية أخرى: «أول ما يبدأ به القائم.. يخرج هذين رطبين غضين فيحرقهما ويذريهما في الريح، ويكسر المسجد»[4].

ولم يكتف منتظرهم بهذا؛ بل إنه يقوم بقتل عام شامل للجنس العربي واستئصال وجوده، فيروي النعماني: «.. عن الحارث بن المغيرة وذريح المحاربي قالا: قال أبو عبد الله: ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح»[5].

---

(١) أصول الكافي: (١/ ٣٩٧). ولا يخفى ما في هذا المعتقد من تأثير العنصر اليهودي، وهذا هو أحد وجوه التشابه العقدي بينهما كما سبقت الإشارة إليه أيضًا عند الحديث عن جذور التشيع الباطني ونشأته على يد ابن سبأ اليهودي.

(٢) الغيبة، للطوسي (ص:٢٨٢)، بحار الأنوار: (٥٢/ ٣٣٨).

(٣) بحار الأنوار: (٥٢/ ٣٨٦).

(٤) بحار الأنوار: (٥٢/ ٣٨٦).

(٥) الغيبة للنعماني: (ص:١٥٥)، بحار الأنوار: (٥٢/ ٣٤٩).

ولكن في الشيعة من العرب كثير، غير أن أخبارهم تقول بأنهم سيمحصون فلا يبقى منهم إلا النزر اليسير[١]، ثم تأتي روايات أخرى لهم تؤكد أنه لن يتشيع أحد من العرب للقائم (يعني مهديهم)، ولهذا تحذر منهم فتقول: «اتق العرب فإن لهم خبر سوء، أما إنه لم يخرج مع القائم منهم واحد»[٢].

وهذه الروايات وأمثالها تكشف أثر العنصر الفارسي المجوسي في تكوين التشيع الغالي القائم على العنصرية والشعوبية المقيتة التي جاء الإسلام بنبذها والتحذير منها.

ولا تنسى رواياتهم أن تخص البيت النبوي الطاهر ببائقة من بوائق منتظرهم، حيث يزعمون أن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ تبعث من قبرها قبل يوم القيامة، وذلك لأنها ارتكبت - كما يفترون - حدًا في عهد رسول الله ﷺ، ولكن رسول الله لم يقم عليها الحد - كما يزعمون -. وقد أخذته الرحمة بها، مع أن الله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [النور: ٢]، فلم يقم عليها الحد، ولكن قائمهم يتولى تنفيذ ما عجز أفضل الخليقة عن تنفيذه، ونص الأسطورة المنسوبة لأبي جعفر يقول: أما لو قام قائمنا لقد ردّت إليه الحميراء[٣] حتى يجلدها الحد، وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة -عليها السلام- منها. قلت: جعلت فداك ولم يجلدها الحدّ؟ قال: لفريتها على أم إبراهيم. قلت: فكيف أخّره الله للقائم؟ فقال له: إن الله تبارك وتعالى بعث محمدًا ﷺ رحمة، وبعث القائم نقمة[٤].

---

(١) انظر: الغيبة للنعماني: (ص:١٣٧)، بحار الأنوار: (٥٢/ ١١٤).
(٢) الغيبة للطوسي: (ص:٢٨٤)، بحار الأنوار: (٥٢/ ٣٣٣).
(٣) تصغير حمراء وهو لقب لعائشة - رضي الله عنها -.
(٤) علل الشرائع: (ص:٥٧٩-٥٨٠)، بحار الأنوار: (٥٢/ ٣١٤، ٣١٥).

ثم علق على ذلك أحد شيوخهم المعاصرين بنص يبين الفرية المزعومة وأن عائشة قالت - كما يفترون -: «إن إبراهيم ليس منك، وإنه ابن فلان القبطي»، وأن الرسول ﷺ كلف عليًّا برجمها، ولكن عليًّا اكتشف براءتها[1].

وهذه الأسطورة من وضع من لا يحسن الوضع، فالرسول يأمر برجم بريئة، ولكن عليًّا - رضي الله عنه - هو الذي يكتشف براءتها، ثم إن قائمهم يقيم الحد على بريئة ثبتت براءتها بشهادة علي، فتعجب من هذا الهذيان والتناقض.

وأيضًا فهذه الأسطورة من وضع زنديق جاهل؛ لأن الرجم ليس عقوبة القذف، وإنما هو عقوبة للزاني المحصن، كما أن هذا يعني أن القائم أكمل من خاتم النبيين، وأقدر على تحقيق دين الله ممن أرسل قدوة للعالمين.

وهو ما صرحت به أخبارهم حيث روى شيخهم ابن بابويه: «... عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة، آية: ٣٣]. فقال: والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم...»[2] أي أن القائم سيحقق ما عجز عنه الأنبياء!

وهذا ما جاهر به بعض شيوخهم الكبار عندهم في هذا العصر - وهو الخميني - واستنكره العالم الإسلامي[3].

وتشير مصادرهم إلى أن عملية الاجتياح الدموي الرهيب التي تجري على يد مهديهم بعد عودته تتناول كل الفئات والأجناس البشرية باستثناء طائفتهم، كما تملي عليهم أحلامهم المريضة، ونفوسهم الحاقدة، حتى قالوا: «يذبحهم - والذي نفسي بيده - كما

(١) بحار الأنوار: (٥٢/ ٣١٥) -الهامش-.

(٢) إكمال الدين: (ص:٦٢٨)، بحار الأنوار: (٥٢/ ٣٢٤).

(٣) وذلك في كلمة وجهها الخميني في ١٥ شعبان ١٤٠٠هـ، وأذيعت من راديو طهران. انظر: «الرأي العام» الكويتية ١٧ شعبان ١٤٠٠ هـ.

يذبح القصَّاب شاته - وأومأ بيده إلى حلقه -»[1].

وتسمي رواياتهم جميع المخالفين لهم بالنواصب، فتقول: «فإذا قام القائم عرضوا كل ناصب عليه، فإن أقر بالإسلام وهي الولاية وإلا ضربت عنقه، أو أقر بالجزية فأداها كما يؤدي أهل الذمة»[2].

لكن بعض رواياتهم تقول بأن الجزية لا تقبل منهم كما تقبل من أهل الذمة، فقد سئل إمامهم عن وضع أهل الذمة في دولة القائم فقال: «يسالمهم كما سالمهم رسول الله ﷺ ويؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون»[3]. أما غيرهم من المخالفين للرافضة فقال فيه: «ما لمن خالفنا في دولتنا من نصيب، إن الله قد أحل لنا دماءهم عند قيام قائمنا»[4].

وهذه الأعمال الدموية الخطيرة التي هي من وظائف مهديهم الموهوم قد انتقلت عمليًّا في عصرنا إلى الولي الفقيه بحكم العقيدة الخمينية التي يطبقها شيوخ الرافضة لأول مرة في تاريخهم، كما سيأتي.

» الأصل الخامس: البـــداء:

من عدوان الزنادقة الباطنية نسبة البداء إلى الله تعالى، وهو في الأصل عقيدة يهودية، ثم انتقل إلى الكيسانية أو المختارية، ثم أصبح من أصول الرافضة الاثني عشرية، حتى بالغوا في أمره، فقالوا: «ما عبد الله بشيء مثل البداء»[5]، «ولو علم الناس ما في القول

---

(١) بحار الأنوار: (٥٢/ ٣٥٧)، الغيبة للنعماني: (ص:١٩٠-١٩١).

(٢) تفسير فرات: (ص:١٠٠)، بحار الأنوار: (٥٢/ ٣٧٣)، وقوله: «أو أقر بالجزية»، يناقض رواياتهم التي تقول بأنه لا يقبل الجزية كما سبق ذكر بعضها في بيان «شريعته».

(٣) بحار الأنوار: (٥٢/ ٣٧٦).

(٤) بحار النوار: (٥٢/ ٣٧٦).

(٥) أصول الكافي، كتاب التوحيد، باب البداء: (١/ ١٤٦)، ابن بابويه - التوحيد، باب البداء: (ص:٣٣٢)، بحار الأنوار، كتاب التوحيد، باب البداء: (٤/ ١٠٧).

بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام فيه»[١].

ويبدو أن الذي أسس هذا المعتقد عندهم هو شيخهم الكليني (ت٣٢٨ هـ) الملقّب عندهم بثقة الإسلام، حيث وضع هذا المعتقد في قسم الأصول من الكافي، وجعله ضمن كتاب التوحيد، وخصّص له بابًا بعنوان «باب البداء»!

وجاء من بعده شيخهم ابن بابويه (ت٣٨١هـ)، وسجل ذلك ضمن عقائد طائفته، وعقد له بابًا خاصًا بعنوان «باب البداء»، وذلك في كتاب «الاعتقادات» الذي يسمى دين الإمامية[٢].

وكذلك جاءت هذه المقالة في كتب العقيدة عند المعاصرين[٣]، بل ألف شيوخهم في شأنها مؤلفات مستقلة بلغت (٢٥) مصنفًا كما في الذريعة[٤].

والبداء في اللغة له معنيان: الظهور بعد الخفاء، ونشأة الرأي الجديد.

وواضح أن البداء بمعنييه يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم، وكلاهما محال على الله سبحانه. ونسبته إلى الله سبحانه من أعظم الكفر، فكيف تجعل الشيعة الاثنا عشرية هذا من أعظم العبادات، سبحانك هذا بهتان عظيم!!

وهذا المعنى المنكر يوجد إلى اليوم في كتب اليهود، فقد جاء في التوراة التي حرفها اليهود وفق ما شاءت أهواؤهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه، ويبدو أن ابن سبأ اليهودي قد حاول إشاعة هذه المقالة، التي ارتضعها من توراته المحرفة في المجتمع الإسلامي الذي حاول التأثير فيه باسم التشيع!

---

(١) أصول الكافي: (١/ ١٤٨)، التوحيد لابن بابويه: (ص:٣٣٤)، بحار الأنوار: (٤/ ١٠٨).

(٢) الاعتقادات: (ص:٨٩).

(٣) انظر - مثلاً -: المظفر - عقائد الإمامية: (٦٩)، الزنجاني - عقائد الإمامية الاثني عشرية: (١/ ٣٤).

(٤) انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة: (٣/ ٥٣-٥٧).

كما استفاض في كتب المقالات نسبة البداء إلى المختارية أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي؛ «لأنه كان يدعي علم الغيب، فكان إذا حدث خلاف ما أخبر به قال: قد بدا لربكم»[(١)].

وتجد هذا المعنى في أخبار الاثني عشرية، فإنهم قد أشاعوا بين أتباعهم أن أئمتهم «يعلمون ما كان وما يكون، ولا يخفى عليهم الشيء»[(٢)]، فإذا نسبوا إلى الأئمة أخبارًا لم تقع قالوا: هذا من باب البداء.

جاء في البحار في باب البداء: «عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام: يا أبا حمزة إن حدثناك بأمر أنه يجيء من هاهنا فجاء من هاهنا، فإن الله يصنع ما يشاء، وإن حدثناك اليوم بحديث وحدثناك غدًا بخلافه فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت»[(٣)].

وكان شيوخ الشيعة يمنون أتباعهم بأنّ الأمر سيعود إليهم، والدّولة ستكون لهم، حتى إنّهم حدّدوا ذلك بسبعين سنة في رواية نسبوها لأبي جعفر، فلمّا مضت السّبعون ولم يتحقّق شيء من تلك الوعود اشتكى الأتباع من ذلك، فحاول مؤسّسو المذهب الخروج من هذا المأزق بالقول بأنّه قد بدا لله سبحانه ما اقتضى تغيير هذا الوعد[(٤)].

وصنف من الشيعة يقر بالبداء كعقيدة، لكن يحاول أن يجد له تأويلًا مقبولًا، ففسّر بعضهم البداء بالنسخ!!

ولكن المطلع على رواياتهم لا يرى أنها تتفق مع هذا التأويل؛ لأنها جاءت ضمن باب

---

(١) انظر بعض أخباره في هذا في «الملل والنحل» (١/ ١٤٩).

(٢) أصول الكافي (١/ ٢٦٠).

(٣) بحار الأنوار: (٤/ ١١٩)، تفسير العياشي: (٢/ ٢١٧)، البرهان: (٢/ ٢٩٩).

(٤) انظر: تفسير العياشي: (٢/ ٢١٨)، الغيبة للطّوسي: (ص:٢٦٣)، بحار الأنوار: (٤/ ٢١٤).

الأخبار، والأخبار لا يدخلها النسخ بالاتفاق، جاء في الكافي قول أبي الحسن: «.. يا أبا هاشم بدا الله في أبي محمد بعد أبي جعفر ما لم يكن يعرف له، كما بدا له في موسى بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله، وهو كما حدثتك نفسك، وإن كره المبطلون»[١].

ذلك أنهم أشاعوا في حياة جعفر الصادق أن الإمام بعده هو ابنه إسماعيل، ثم فوجئوا أن إسماعيل مات قبل وفاة أبيه بخمس سنوات، فقالوا: «بدا لربكم»، فنسبوا البداء إلى الله تعالى، ونزهوا أئمتهم عن الجهل والخلف في الميعاد.

ونسبوا إلى نبي الله لوط أنه كان يستحث الملائكة لإنزال العقوبة بقومه خشية أن يبدو لله، ويقول: «تأخذونهم الساعة فإني أخاف أن يبدو لربي فيهم. فقالوا: يا لوط، إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟!»[٢].

فهل مثل هذا «الإلحاد» يقبل التأويل؟!

» الأصل السادس: الطينـــة:

هذه العقيدة من مقالاتهم السرية، وعقائدهم التي يتواصون بكتمانها حتى عن عامتهم.

وقد تكاثرت أخبارها على مر الزمن حتى قال شيخهم نعمة الله الجزائري (ت١١١٢هـ): «إنّ أصحابنا قد رووا هذه الأخبار بالأسانيد المتكثّرة في الأصول وغيرها، فلم يبق مجال في إنكارها، والحكم عليها بأنّها أخبار آحاد، بل صارت أخبارًا مستفيضة، بل متواترة»[٣]، قال هذا في الرد على من أنكرها من شيوخهم السابقين.

والذي تولى كبر إرساء هذه العقيدة - فيما يظهر - هو شيخهم الكليني الذي بوّب لها

(١) أصول الكافي: (١/ ٣٢٧).
(٢) فروع الكافي: (٥/ ٥٤٦).
(٣) الأنوار النّعمانيّة: (١/ ٢٩٣).

بابًا بعنوان: «باب طينة المؤمن والكافر»[١].

وهذه المقالة تجعل الشيعي يعتقد بأن كل معصية يرتكبها فعقوبتها على أهل السنة! وكل عمل صالح يعمله أهل السنة فثوابه للشيعة!

ولعل أوسع تفصيل لهذه العقيدة هو ما جاء في رواية شيخهم ابن بابويه التي بلغت خمس صفحات!![٢]، وملخص ذلك: أن الشّيعي - بزعمهم - خلق من طينة خاصّة، والسّنّي خلق من طينة أخرى، وجرى المزج بين الطينتين بوجه معين، فما في الشّيعي من معاصٍ وجرائم هو من تأثّره بطينة السّنّيّ، وما في السّنّيّ من صلاح وأمانة هو بسبب تأثّره بطينة الشّيعي، فإذا كان يوم القيامة فإنّ سيّئات وموبقات الشّيعة تُوضع على أهل السّنّة، وحسنات أهل السّنّة تُعطى للشّيعة.

ويمكن أن يستنبط سبب القول بهذه العقيدة من الأسئلة والشكاوى التي وجهت للأئمة، فالشيعة يشكون من انغماس قومهم في الموبقات والكبائر، ومن سوء معاملة بعضهم لبعض، ومن الهم والقلق الذي يجدونه ولا يعرفون سببه، ولكن يعزو إمامهم ذلك كله إلى تأثر طينة الشيعي بطينة السني في الخلقة الأولى.

روى ابن بابويه بسنده: «عن أبي إسحاق اللّيثي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر: يا ابن رسول الله، أخبرني عن المؤمن المستبصر[٣] إذا بلغ في المعرفة وكمل؛ هل يزني؟ قال: اللّهمّ لا، قلت: فيشرب الخمر؟ قال: لا، قلت: فيأتي بكبيرة من هذه الكبائر أو فاحشة من هذه الفواحش؟ قال: لا..، قلت: يا ابن رسول الله، إنّي أجد من شيعتكم من يشرب الخمر، ويقطع الطّريق، ويخيف السّبيل، ويزني، ويلوط، ويأكل الرّبا،

---

(١) أصول الكافي: (٢/ ٢-٦).
(٢) علل الشّرائع: (ص:٦٠٦-٦١٠).
(٣) يعني الرّافضي.

ويرتكب الفواحش ويتهاون بالصّلاة والصّيام، والزّكاة، ويقطع الرّحم، ويأتي الكبائر، فكيف هذا ولِمَ ذاك؟

فقال: يا إبراهيم، هل يختلج في صدرك شيء غير هذا؟ قلت: نعم يا ابن رسول الله أخرى أعظم من ذلك، فقال: وما هو يا أبا إسحاق؟ قال: فقلت: يا ابن رسول الله، وأجد من أعدائكم ومناصبيكم[1] من يكثر من الصلاة والصيام ويخرج الزكاة ويتابع بين الحج والعمرة، ويحرص على الجهاد، ويأثر - كذا - على البر، وعلى صلة الأرحام، ويقضي حقوق إخوانه، ويواسيهم من ماله، ويتجنب شرب الخمر والزنا، واللواط وسائر الفواحش، فما ذاك؟ ولِمَ ذاك؟ فسّره لي يا ابن رسول الله وبرهنه وبينه، فقد والله كثر فكري، وأسهر ليلي، وضاقَ ذرعي»[2].

هذا واحدٌ من الأسئلة والشكاوى التي تكشف انزعاج الشيعة من واقعهم المليء بالمعاصي والموبقات بالمقارنة بواقع سلف هذه الأمة، وأئمة أهل السنة ومعظم عامتهم من تقى وأمانة وصلاح، وقد أجيب السائل بمقتضى عقيدة الطينة، وهي أن المعاصي الموجودة عند الشيعة بسبب طينة أهل السنة، والأعمال الصالحة التي تسود المجتمع السني بسبب طينة الشيعة.

وقد احتال شيوخ الشيعة بهذا الجواب لمواجهة هذا الإحساس الذي ينتاب بعض الصادقين من الشيعة، إزاء هذه الظواهر المقلقة والمخيفة في أوساطهم، فلم يجد شيوخهم مخرجًا أو سبيلًا للتخلص من إلحاح هذه التساؤلات والشكاوى إلا بقولهم بهذه العقيدة.

أما أحكام الآخرة فإنها تتغير تمامًا بمقتضى عقيدة الطينة وتأثيرها في حساب الناس،

---

(١) يشير إلى أهل السنة.

(٢) علل الشرائع: (ص:٦٠٦-٦٠٧)، بحار الأنوار: (٥/ ٢٢٨-٢٢٩).

وهذا ما يتبين في أجوبة إمامهم على أسئلة السائل عن أحكام الآخرة ومدى تأثير هذه العقيدة عليها، فيقول: «قلت: جعلت فداك فإذا كان يوم القيامة فَمَهْ؟ قال لي: يا إسحاق أيجمع الله الخير والشر في موضع واحد؟ إذا كان يوم القيامة نزع الله تعالى مسحة الإيمان منهم فردّها إلى شيعتنا، ونزع مسحة النّاصب بجميع ما اكتسبوا من السّيّئات فردّها على أعدائنا، وعاد كلّ شيء إلى عنصره الأوّل.

قلت: جعلت فداك تُؤخذ حسناتهم فتردُّ إلينا، وتُؤخذ سيئاتنا فترد إليهم؟ قال: إي والله الذي لا إله إلا هو»[1].

إن هذه الرّوايات ناقضت نفسها بنفسها، فالشيعي كما ترى في عرض الشكاوى والأسئلة هو أشد إغراقًا في الجريمة، وأكثر إيغالًا في المعاصي والموبقات، وأسوأ معاملة، وأردأ خلقًا ودينًا، فكيف يكون مَنْ هذه حاله أفضل طينة، وأطهر خلقة؟

ودعوى طهارة العنصر ونقاوة الدم وعراقة السلالة قد أبطلها القرآن بقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقد سبق الرافضة في هذه الدعاوى الكاذبة سلفهم اليهود الذين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨].

وهي دعاوى تخالف المعقول والمنقول، فإن الله جل وعلا خلق الناس جميعًا على فطرة الإسلام، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم، آية: ٣٠].

وقال النبي ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تُنتَج البهيمة بهيمةً جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»[2].

---

(١) علل الشّرائع: (ص: ٤٩٠-٤٩١)، بحار الأنوار: (٥/ ٢٤٧-٢٤٨).
(٢) أخرجه البخاري ح(١٣٥٨)، ومسلم ح(٢٦٥٨).

كما ناقضت الشّيعة في أخبار الطّينة مذهبها في أفعال العباد؛ لأن مقتضى هذه الأخبار أن يكون العبد مجبورًا على فعله وليس له اختيار له؛ إذ أفعاله بمقتضى الطينة، مع أن مذهبهم أن العبد يخلق فعله كمذهب المعتزلة.

وأما ما قررته أخبار طينتهم من « أن موبقات الشيعة وأوزارها يتحملها أهل السنة، وحسنات المسلمين جميعًا تعطى للشيعة، فهذا مخالف للعدل الرّباني ولا يتفق مع العقل الصريح ولا الفطرة السليمة، فضلاً عن نصوص الشرع وأصول الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام، آية: ١٦٤، فاطر، آية:١٨، والزّمر، آية:٧]، وقال - عز وجل -: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: آية: ٢١]، وقال - عز وجل -: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [الطّور: آية:٢١]، وقال - تعالى -: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]،وقوله - سبحانه -: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر، آية: ١٧]وغيرها كثير.

وهذه المقالة ظاهرة البطلان، يكفي مجرد تصورها لمعرفة فسادها، وهي من فضائح المذهب الاثني عشري وعوراته، ولا يستحيي الشيعة إلى اليوم من التجاهر بهذه العقيدة، فتجد أخبار هذه «الفرية» في بحار الأنوار [1]، والأنوار النعمانية [2] بلا اعتراض أو إنكار، بل تعمل مطابعهم في نشرها، ويقرر مراجعهم اعتمادها كمصادر لهم في التلقي، ويعلق عليها المحقق الشيعي بما يؤكد رضاه عن هذه الأساطير واعتقادها، وإذا لم تستحي فاصنع ما شئت.

---

(١) بحار الأنوار: ٥/ ٢٣٣، هامش (٣).

(٢) الأنوار النعمانية: ١/ ٢٨٧، تعليق رقم (١).

المبحث الخامس: العدوان الباطني على خيار الأمة



تناول العدوان الرافضي الباطني جميع فئات المسلمين، فطعنوا ولعنوا وسبوا وكفروا خيار الأمة وأعلامها من الصحابة وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون، كما امتد عدوانهم لأهل البيت الذين يزعمون التشيع لهم، ولم يتركوا أحدًا من أهل الإسلام من خلفاء المسلمين وحكامهم وحكوماتهم وقضاة المسلمين وأحكامهم وأمصار المسلمين إلا وتناولوه بالطعن واللعن والتكفير، حتى شملوا بذلك جميع المسلمين أحياء وأمواتًا، وفيما يلي أمثلة من بغيهم وعدوانهم:

أولاً: العدوان الباطني على الصحابة:

صحابة رسول الله ﷺ هم الذين لقوا النبي ﷺ وآمنوا به وماتوا على ذلك[١]، وهم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة الأبرار، الذين لو لم يرد عن الله ورسوله ﷺ الثناء عليهم والترضي عنهم لكان في سيرتهم وعظيم جهادهم ما يكفي كل عاقل منصف لمعرفة قدرهم وإدراك فضلهم، ومع ذلك فهؤلاء الصفوة المختارة استفاض في مصادر الرافضة المعتمدة لديهم سبهم ولعنهم وتكفيرهم.

ذلك لأن الزنادقة الذين أسسوا هذا المذهب رأوا أنه لا سبيل إلى القدح في رسول الله ﷺ مباشرة فطعنوا في صحابته للوصول إلى مقصودهم حتى يقال: رجل سوء له أصحاب سوء، كما كشف عن هذا الهدف بعض السلف[٢].

كما رأوا أنه لا يقبل منهم الطعن في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فطعنوا في الناقلين لهما، ليصلوا إلى مرادهم؛ لأن من أهم الوسائل إلى إبطال المنقول الطعن في الناقل، كما أشار إلى

(١) انظر: الإصابة لابن حجر ١/ ٦-٧.

(٢) وهو الإمام مالك.

ذلك الإمام أبو زرعة(١).

ولما امتلأت قلوبهم حقدًا على ذلك الجيل القرآني الفريد لأنهم هم الذين فتحوا ديارهم وأطفؤوا نار المجوسية في أرضهم، فلما لم يستطيعوا الانتصار عليهم، ولم يجدوا سبيلًا للوقوف أمام فتوحاتهم، وقد راموا ذلك في أوقات شتى فلم يفلحوا؛ رأوا أن كيده عن طريق الحيلة أنجع -كما يقول ابن حزم-، فحاولوا الدخول إلى قلوب الناس عن طريق التشيع لآل البيت، فوجدوا من يستمع لهم، فاتخذوا من التشيع مطية وستارًا لتحقيق أغراضهم، حتى صار التشيع مأوى لكل من أراد الكيد للإسلام وأهله من ملحد وطاغوت وعدو للمسلمين.

وهذه نصوصهم وأقوال شيوخهم في النيل من صحابة رسول الله ﷺ شاهدة عليهم بذلك، وأقوالهم ونصوصهم في رفض طاعة خلفاء المسلمين ورفض الجهاد معهم والتعاون مع الأعداء ضدهم، وغير ذلك من ألوان وصنوف الكيد لأمة الإسلام ودينها -شاهدة على قدر عدائهم لأمة التوحيد، ولعله يكفي القارئ لإدراك حجم عدوان الروافض على أولئك الأخيار من صحابة رسول الله ﷺ وقرابته وزوجاته استفاضة تكفيرهم في كتب هذه الطائفة.

حيث يكفرون المهاجرين والأنصار وأهل بدر وبيعة الرضوان وسائر الصحابة أجمعين، ولا يستثنون منهم إلا النزر اليسير الذي لا يبلغ عدد أصابع اليد، وقد أصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحجب بالتقية.

جاء في رجال الكشي أهم وأوثق كتاب عندهم في الرجال: «ارتد الناس إلا ثلاثة

---

(١) انظر: الكفاية ص٤٩.

نفر: سلمان، وأبو ذر، والمقداد..»[١]، وفي الكافي (أهم وأوثق كتاب لهم في الرواية عن أئمتهم الذين يدعون عصمتهم): «كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي..»[٢].

وفي الكافي أيضًا: «عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر (ع): جعلت فداك ما أقلنا!! لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟[٣] فقال: ألا أحدثك بأعجب من ذلك؟ المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا -وأشار بيده- ثلاثة»[٤].

وهذه الزندقة المكشوفة التي تقول بردة أفضل جيل عرفته البشرية قد ترددت وتكررت واستفاضت أيضًا في كتب الروافض الأخرى على اختلافها كما في كتاب سليم بن قيس[٥] (الذي يعدونه أبجد الشيعة، وأول كتاب ظهر لهم، وهو موضع ثناء شيوخهم القدامى والمعاصرين) كما ورد في البحار[٦] (المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب عندهم كما يقول شيخهم البهبودي)[٧]، وفي كتب التفسير عندهم كما في تفسير العياشي[٨]، والبرهان[٩]، والصافي[١٠]، وتفسير نور الثقلين[١١]، وغيرها، وهذه نصوص تحمل روايات عن معصوميهم.

---

(١) رجال الكشي ١١-١٢.
(٢) الكافي، كتاب الروضة (مع شرح جامع للمازندراني) (١٢/ ٣٢١).
(٣) إشارة إلى قلة الوجود الرافضي في القرون المفضلة.
(٤) أصول الكافي ٢/ ٢٤٤.
(٥) انظر: كتاب سليم بن قيس ٧٤-٧٥.
(٦) انظر: بحار الأنوار ٢٢/ ٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٢، ٤٤٠ إلخ.
(٧) انظر: مقدمة بحار الأنوار.
(٨) تفسير العياشي ١/ ٩٩.
(٩) البرهان للبحراني ١/ ٣١٩.
(١٠) تفسير الصافي للكاشاني ١/ ٣٨٩.
(١١) تفسير نور الثقلين ١/ ٣٩٦.

كما جاء السب واللعن والتكفير في مصنفات شيوخهم، ولو نقلنا ما رأيناه من هذا الغثاء لبلغ مئات الصفحات.

وهذا الحكم بردة الصحابة إلا ثلاثة يشمل تكفير أهل بيت رسول الله ﷺ وآله وسلم، لأنها لا تستثني منهم أحدًا، حيث لا ترى لعلي والحسن والحسين على سبيل الخصوص، ولا لآل عقيل وآل جعفر وآل العباس وآل علي وزوجات رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين على وجه العموم ذكرًا مع المستثنين من الردة كما سيأتي بيان ذلك، كما تشمل سائر صحابة رسول الله ﷺ باستثناء الثلاثة المذكورين، وقد تزيد أربعة آخرين، لكنها لا تتجاوز ذلك فيما رأيت في المعتمد من كتبهم، وهي مقالة خرجت عن حدود المعقول والمنقول، ولا يقول بها إلا من كان من المعقول خارجًا، وفي الجنون وفي الزندقة غارقًا، قد امتلأ قلبه عداوة وحقدًا على هذا الدين وأهله.

ولذلك قال الأستاذ أحمد الكسروي الذي كان من شيوخ الشيعة، ثم تخلى عن دينهم لما رأى من تناقضه وفساد أصوله، قال: «وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبي ﷺ إلا ثلاثة أو أربعة منهم فاجتراء منهم على الكذب والبهتان. فلقائل أن يقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي آمنوا به حين كذبه الآخرون ودافعوا عنه واحتملوا الأذى في سبيله، ثم ناصروه في حروبه ولم يرغبوا عنه بأنفسهم؟ ثم أي نفع لهم في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟ فأي الأمرين أسهل احتمالًا: أكذب رجل أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة أو ارتداد بضع مئات من خلّص المسلمين؟ فأجيبونا إن كان لكم جواب»[(١)].

هذا ورواياتهم ونصوصهم التي تكفر الصحابة على سبيل العموم أو تتناول باللعن والسب والتكفير آحادهم على سبيل الخصوص كثيرة للغاية.

---

(١) التشيع والشيعة ص٦٦.

إنني الآن أمام زخم هائل وركام أسود من هذا اللون من الأساطير لا تخطر ببال من لم يخض غمارها أو يتوغل في ظلماتها، لكنني سأكتفي بجمل من كلام شيوخهم المعاصرين ليدرك القارئ أن القوم لا زالوا في ضلالهم يعمهون وعلى خطى الغابرين يتيهون.

لقد تفرغ طائفة من شيوخهم في هذا العصر لهذا البهتان، فلا همّ لهم فيما يكتبون إلا سب رجال الصدر الأول وتجريحهم، وقد خرجت كتب لهم تفوق ما جاء في كتبهم القديمة في البذاء وسوء المقال، مثل كتاب الغدير لشيخهم المعاصر عبد الحسين الأميني النجفي، والذي ملأ كتابه باللعن والسب والتكفير لأشرف جيل.

ولقد كانت حملته وافتراءاته ضد صحابة رسول الله ﷺ -ولا سيما الخليفة الراشد عمر بن الخطاب الذي لم يَفْرِ في الإسلام فريه أحد- موضع اغتباط أعداء الإسلام، وقد استكتب هذا الرافضي أحدهم وهو بولس سلامة النصراني وصدر تقريظه في الجزء السابع مع كتابه، وأشاد هذا النصراني بحملة هذا الرافضي ضد صحابة رسول الله ﷺ، ولاسيما الخليفة الراشد عمر كما يصرح هذا النصراني، وقد ابتهج ذلك الرافضي المغفل أو الزنديق المرتدي ثوب الإسلام بثناء هذا الكافر فبادله الثناء والشكر، وقال: «أتاني من بحاثة المسيحيين القاضي الحر والشاعر النبيل الأستاذ بولس سلامة.. الخالد الذكر فشكرًا له ثم شكرًا»[1]. فانظر إلى هذا الرافضي الذي يرمي الصحابة بكل مذمة ونقيصة يمتدح الكفار، ويتقرب إليهم، وهذه عادة الروافض من قديم الزمان.

ومثل كتاب الغدير كتاب «أبو هريرة» لآيتهم عبد الحسين شرف الدين الموسوي الذي جعل فيه الصحابي الجليل راوية الإسلام أبا هريرة رضي الله عنه وأرضاه كافرًا منافقًا، في حين أنه يدافع بكل وسيلة وحيلة عن الكذابين والوضاعين أمثال جابر

---

(١) الغدير ٧/ ٤.

الجعفي[١]، وهشام بن الحكم[٢]، وغيرهما.

ومثله كتاب السقيفة لشيخهم محمد رضا المظفر الذي صور فيه الصحابة ﷺ عصابة مجرمة لا هدف لها إلا الكيد للسلام وأهله، حتى قال -عليه من الله ما يستحق- : «مات النبي ﷺ ولابد أن يكون المسلمون كلهم -لا أدري الآن-[٣] قد انقلبوا على أعقابهم»[٤].

وغير هذا كثير، حتى لا يكاد يخلو كتاب من كتبهم المعاصرة من هذا الغثاء والبلاء.

أضف إلى ذلك تلك الأدعية والأذكار التي يرددها الشيعة في مزاراتهم ومشاهدهم إلى اليوم، والمتضمنة لعن خيار هذه الأمة وروادها وأحباب رسول الله ﷺ وأصهاره وزوجاته أمهات المؤمنين وبقية الصحابة وسائر الأمة، وتسير كتبهم المعاصرة في الأدعية على خطى كتبهم الغابرة في هذا السبيل، كما تراه في «مفاتيح الجنان» لشيخهم المعاصر عباس القمي، و«ضياء الصالحين» لشيخهم محمد الجوهري وغيرهما.

زد على ذلك ما ينشره المعاصرون من كتب شيوخهم الأقدمين المليئة باللعن والسب والتكفير، بلا اعتراض عليها، بل بتأييد لما جاء فيها وإشاعة لها، وترويج لعفنها بين أهل دينهم.

أضف إلى هذا ما يشيع في واقعهم ويروج في مجتمعاتهم من تداول هذا البلاء، وقد نقل لنا من عاش في المجتمعات الشيعية المعاصرة في إيران والعراق، وتغلغل في أجوائها الخاصة، وحضر مجالسها ومحافلها وحلقات دروسها في البيوت والمساجد والمدارس -كيف أصبح اللعن والسب والتبري والتكفير لأفضل جيل يجري في عروقهم ويختلط بلحمهم ودمهم، حتى أصبح كالتسبيح والتحميد والتهليل لدى سائر المسلمين، فقال:

(١) انظر: المراجعات ص٧٥.

(٢) انظر: المراجعات ٣١٢-٣١٣.

(٣) ما بين القوسين من كلام الرافضي أيضًا، كذا قال.

(٤) السقيفة ص١٩.

«كان أول شيء أنكرته هو لعن الصديق والفاروق وأمهات المؤمنين: السيدة عائشة والسيدة حفصة، ولعن العصر الأول كافة، وكنت أسمع هذا في كل خطبة وفي كل حفلة ومجلس في البداية والنهاية، وأقرأ في ديابيج الكتب والرسائل، وفي أدعية الزيارات كلها، حتى في الأسقية، ما كان يسقي ساق إلا ويلعن، وما كان يشرب شارب إلا ويلعن، وأول كل حركة وكل عمل هو الصلاة على محمد وآل محمد، واللعن على الصديق والفاروق وعثمان الذين غصبوا حق علي -بزعمهم- وظلموه، حتى أصبح السب واللعن عندهم أعرف معروف، يلتذ به الخطيب، ويفرح عنده السامع وترتاح له الجماعة»[(١)].

وهذا الواقع الذي آل إليه الأمر في المجتمعات الشيعية هو إفراز عفن لتعليمات شيوخهم ومبادئ دينهم التي تدعو إلى ذلك بكل صراحة.

جاء في وسائل الشيعة (أحد مصادرهم الثمانية المعتمدة في الحديث): (باب استحباب لعن أعداء الدين عقب الصلاة بأسمائهم). ومما ذكر فيه قوله: «روى الكليني عن ابن ثوير والسراج قالا: سمعنا أبا عبد الله وهو يلعن في دبر كل مكتوبة أربعة من الرجال وأربعًا من النساء: فلانًا وفلانًا وفلانًا (الخلفاء الراشدين الثلاثة رضي الله عنهم) ويسميهم، ومعاوية، وفلانة وفلانة (أي: عائشة وحفصة -رضي الله عنهما-) وهندًا، وأم الحكم أخت معاوية»[(٢)].

وفي مستدرك الوسائل (وهو من مصادرهم الثمانية المعتمدة لديهم) باب مماثل بلفظه للباب السابق، وساق فيه جملة من رواياتهم ومنها: «عن أبي عبد الله أنه قال: من حقنا على أوليائنا وأشياعنا ألا ينصرف الرجل فيهم حتى يدعو بهذا الدعاء: اللهم.. ضاعف

---

(١) موسى جار الله شيخ الإسلام في روسيا في كتابه الوشيعة ص٢٧، وقال ذلك بعد زيارة طويلة له لبلاد الشيعة.

(٢) فروع الكافي: ١/ ٩٥، الطّوسي/ التّهذيب: ١/ ٢٢٧، وسائل الشيعة: ٤/ ١٠٣٧.

لعنتك وبأسك ونكالك وعذابك على اللذين كفرا نعمتك وخوفا رسولك وحلا عقده في وصيه، ونبذا عهده في خليفته من بعده، وادعيا مقامه، وغيرا أحكامه، وبدلا سننه، وقلبا دينه، وصغرا قدر حجتك وحججك وبدآ بظلمهم، وطرقا طريق الغدر عليهم، والخلاف من أمرهم، والقتل لهم.. ومنعا خليفتك من سد الثلم، وتقويم العوج، وإمضاء الأحكام، وإظهار دين الإسلام، وإقامة حدود القرآن، اللهم العنهما وابنتيهما، وكل من مال ميلهم وحذا حذوهم وسلك طريقتهم وتصدر ببدعتهم، لعنًا لا يخطر على البال، ويستعيذ منه أهل النار، اللهم العن من دان بقولهم، واتبع أمرهم، ودعا إلى ولايتهم، وشك في كفرهم من الأولين والآخرين»[1].

فانظر كيف لعنوا بهذه الكلمات المظلمة المسلمين جميعًا من الأولين والآخرين، والحكام والمحكومين، والصحابة والقرابة، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وخصوا بهذا اللعن من أقاما دولة الإسلام بعد رسول الله ﷺ ونشرا دين الله في العالمين، صديق هذه الأمة وفاروقها، وعدوهما وجميع من اتبعهما (أي جميع المسلمين) من أعداء الدين، فأي دين يعتقده هؤلاء الذين يعدّون صحابة رسول الله ﷺ ومن اتبعهم بإحسان هم أعداء الدين؟ ليكن أي دين ونحلة إلا دين الإسلام، فإن هذه الزندقة المفضوحة تؤكد أن واضعها من أتباع تلك الديانات التي قضى عليهم الإسلام بقيادة أبي بكر وعمر وإخوانهما، رضوان الله عليهم أجمعين.

إذن الروافض لم يدعوا السب واللعن والتكفير، ولا يزال شيوخهم بهذا الضلال يهيمون، وبتلك اللعنات يهذون، وعوامهم على أثرها يهرعون يشتمون ويكفرون.

وأرادوا بعد قيام دولتهم أن ينقلوا هذا التكفير واللعن والسب -بوعاء جديد وقالب خادع هو مصطلح البراءة من المشركين- إلى مجتمعات المسلمين، واختاروا موسم التجمع

---

(١) مستدرك الوسائل ١/ ٣٤٢.

الأعظم والمؤتمر الأكبر، علهم بهذه الوسيلة الماكرة أن يتمكنوا من خداع المسلمين بنقل هذا الوباء الشائع في المجتمعات الشيعية وكتبهم البدعية إلى دول المسلمين.

فهذا شعار مرفوع (أو محاولة لذلك) في جامعة شعوب المسلمين أرض المشاعر المقدسة وبيت الله الحرام، وفي اجتماع حاشد كبير لأداء ركن عظيم من أركان الإسلام، وسيتلو رفع هذا الشعار بث دعاتهم لتفسيره وفق التفسير الباطني الذي قدمناه من المعتمد من كتبهم، فكأن التاريخ يعيد نفسه، وكأن الطور السبئي يرجع ليبث سمومه بين أهل الإسلام، ولكن ولله الحمد والمنة لم يمكّن هؤلاء الروافض إلى اليوم -ولن يمكّنوا بعد اليوم بمشيئة الله عز وجل- من رفع شعارهم ونشر ضلالهم بواسطة هذا الشعار أو غيره، على الرغم من جهل كثير من المسلمين بخفايا هذا الشعار ومراميه وأهدافه.

ثانيًا: العدوان الباطني على آل البيت:

قد يبدو هذا العنوان غريباً عجيبًا، ذلك أن المعروف أن مبنى التشيع والرفض قائم على دعوى محبة أهل البيت، ونصرة أهل البيت، فكيف يقال بأنهم يعتدون على أهل البيت؟!

وأقول: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكنه ما وقر في القلب وصدقه القول والعمل، ودعوى التشيع عند هؤلاء هي لمجرد الدعاية والإعلان، وقد أدرك أهل العلم أن من مراحل الدعوة الباطنية مرحلة التأسيس، وهي موافقة المدعو فيما يريد ويشتهي، فإن كان ناصبيًا مبغضًا لآل بيت رسول ﷺ وافقه على نصبه، وإن كان متشيعًا للآل جرى معه على مذهبه... إلخ، حتى يتمكن بعد هذه المرحلة من التدرج به في سلم الدعوة الباطنية حتى ينتهي به المطاف إلى مرحلة الخلع والسلخ.. مع أن هذا الاتجاه يرفع في الأصل شعار التشيع، حتى قال بعض أهل العلم: إن ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض. ولذلك فإن هذه المرويات المدونة في كتب الشيعة الاثني عشرية المعتمدة

عندهم تحكم بالردة على ذلك المجتمع المثالي الفريد مجتمع الصحابة، ولا تستثني منهم جميعًا سوى ثلاثة، وإن زادت على ذلك لم تتجاوز السبعة، ولا تذكر من ضمن هؤلاء السبعة أحدًا من أهل بيت رسول الله ﷺ باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء علي فقط، وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر قال: «صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعةً: علي، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر، فقلت: فعمار، فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة[1]»[2].

فالحكم بالردة في هذه النصوص شامل للصحابة وأهل البيت النبوي من زوجات رسول الله ﷺ وقرابته، مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله ﷺ، فهل هذا إلا دليل واضح على أن التشيع المزعوم إنما هو ستار لتنفيذ أغراض خبيثة ضد الإسلام وأهله، وأن واضعي هذه الروايات أعداء للصحابة وللقرابة، ولا يستبعد أن تلك الأسماء التي تستثنى هي «أسماء مستعارة» للزنادقة الذين يشكلون الخلية الأولى «للرفض»، ولا يُعنى بهم الصحابة، وإلا لماذا لم يُذكر أحد معهم من أهل البيت؟ ولماذا لم يظهر من هؤلاء الصحابة منابذة ومناوأة للخليفتين الراشدين؟ بل ظهر منهم الحب والمؤازرة، بل إن عمارًا كان أميرًا لعمر بن الخطاب في الكوفة[3]، وسلمان الفارسي في المدائن[4].

إن الروافض حكموا بالردة في نصوصهم التي مر ذكرها على الحسن والحسين وآل عقيل وآل جعفر، وآل العباس، وزوجات رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين.

بل إن الشيعة خصت بالطعن والتكفير جملة من أهل بيت رسول الله ﷺ كعم النبي العباس، حتى قالوا بأنه نزل فيه قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ

(١) كذا!! مع أن المذكورين أربعة.

(٢) تفسير العياشي ١/ ١٩٩، البرهان ١/ ٣١٩، تفسير الصافي ١/ ٣٨٩.

(٣) انظر: أسد الغابة (٤/ ٤٦)، الإصابة (٢/ ٥٠٦)، الاستيعاب (٢/ ٤٧٣).

(٤) انظر: طبقات ابن سعد (٤/ ٨٧).

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢][1]، وكابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، فقد جاء في الكافي ما يتضمن تكفيره، وأنه جاهل سخيف العقل[2]، وفي رجال الكشي: «اللهم العن ابني فلان وأعم أبصارهما كما عميت قلوبهما.. واجعل عمى أبصارهما دليلًا على عمى قلوبهما»[3].

وعلق على هذا شيخهم المصطفوي فقال: «هما عبد الله بن عباس، وعبيد الله بن عباس»[4].

وبنات النبي ﷺ يشملهن سخط الشيعة وحنقهم، فلا يُذكرن فيمن استثني من التكفير، بل ونفى بعضهم أن يكن بنات النبي ﷺ ما عدا فاطمة[5] فهل يحب رسول الله ﷺ من يقول فيه وفي بناته هذا القول؟.

وقد نص صاحب الكافي في رواياته على أن كل من لم يؤمن بالاثني عشر فهو كافر، وإن كان علويًّا فاطميًّا[6]، وهذا يشمل في الحقيقة التكفير لجيل الصحابة ومن بعدهم بما فيهم الآل والأصحاب، لأنهم لم يعرفوا فكرة «الاثني عشر» التي لم توجد إلا بعد سنة (٢٦٠هـ).

كما باؤوا بتكفير أمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ، إذ لم يستثنوا واحدة منهن في نصوصهم، ولكنه يخصون منهن عائشة[7] وحفصة[8] - رضي الله عنهن جميعًا - بالذم

(١) رجال الكشي ص٥٣.
(٢) أصول الكافي (١/ ٢٤٧).
(٣) رجال الكشي ص٥٣.
(٤) نفس الموضع من المصدر السابق (الهامش).
(٥) انظر: كشف الغطاء ص٥، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ١/ ٢٧.
(٦) انظر: الكافي، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل... (١/ ٣٧٢-٣٧٤).
(٧) انظر: أصول الكافي ١/ ٣٠٠، رجال الكشي ٥٧-٦٠، بحار الأنوار ٥٣/ ٩٠.
(٨) انظر: بحار الأنوار ٢٢/ ٢٤٦.

واللعن والتكفير، وقد عقد شيخهم المجلسي باباً بعنوان (باب أحوال عائشة وحفصة) ذكر فيه ١٧ رواية[١]، وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى[٢]، وقد آذوا فيها رسول الله ﷺ في أهل بيته أبلغ الإيذاء، حتى اتهموا في أخبارهم من برأها الله من فوق سبع سماوات عائشة الصديقة بنت الصديق بالفاحشة، وهو يتضمن تكذيب القرآن العظيم، قال ابن كثير في تفسير سورة النور: «أجمع أهل العلم -رحمهم الله- قاطبة على أن من سبها ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في الآية فإنه كافر، لأنه معاند للقرآن»[٣]. وقال القرطبي: «فكل من سبها مما برأها الله منه مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر»[٤].

هذا، وظاهرة التكفير عند الشيعة لا تخص جيل الصحابة، (وإن كان الصحابة ينالهم النصيب الأوفى من السب والتكفير باعتبار أنهم حملة الشريعة، ونقلة الكتاب والسنة، والمبلغون عن رسول الله ﷺ دين الله، ولذلك صار «الطعن فيهم طعنًا في الدين»[٥] وكان هذا هو هدف الزنادقة من وراء الحملة الضارية عليهم، ولكن سلسلة التكفير عند الشيعة مستمرة.

فكما قالت كتب الشيعة: إن الناس ارتدوا بعد وفاة الرسول إلا ثلاثةً، قالت أيضًا: «ارتد الناس بعد قتل الحسين إلا ثلاثةً: أبو خالد الكابلي، ويحيى أم الطويل، وجبير بن مطعم»[٦].

---

(١) بحار الأنوار ٢٢/ ٢٢٧-٢٤٧.

(٢) حيث قال: «قد مر بعض أحوال عائشة في باب تزويج خديجة، وفي باب أحوال أولاده - صلى الله عليه وآله - في قصص مارية وأنها قذفتها فنزلت فيها آيات الإفك (انظر كيف يقلبون الحقائق) وسيأتي أكثر أحوالها في قصة الجمل (بحار الأنوار ٢٢/ ٢٤٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦)، وانظر: الصارم المسلول لابن تيمية ص٥٧١.

(٤) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٠٦.

(٥) منهاج السنة ١/ ٥.

(٦) رجال الكشي ص١٢٣، أصول الكافي ٢/ ٣٧٠.

فأنت ترى أن هذا النص لا يستثنى أحدًا من أهل البيت، ولا الحسن بن علي الذي تعده الاثنا عشرية إمامها، ويبدو أنها لا تستثنيه، لأنها عليه ساخطة لقيامه بمصالحة معاوية حتى خاطبه بعض الشيعة بقوله: «يا مذل المؤمنين»[١]، ووثب عليه أهل عسكره فانتبهوا فسطاطه وأخذوا متاعه، وطعنه ابن بشير الأسدي في خاصرته فردوه جريحًا إلى المدائن[٢].

ثالثًا: العدوان الباطني على حكام المسلمين وحكوماتهم:

يعتقد هؤلاء ضرورة البراءة من حكومات المسلمين وحكامهم، فقد قالوا في أهم وأوثق كتاب عندهم في الرواية: «كل راية ترفع قبل راية القائم[٣] (ع) فصاحبها طاغوت»[٤]. قال شارح الكافي: «وإن كان رافعها يدعو إلى الحق»[٥].

أي أن كل حكومة تقوم فهي حكومة غير شرعية حاكمها طاغوت من الطواغيت، وإن كان يدعو للحق ويعمل به فهذا لا يشفع له عندهم، ومن يبايع هذا الحاكم فهو مشرك ظالم مستحق للخلود في النار.

وقد عقد صاحب الكافي عدة أبواب لتقرير هذا المعنى مثل:

- ☐ باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل[٦].

---

(١) رجال الكشي ص١١.
(٢) انظر: المصدر السابق ص١١٣.
(٣) القائم من ألقاب مهديهم المنتظر.
(٤) الكافي (مع شرحه للمازندراني) ١٢/ ٣٧١، بحار الأنوار ٢٥/ ١١٣، الغيبة للنعماني ٥٦-٥٧.
(٥) شرح المازندراني على الكافي ١٢/ ٣٧١.
(٦) الكافي ١/ ٣٧٢- ٣٧٤.

□ باب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله[١].

وضمّن هذه الأبواب طائفة من نصوصهم المعتمدة عندهم، ففي الباب الأول ذكر اثني عشر حديثًا، وفي الثاني ذكر خمسة أحاديث.

وفي البحار للمجلسي عقد عدة أبواب في هذا الشأن منها: (باب عقاب من ادعى الإمامة بغير حق، أو رفع راية جور، أو أطاع إمامًا جائرًا)[٢]، وذكر فيه ثمانية عشر حديثًا.

ويعقد شيخهم الحر العاملي في كتابه «الفصول المهمة في أصول الأئمة» بابًا في هذا الأمر بعنوان: (باب أن كل ما في القرآن من آيات التحليل والتحريم فالمراد منها ظاهرها، والمراد بباطنها أئمة العدل والجور)[٣]، فهم يرون أن من أصول أئمتهم ودينهم أن المعنى الباطني المقصود والأساس لآيات أحكام الحلال هم أئمتهم الاثنا عشر، وآيات أحكام الحرام هم أئمة الجور، وهم كل من تولى على المسلمين من سوى أئمتهم.

فالإمام (الجائر) و(الظالم) و(الطاغوت) و(المشرك)، و(الذي ليس أهلاً للإمامة)، و(الإمام الذي ليس من عند الله)، وما شابه ذلك من أوصاف؛ كل ذلك يطلقونه على حكام المسلمين من غير أئمتهم الاثني عشر، وعلى رأس هؤلاء الحكام: الخلفاء الثلاثة الراشدون المهديون أصحاب رسول الله ﷺ وأصهاره وخلفاؤه وأحبابه وأصفياؤه وأولياؤه: أبو بكر، وعمر، وعثمان.

قال المجلسي عن الخلفاء الثلاثة -رضي الله عنهم وأرضاهم-: «إنهم لم يكونوا إلا غاصبين جائرين مرتدين عن الدين، لعنة الله عليهم وعلى من اتبعهم في ظلم أهل البيت من الأولين والآخرين»[٤].

---

(١) الكافي ١/ ٣٧٤-٣٧٦.

(٢) بحار الأنوار ٢٥/ ١١٠.

(٣) الفصول المهمة في أصول الأئمة ٢٥٦.

(٤) بحار الأنوار ٤/ ٣٨٥.

هذا ما يقولونه في أبي بكر الذي لو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح بهم، صديق هذه الأمة وعظيمها، وفي عمر الذي لم يَفْرِ فريه أحد، فاروق هذه الأمة وأحد معالم مفاخرها العظيمة، وعثمان ذي النورين صاحب الجود والحياء، الشهيد المظلوم، ومجهز جيش العسرة الذي تستحيي منه ملائكة الرحمن.

وقد عقد المجلسي بابًا في كتابه البحار في شأن هؤلاء الثلاثة الأعلام جعل عنوانه: (باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم)[١].

فإذا كانت هذه نظرتهم لهؤلاء الخلفاء وهم الذين أجمع المسلمون على عدالتهم وفضلهم وهدايتهم ودرايتهم، وأنهم أفضل الخلفاء والخلق بعد النبيين - فنظرتهم وحكمهم على من دونهم أشد وأسوأ، «فلا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان قلبه على المسلمين أغل»[٢].

بل ألزموا أتباعهم بالبراءة من كل من يترضى عن هؤلاء الثلاثة العظام، فكيف بمن دونهم من خلفاء الإسلام؟ فقد جاء في الكافي: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم:

١) من ادعى إمامة من الله ليست له.

(وهذا الحكم شامل لجميع خلفاء المسلمين باستثناء علي والحسن ومن ينوب عن المنتظر على رأي جمهور متأخريهم)

٢) ومن جحد إمامًا من الله.

(وهذا الحكم شامل لجميع شعوب العالم الإسلامي من عصر الخلافة الراشدة إلى نهاية الدنيا، ولا يستثنون سوى شيعتهم).

---

(١) بحار الأنوار ٨/ ٢٠٨ الطبعة الحجرية.

(٢) انظر: الإبانة لابن بطة ١٦٥.

٣) ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيبًا»[(١)]. قال المجلسي في مرآة العقول: «(لهما) أي لأبي بكر وعمر»[(٢)]. وهذا تكفير شنيع لأمة الإسلام جميعًا.

ونصوص الشيعة ومبادئها تفرض على كل شيعي منذ أكثر من أحد عشر قرنًا إلى اليوم ألا يؤمن بصحة بيعة خليفة من خلفاء المسلمين، ولا يعتقد بلزوم السمع والطاعة له، بل يعمل على الإضرار به وبدولته، كلما حانت فرصة أو تيسرت فتنة، وإنما يدين الشيعي فقط بالتبعية الشرعية والسمع والطاعة لولي أمر المسلمين في اعتقادهم وهو المهدي المنتظر، (أو من يقوم مقامه حسب نظرية ولاية الفقيه)، وكل شيعي يجدد البيعة له في اعتقاده وقوله وأدعيته.

فمن أدعيتهم اليومية الخاصة بصاحب الأمر، دعاء يسمونه «دعاء العهد» وفيه: «اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهدًا وعقدًا وبيعةً له في عنقي، لا أحول عنها ولا أزول أبدًا»[(٣)].

وفي دعاء يومي آخر لصاحب الأمر وصاحب البيعة الشرعية عندهم يقول: «اللهم هذه بيعة له في عنقي إلى يوم القيامة»[(٤)].

قال المجلسي: «ويصفق بيده اليمنى على اليسرى كتصفيق البيعة»[(٥)].

هذا ولما قامت دولتهم - التي عدوها بناء على النظرية الجديدة في ولاية الفقيه تمثل الدولة التي تنوب عن المنتظر - احتاجوا من أتباعهم إلى إعلان البراءة من غيرها من حكومات وحكام المسلمين، ولا يذهبن بك الظن إلى أنهم يعنون الحكام الظالمين

---

(١) الكافي ١/ ٣٧٣، تفسير العياشي ١/ ١٧٨، تفسير البرهان ١/ ٢٩٣، بحار الأنوار ٨/ ٢١٨.

(٢) مرآة العقول.

(٣) مفتاح الجنان، عباس القمي ٥٣٨-٥٣٩.

(٤) المصدر السابق (الموضوع نفسه).

(٥) بحار الأنوار ١٠٢/ ١١١، مفتاح الجنان ٥٣٨-٥٣٩.

لشعوبهم المتآمرين مع الاستعمار ضد أمتهم، بل لو كان الحاكم كأبي بكر في إيمانه، وعمر في عدله، وعثمان في جوده، وعلي في شجاعته، وأبي ذر في زهده لما نفعه ذلك عندهم، حتى يكون على اعتقادهم ويرى رأيهم في الإمامة والإمام، ولذلك كان في مقدمة من يتبرؤون منهم رواد هذه الأمة وعظماؤها كأبي بكر وعمر، وعموم ذلك الجيل القرآني الفريد من الصحابة والقرابة -رضوان الله عليه أجمعين-.

هذا؛ والبراءة من الحكومات والحكام لا تمنع أحدهم من الدخول في سلك وظائفها وتشكيلات وزاراتها وعموم مصالحها، لتحقيق كسب لطائفته أو إلحاق ضرر بالدولة، ولذا فإن الخميني يوصي أتباعه بما يسميه الدخول الشكلي في الحكومات من أجل تحقيق مصلحة للروافض، ويشيد بهذا الصدد بالخدمات التي قدمها نصير الدين الطوسي حين دخل وزيرًا في خلافة المستعصم، وتمكن بالتآمر مع التتار من الإطاحة بدولة الخلافة سنة ٦٥٦هـ[(١)]، وكذا علي بن يقطين الذي دخل في دولة هارون الرشيد لذات الهدف[(٢)]، وقد تمكن في ليلة واحدة بحيلة خبيثة من قتل خمسمائة مسلم كما شهدت بذلك ملفات الروافض ووثائقهم[(٣)]، كما سيأتي.

رابعًا: العدوان الباطني على قضاة المسلمين وأحكامهم:

من عدوانهم على قضاة المسلمين وأقضيتهم الكفر بحكمهم وأحكامهم، لارتباطهم بالإمامة الباطلة بزعمهم.

فقد جاء في الكافي عن عمر بن حنظلة قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل

---

(١) ينظر: الحكومة الإسلامية للخميني ١٢٨.

(٢) المصدر السابق ١٤٢.

(٣) كشف ذلك شيخهم نعمة الله الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية ٢/ ٣٠٨، انظرها بنصها في كتاب (بروتوكولات آيات قم حول الحرمين المقدسين) ص٩١، ط ١٤١١هـ.

ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتًا، وإن كان حقًا ثابتًا له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]»[١].

وقد علق الخميني على هذا النص بقوله: «الإمام -عليه السلام- نفسه ينهى عن الرجوع إلى السلاطين وقضاتهم، ويعتبر الرجوع إليهم رجوعًا إلى الطاغوت»[٢].

فأنت ترى أن نصوص هؤلاء الروافض قديمها وجديدها تعد قضاة المسلمين وحكامهم طواغيت، وأن أحكامهم باطلة، ومن يأخذ حقه بواسطتها فإنما يأكل الحرام، وهذا الحكم يعم قضاة المسلمين على مدى القرون، وتعاقب الأجيال.

والنص السابق قد أسندوه إلى جعفر بن محمد الصادق المتوفى سنة ١٤٨هـ، فإذا كان هذا حكمهم على قضاة تلك الفترة الداخلة ضمن القرون المفضلة؛ فما بالك فيمن بعدهم ودونهم ؟!

خامسًا: العدوان الباطني على أمة الإسلام:

لقد جعل الرافضة البراءة قاعدة عامة ومنطلقًا شاملًا في حياتهم لا ينفكون عنها أبدًا إلا في حال التقية، فقد وضعوا لأنفسهم وأوصوا أتباعهم بمخالفة المسلمين -بل صفوة المسلمين أهل السنة- في كل شيء، فقالوا: «ما خالف العامة (أهل السنة) ففيه الرشاد»[٣].

وبلغ بهم الأمر أنهم إذا وجدوا في المسألة قولين لا ثالث لهما فإنهم يوصون أتباعهم بتحري القول الذي يعمل به أهل السنة أو يميلون إليه لمخالفته، فيقولون: «ينظر إلى ما

---

(١) أصول الكافي ١/ ٦٧.
(٢) الحكومة الإسلامية ص٧٤.
(٣) الكافي ١/ ٦٨.

هم إليه أميل - يعني أهل السنة - بأحكامهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر»[١].

بل قد يعمدون إلى استفتاء بعض أئمة السنة وعلمائهم من أجل تحقيق المخالفة، ففي البحار عن علي بن أسباط قال: «قلت للرضا (ع): يحدث الأمر لا أجد بدًا من معرفته، وليس في البلد الذي أنا فيه أحد أستفتيه من مواليك، (يعني من شيوخ الرافضة) قال: فقال عليه السلام : ائت فقيه البلد - يعني من علماء السنة وقضاتها - فاستفته في أمرك، فإن أفتاك بشيء فخذ بخلافه فإن الحق فيه»[٢].

وهكذا أراد مؤسسو هذا المذهب الانفصال عن جماعة المسلمين، والنأي بالشيعة عن حقيقة الإسلام بالبراءة الكاملة من أحكام وفتاوى قضاة المسلمين وأئمتهم وإن وافقت الكتاب والسنة، حتى وضعوا لأنفسهم قاعدة في البراءة الكاملة من المسلمين فقالوا: «ما خالف العامة ففيه الرشاد»[٣] كما رأيت.

وقالوا: «إذا ورد عنكم حديثان مختلفان فخذوا بما خالف القوم»[٤].

وقالوا: «خذ بما خالف القوم (يعني أهل السنة)، وما وافق القوم فاجتنبه»[٥].

وحاور بعضهم إمامه في هذه المسألة فقال: «إذا وجدنا أحد الخبرين موافقًا للعامة (يعني أهل السنة)، والآخر مخالفًا لهم بأي الخبرين يؤخذ؟ فقال: ما خالف العامة ففيه الرشاد، فقال: جعلت فداك، فإن وافقهما الخبران جميعًا؟ قال: ينظر إلى ما هم إليه أميل حكامهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر، قلت : فإن وافق حكامهم الخبرين جميعًا؟ قال:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) عيون أخبار الرضا، وعلل الشرائع، وعن بحار الأنوار ٢/ ٢٣٣.

(٣) الكافي ١/ ٦٨، وراجع في هذه المسألة: وسائل الشيعة ١٨/ ٨٥ (باب وجوه الجمع بين الأحاديث المختلفة).

(٤) البحار ٢/ ٢٣٣، وسائل الشيعة ١٨/ ٨٥.

(٥) وسائل الشيعة ١٨/ ٨٥.

إذا كان ذلك فأرجئه حتى تلقى إمامك، فإن الوقوف عن الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات»[1]. وقد سبق ذكر بعض هذه النصوص.

هكذا يقررون أن موافقة أهل السنة في عمل من الأعمال أو مبدأ من المبادئ مهلكة، لكن إن كان هذا العمل أو ذاك المبدأ يوافق نصًا أو مبدأ عند الرافضة فإن الأمر يستدعي حينئذ فتوى تفصل في الأمر، لأن اصطحاب الأصل العام وهو مخالفتهم للمسلمين لم يتحقق حينئذ، وعلى صاحب المشكلة أن يرجئ أمره إلى حين لقاء «الإمام» ليتلقى منه الحكم.

وهكذا فإن مسألة العدوان على المسلمين تجري في شرايين مذهبهم، وهي بهذه الصورة مسلك خطير يخرج بالشيعة من الإسلام رأسًا، ونظمهم في سلك الملاحدة والزنادقة، لأنهم جعلوا مخالفة المسلمين هي القاعدة، فتكون النتيجة أنهم يوافقون الكافرين ويخالفون المسلمين.

فانظر إلى أي مدىً لعب بهم زنادقة القرون البائدة!

ويعللون الأخذ بهذا المبدأ، وهو البراءة والمخالفة للمسلمين، بقولهم: «وما أنتم والله على شيء مما هم فيه، ولا هم على شيء مما أنتم فيه، فخالفوهم، فما هم من الحنيفية على شيء»[2].

ومرة أخرى يوهمون أتباعهم ويخدعونهم لصرفهم عن الحق الذي عليه المسلمون بقولهم: «من جملة نعماء الله على هذه الطائفة المحقة (يعني الروافض) أنه خلى بين الشيطان وبين علماء العامة (يعني أهل السنة على حد المثل القائل: رمتني بدائها وانسلت)،

(١) أصول الكافي للكليني ١- ٦٧- ٦٨، من لا يحضره الفقيه لابن بابويه ٣/ ٥، التهذيب للطوسي ٦/ ٣٠١، الاحتجاج للطبري ١٩٤، وسائل الشيعة للحر العاملي ١٨/ ٧٥-٧٦.

(٢) وسائل الشيعة ١٨/ ٨٥.

فأضلهم في جميع المسائل النظرية، حتى يكون الأخذ بخلافهم ضابطة.. لنا (يريد قاعدة لهم)، ونظيره ما ورد في حق النساء: شاوروهنَّ وخالفوهنَّ»[(١)].

ما أعظم هذا الأمر وأشد خطره على هذه الطائفة! وأي زنديق وضع لهم هذا الأصل في البراءة: «ما خالف العامة ففيه الرشاد»!؟

«فجعلوا مخالفة أهل الإسلام الخلص أهل السنة والجماعة الذين هم على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين أصلًا للنجاة، فصار كلما فعل أهل السنة شيئًا تركوه، وإن تركوا شيئًا فعلوه، فخرجوا بذلك عن الدين رأسًا، وذلك هو الضلال المبين والهلاك اليقين»[(٢)].

سادسًا: العدوان الباطني على الفرق الإسلامية:

وبراءتهم تمتد إلى التبري الكامل من الفرق الإسلامية كلها معتدلها ومتشددها، قريبها وبعيدها، سنيها وبدعيها، ناصبيها وشيعيها، ولا يستثنون سوى طائفتهم (بل بين فرق الطائفة ذاتها لعن وتَبرٍّ وتكفير..).

ولا تظن أن في الأمر مبالغةً أو تحاملًا، بل هي الحقيقة المظلمة.. فنصوصهم وأقوال شيوخهم في التبري واللعن والتكفير لفرق المسلمين يملأ سوادها المجلدات، ينقل شيخهم المفيد في كتابه «أوائل المقالات» (الذي يعده المعاصرون من شيوخهم عمدة في بيان اعتقادهم)[(٣)] ينقل إجماعهم على تكفير الفرق الإسلامية كلها، وأنهم من أهل النار أجمعين، حيث يقول: «واتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار.. ومن مات

---

(١) الحر العاملي/ الإيقاظ من الهجعة ص٧٠- ٧١.

(٢) كشف غياهب الجهالات للألوسي، الورقة ٦ (مخطوط).

(٣) ذكر ذلك شيخهم محمد جواد مغنية رئيس المحكمة الجعفرية ببيروت، وذلك في كتابه الشيعة في الميزان ص١٤.

منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار»[1].

وقد عقد شيخهم المجلسي في كتابه بحار الأنوار (الذي يعده المعاصرون المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب)[2] بابًا في هذا الشأن بعنوان (باب كفر المخالفين والنصاب)[3]، وعد كل من لم يؤمن بإمامة واحد من الأئمة الاثني عشر في عداد المشركين، وأوجبوا بالتالي: البراءة منه، لأن البراءة من المشركين لازمة، كما عدوه في عداد الظالمين الملعونين، قال القمي: «من ادعى الإمامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون...»[4]، فهذا حكم شامل للحاكم والمحكوم.

فهم لم يبقوا من فرق المسلمين أحدًا سوى من قال بإمامة أئمتهم، بل اعتبروا المخالفين لهم من المسلمين أشد شرًا من اليهود والنصارى.

يقول ابن المطهر الحلي الذي يلقبونه بالعلامة: «الإمامة لطف عام، والنبوة لطف خاص، لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص»[5].

ولقد بلغ بهم الأمر أن أعلنوا المفاصلة الكاملة والبراءة الشاملة لكل فرقة من فرق المسلمين ؛ لأن كل الفرق الإسلامية (ما عدا الرافضة) تثبت خلافة الشيخين، فقالوا على لسان شيخهم نعمة الله الجزائري: «لم نجتمع معهم [يعني الأشعرية] على إله، ولا على نبي، ولا على إمام، ذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه

---

(١) أوائل المقالات ٥٣.

(٢) انظر: مقدمة البحار ١٩.

(٣) بحار الأنوار ٧٢/ ١٣٢.

(٤) الاعتقادات لابن بابويه ١١١، وانظر البحار للمجلسي ٢٧/ ٦٢.

(٥) الألفين لابن مطهر ٣.

أبو بكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبينا»[(١)].

ويقول أيضًا: «فالأشاعرة لم يعرفوا ربهم بوجه صحيح، بل عرفوه بوجه غير صحيح، فلا فرق بين معرفتهم هذه وبين معرفة باقي الكفار... فالأشاعرة ومتابعوهم أسوأ حالًا في باب معرفة الصانع من المشركين والنصارى... فمعرفتهم له سبحانه على هذا الوجه الباطل من جملة الأسباب التي أورثت خلودهم في النار مع إخوانهم من الكفار»[(٢)].

وقال شيخهم المازندراني: «المراد بالقدرية والمجوس فيما روي عنه -صلى الله عليه وآله- قال: «القدرية مجوس هذه الأمة» هم الأشاعرة وغيرهم من القائلين بالجبر»[(٣)].

وكذلك لم يسلم التصوف والصوفية من طعنهم وذمهم، سواء معتدلها ومتطرفها، فنسبوا إلى النبي -صلى الله عليه وآله- أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم من أمتي اسمهم صوفية، ليسوا مني، وإنهم يهود أمتي... إلى أن قال: هم أضل من الكفار وهم أهل النار»[(٤)]. يقول شيخهم الحر العاملي: «لا يوجد للتصوف وأهله في كتب الشيعة وكلام الأئمة -عليهم السلام- ذكر إلا بالذم، وقد صنفوا في الرد عليهم كتبًا متعددة»[(٥)].

هذه نصوص بالتكفير عامة وأحكام باللعن شاملة، وبإزائها نصوص خاصة تتناول الفرق الإسلامية على سبيل التخصيص والتعيين، كلعنهم لأهل السنة الذين يلقبونهم بالمرجئة، ولعنهم للقدرية والخوارج.

---

(١) الأنوار النعمانية (٢/ ٢٧٩).

(٢) الأنوار النعمانية: ٢/ ٢٧٨.

(٣) شرح أصول الكافي: ٥/ ١١.

(٤) الاثنا عشرية في الرد على الصوفية: ص١٨.

(٥) الاثنا عشرية في الرد على الصوفية: ص١٣، وقد ذكر محقق الكتاب منها ثمانية عشر كتابًا صنفوه في الرد عليهم.

جاء في الكافي «عن أبي مسروق قال: سألني أبو عبد الله عن أهل البصرة ما هم؟ فقلت: مرجئة وقدرية[1] وحرورية. فقال: لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة»[2].

وجاء في الكافي: «اللهم العن المرجئة فهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة»[3].

ويكشف شيخهم المجلسي مرادهم بهذا اللعن بلا تقية أو مواربة حيث يصرح بأن «المراد بالإرجاء هنا تأخير علي عن الدرجة الأولى إلى الدرجة الرابعة»[4].

يعني من لم يؤمن بأن عليًّا هو الخليفة الأول لرسول الله ﷺ يؤخره ويقدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان فهو مرجئ عندهم، والإرجاء في اللغة هو التأخير، والبراءة عندهم لازمة من كل مخالف حيًّا أو ميتًّا، يقول المجلسي: «لا تجوز الصلاة على المخالف لجبر أو تشبيه[5]، أو اعتزال أو خارجية، أو إنكار إمامة، إلا للتقية، فإن فعل (يعني صلى عليه تقية) لعنه بعد الرابعة»[6].

هذا ويمتد عدوانهم لتتناول فرقًا هي من طوائفهم، وتنتمي إلى التشيع مثلهم، فتتوالى عليهم اللعنات، وتتعاقب عليهم كلمات التكفير والمعاداة، ولذلك فإن شيخهم مير باقر الداماد يفسر حديث: «افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» يفسرها بفرق الشيعة، ويقرر أن الناجية منها طائفته الإمامية[7]، أما أهل السنة والمعتزلة

---

(١) صارت الشيعة قدرية فيما بعد، فاللعن يشملهم.

(٢) أصول الكافي ٢/ ٣٨٧، ٤٠٩.

(٣) فروع الكافي (مع شرحه مرآة العقول) ٤/ ٣٧١.

(٤) مرآة العقول للمجلسي ٤/ ٣٧١.

(٥) أوائل الشيعة كانوا جبرية في باب القدر مشبهة في باب الصفات، ثم جنحوا لطريقة الاعتزال في هذا الباب بعد المائة الثالثة.

(٦) ينظر: جمال الدين الأفغاني: التعليقات على شرح الدواني (ضمن كتاب الأعمال الكاملة للأفغاني دراسة وتحقيق محمد عمارة ١/ ٢١٥).

(٧) المصدر السابق.

والمرجئة والخوارج وغيرهم من سائر فرق المسلمين فجعلهم من أمة الدعوة، أي ليسوا من أمة الإجابة، فهم لم يدخلوا في اعتقاده في الإسلام أصلًا[(١)].

بل إنهم يخصون جملة من هذه الفرق الشيعية بلعنهم وتكفيرهم، ويكفي أن تعرف أن الزيدية وهي من فرق الشيعة نالهم الذم والتكفير في نصوص كثيرة، وفي عدد من مصادرهم المعتمدة، جاء في الكشي (عمدة مصادرهم في الرجال) : «عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عن الصدقة على الناصب وعلى الزيدية، قال: لا تصدق عليهم بشيء، ولا تسقهم من الماء إن استطعت. وقال لي: الزيدية هم النصاب»[(٢)].

وفي الكافي (عمدة كتبهم في الحديث): «عن عبد الله بن المغيرة قال: قلت لأبي الحسن رضي الله عنه: إن لي جارين أحدهما ناصب، والآخر زيدي، ولا بد من معاشرتهما فمن أعاشر؟ فقال: هما سيان، من كذب بآية من كتاب الله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره، وهو المكذب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين، ثم قال: إن هذا نصب لك، وهذا زيدي نصب لنا»[(٣)].

وقال المجلسي: «كتب أخبارنا مشحونة بالأخبار الدالة على كفر الزيدية وأمثالهم من الفطحية والواقفة»[(٤)].

قلت: والفطحية والواقفة أيضًا من فرق الشيعة، لكنهم خالفوا الاثني عشرية في عدد الأئمة أو أعيانهم، فدخلوا في دائرة البراءة والتكفير، فهذا حكمهم على فرق الشيعة؛ فما بالك بمن دونهم؟ حتى إنهم يعدون المخالف لهم في دعواهم في وجود المهدي وحياته، والقول بأنه هو الحكم اليوم على المسلمين، يعدونه أكفر من إبليس[(٥)].

---

(١) مرآة العقول ٤/ ٧١-٧٣.
(٢) رجال الكشي ١٩٩، بحار الأنوار ٧٢/ ١٧٩.
(٣) الكافي «كتاب الروضة» ١٢/ ٣٠٤ (مع شرحه للمازندراني)، مفتاح الكتب الأربعة ٨/ ٧٦.
(٤) بحار الأنوار ٣٧/ ٣٤.
(٥) انظر: إكمال الدين لابن بابويه ص١٣.

بل إن مجرد محبة أبي بكر وعمر هي عندهم من الكفر المستوجب للبراءة من صاحبه، جاء في البحار : «عن أبي علي الخرساني، عن مولى لعلي بن الحسين عليه السلام قال: كنت معه عليه السلام في بعض خلواته فقلت: إن لي عليك حقًا؛ ألا تخبرني عن هذين الرجلين: عن أبي بكر وعمر؟ فقال: كافران، كافر من أحبهما»[(١)].

ويظهر أن موجة تكفير الصحابة والقرابة التي سادت نصوصهم وسودت كتبهم قد كان من عقوباتها وآثارها ظهور حالة التنافر والتنابذ والتنابز والتلاعن والتلاحي والتبري بين فرقهم وأفرادهم، كأنها عقوبة مثلية جزاءً وفاقًا، فهؤلاء الذي أطلقوا ألسنتهم في خير الصحابة ومن دونهم من عموم المسلمين، ارتدت سهام ألسنتهم إليهم، استمع إلى ما يرويه الكشي ويوافقه عليه شيخ طائفتهم الطوسي[(٢)] عن حال أوائل أصحابهم (الخلص) من تبري بعضهم من بعض، ورمي بعضهم لبعض بالزندقة والكفر، حيث يقول في روايته بأنه في سنة ١٩٠هـ اجتمع ستة عشر رجلًا في باب الحسن الثاني، فقال له أحدهم - ويدعى جعفر بن عيسى- : يا سيدي نشكو إلى الله وإليك[(٣)] ما نحن فيه من أصحابنا. فقال: وما أنتم فيه منهم؟ فقال جعفر: هم والله يزندقونا ويكفرونا ويتبرؤون منا. فقال: هكذا أصحاب علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وأصحاب جعفر، وموسى صلوات الله عليهم، ولقد كان أصحاب زرارة يكفرون غيرهم، وكذلك غيرهم كانوا يكفرونهم. وقال: جعلت فداك! إنهم يزعمون أنا زنادقة»[(٤)].

---

(١) بحار الأنوار ٧٢/ ١٣٧-١٣٨.

(٢) لأن كتاب رجال الكشي الموجود بأيدي الشيعة اليوم من اختياره وتهذيبه، أما الأصل الذي وضعه الكشي فقد فُقِد كما يقولون.

(٣) هذا التعبير من الألفاظ المنهي عنها، لأنه يقتضي التسوية بين الخالق والمخلوق، فهو نوع من الشرك (الأصغر)، ولذا يجب أن يقول: (نشكو إلى الله ثم إليك) وضلال هؤلاء (أعني الروافض) في الشرك الأكبر أعظم من ذلك، ولكن هذا التنبيه للقارئ.

(٤) رجال الكشي ٤٩٨-٤٩٩.

هذا حال رعيلهم الأول فكيف بمن بعدهم!؟ ولذلك في عصرنا هذا نجد الاثني عشرية منقسمة إلى أصولية وإخبارية وشيخية وكشفية وركنية وكريمخانية وقزلباشية[1]، وكلها داخلة في المجموعة الاثني عشرية وهي بعد هذا يكفر بعضها بعضًا[2].

سابعًا: العدوان الباطني على أمصار المسلمين والحكم بأنها دار كفر:

جاء في نصوصهم البراءة العامة من أمصار المسلمين، ولا يستثنون إلا من أخذ بمعتقدهم ودان بنحلتهم، وتأتي في مقدمة أمصار المسلمين مكة المكرمة والمدينة المنورة ثم ما دونهما من بلاد المسلمين، وإليك الأمثلة من واقع كتبهم المعتمدة عندهم:

أ) مكة والمدينة:

يقولون في مصادرهم المعتمدة: «إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث منهم سبعين ضعفًا»[3].

هذا النص ورد في أصول الكافي أهم مصدر وأوثقه في مقاييسهم، وتاريخ صدور هذا الحكم هو منتصف القرن الثاني بمقتضى نسبة الرواية إلى جعفر الصادق[4] المتوفى سنة ١٤٨هـ، أي أن هذا حكم على مكة المكرمة بأنها دار كفر في فترة القرون الثلاثة المفضلة، ويعلق على ذلك أحد شيوخهم المعاصرين بقوله: «لعل هذا الكلام في زمن بني أمية وأتباعهم كانوا منافقين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، والمنافقون شر من الكفار، وهم في الدرك الأسفل من النار... ويحتمل أن يكون هذا مبنيًا على أن المخالفين

---

(١) في أصول الشيعة ١/ ١١١، وما بعدها تعريف موجز بهذه الفرق.

(٢) الآراء الصريحة، لمحمود الملاح ص٨١.

(٣) أصول الكافي ٢/ ٤١٠

(٤) ونبرئ الإمام من هذا الافتراء، ومثل هذه المقالات جزء من عدوانهم وعدائهم لأهل البيت، فهم يطعنون فيهم باسم التشيع والمحبة لهم.

غير المستضعفين مطلقًا شر من سائر الكفار كما يظهر من كثير من الأخبار»[١].

فهو يرى أن هذا التكفير حق، ويوجه هذا الحكم عليهم بأنهم شر من الكفار بأحد أمرين:

- إما باتباعهم للأمويين، أي بمقتضى مبايعتهم لخلفاء المسلمين من الأمويين، وهذا نفاق أكبر عندهم.
- أو لأن المخالف (يعني المخالف للشيعة من سنة وغيرهم من الفرق الإسلامية) شر من الكفار[٢].

فاسمع وتعجب! حيث ترى أن المعاصرين يقرون ويؤيدون هذا الحكم الجائر الظالم الذي صدر من الزنادقة الغابرين في حق أهالي مكة والمدينة المجاورين للحرمين في فترة القرون المفضلة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية في قوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». رواه البخاري وغيره، ولقد كان أهل المدينة ولا سيما في القرون المفضلة يمثلون الصفوة المختارة من المسلمين، حيث كانوا يتأسون بأثر رسول الله ﷺ أكثر من سائر الأمصار، ولهذا لم يذهب أحد من علماء المسلمين إلى أن إجماع أهل مدينة من المدائن حجة يجب اتباعها غير المدينة[٣].

وقد ظل أهل المدينة متمسكين بمذهبهم القديم، منتسبين إلى مذهب مالك إلى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد ذلك، فإنهم قدم إليهم من رافضة المشرق من أفسد مذهب كثير منهم[٤].

---

(١) علي أكبر الغفاري في تعليقه على أصول الكافي ٢/ ٤٠٩ - ٤١٠ (الهامش).

(٢) أصول الشيعة ٢/ ٤٧٠.

(٣) اشتهر عن الإمام مالك وأصحابه أن إجماع أهل المدينة حجة، وإن كان بقية الأئمة ينازعونه في ذلك، والمراد إجماعهم في تلك الأعصار المفضلة، أما بعد ذلك فقد اتفق الناس على أن إجماعهم ليس بحجة [مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٠/ ٣٠٠].

(٤) ينظر: الفتاوى ٢٠/ ٢٩٩-٣٠٠.

ويبدو أن التزام أهل المدينة بسنة رسول الله ﷺ في تلك الفترة الذهبية من تاريخ الإسلام قد أغاظ هؤلاء الزنادقة الأقزام، فعبروا عن بالغ حقدهم بهذه الكلمات، وما تخفي صدورهم أكبر.

وإذا كان هذا حكمهم على خيار التابعين المجاورين للحرمين المشهود لهم بالفضل والخيرية - فحكمهم على ما جاء بعدهم أشد وأنكى، كما قال بعض السلف: «لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان قلبه على المسلمين أغل»[٥].

ولذلك فإن المعاصرين على أثرهم يهرعون يلعنون ويكفرون، ولا ينفكون عن ذلك إلا في ظل التقية والمداهنة والمصانعة والمداراة التي أصبحت لهم دينًا ومسلكًا.

وكل ذلك متفرع عن قضيتهم الأولى «إمامة الاثني عشر» والتي يرون أن منكرها أكفر من اليهود والنصارى[٦].

وفي هذا الاتجاه يرون أن حكم الكفار للديار الإسلامية أولى من حكم المسلمين.

وقد نقل الشيخ رشيد رضا أن الرافضي (أبو بكر العطاس) قال: «إنه يفضل أن يكون الإنكليز حكامًا في الأراضي المقدسة على ابن سعود»[٧].

وقد كشف لنا آيتهم حسين الخرساني أن كل شيعي يتمنى فتح مكة والمدينة، وقال: «إن طوائف الشيعة يترقبون من حين وآخر أن يومًا قريبًا آتيًا يفتح الله لهم تلك الأراضي المقدسة لمرة أخرى - كذا - ليدخلوها آمنين مطمئنين، فيطوفوا بيت ربهم، ويؤدوا مناسكهم، ويزوروا قبور ساداتهم ومشايخهم، ولا يكون هناك سلطان جائر يتجاوز عليهم بهتك أعراضهم، وذهاب حرمة إسلامهم، وسفك دمائهم المحقونة، ونهب

---

(٥) انظر: الإبانة لابن بطة ١٦٥.
(٦) انظر: الألفين لابن المطهر ص٣.
(٧) المنار - المجلد (٩) ص (٦٠٥).

أموالهم المحترمة ظلمًا وعدوانًا، حقق الله تعالى آمالنا»[١].

هكذا يتمنى هذا الرافضي فتح الديار المقدسة، وكأنها بيد كفار، ويعلل هذا التمني بأنه يريد الحج والزيارة، وكأنه وطائفته قد منعوا من ذلك، والواقع أنه يريد إقامة الشرك وهدم التوحيد في الحرمين الطاهرين.

ب) مصر وأهلها:

قالوا في نصوص لهم يسندونها إلى أئمتهم المعصومين في كتبهم المعتمدة عندهم: «بئس البلاد مصر، أما أنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل، ولم يكن دخل بنو إسرائيل مصر إلا من سخطة ومعصية منهم لله. إني أكره أن آكل شيئًا طبخ في فخار مصر، وما أحب أن أغسل رأسي من طينها، مخافة أن تورثني تربتها الذل وتذهب بغيرتي»[٢].

وقالوا: «مالك ومصر؟ أما علمت أنها مصر الحتوف.. يساق إليها أقصر الناس أعمارًا»[٣].

وقالت مصادرهم: «انتحوا مصر ولا تطلبوا المكث فيها.. هو يورث الدياثة»[٤].

وقالوا أيضًا: «ما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها، ولقد أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى عليه السلام أن يخرج عظام يوسف منها.. ولقد قال رسول الله ﷺ: لا تغسلوا رؤوسكم بطينها ولا تأكلوا في فخارها، فإنه يورث الذل ويذهب الغيرة»[٥].

---

(١) الإسلام على ضوء التشيع ص١٣٢-١٣٣.

(٢) بحار الأنوار ٦٠/ ٢١٠، تفسير العياشي ١/ ٣٠٥، والبرهان ٤٥٧١.

(٣) بحار الأنوار ٦٠/ ٢١١.

(٤) الموضع نفسه من المصدر السابق.

(٥) قرب الإسناد ص٢٢٠، وبحار الأنوار ٦٠/٢٠٨-٢٠٩، تفسير العياشي ١/ ٣٠٤، والبرهان ١/ ٤٥٦.

وجاءت عندهم هذه الروايات وغيرها في ذم مصر وهجاء أهلها والتحذير من سكناها مسندة افتراء على الله ورسوله وآل بيته إلى رسول الله ﷺ، وإلى محمد الباقر، وإلى علي الرضا[١]. وقد عقب المجلسي على هذه النصوص بقوله: بأن مصر صارت من شر البلاد في تلك الأزمنة، لأن أهلها صاروا من أشقى الناس وأكفرهم[٢].

فهذا رأي الروافض في مصر في تلك العصور الإسلامية الزاهرة، كل ذلك لأنها لم تأخذ بنهج الروافض، ويحتمل أن هذه الروايات قبل الحقبة الإسماعيلية من تاريخ مصر، لأن من يشاركهم في رفضهم.. ويقيم دولة تسمح بكفرهم لا ينالون منه بمثل هذا.

كما لا يبعد أن هذه النصوص بعد الحقبة الإسماعيلية وهي تعبير عن حقد الرافضة وغيظهم على مصر وأهلها بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين على يد القائد العظيم صلاح الدين، الذي طهر أرض الكنانة من دنسهم ورجسهم، وأين هذه الكلمات المظلمة في حق مصر وأهلها من الباب الذي عقده مسلم في صحيحه: «باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر»[٣]، وفيه قوله عليه الصلاة والسلام: «إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط[٤]، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمةً[٥] ورحمًا»[٦].أو قال: «ذمةً وصهرًا»[٧]. رواه مسلم[٨].

---

(١) انظر: المصادر السابقة، وتفسير القمي ٩٩٦، وبحار الأنوار ٦٠/ ٢٠٨.

(٢) انظر: بحار الأنوار ٥/ ٢٠٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر ٢/ ١٩٧٠.

(٤) القيراط: جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرها، وكان أهل مصر - في ذلك الزمان - يكثرون من استعماله والتكلم به.

(٥) الذمة: هي الحرية والحق.

(٦) الرحم: لكون هاجر أم إسماعيل منهم.

(٧) الصهر: لكون مارية أم إبراهيم (ابن رسول الله ﷺ) منهم.

(٨) صحيح مسلم ٢/ ١٩٧٠ (رقم٢٢٧)

ت) الشام وأهلها :

جاء في الكافي : «أهل الشام شر من أهل الروم»[1] (يعني شر من النصارى)، وقالوا أيضًا: «لا تقولوا: من أهل الشام، ولكن قولوا: من أهل الشؤم، هم أبناء شر (يعني بلد) لعنوا على لسان داود عليه السلام فجعل الله منهم القردة والخنازير»[2].

أين هذه الكلمات الحاقدة على الشام وأهلها مما ورد في كتب السنة في فضل الشام!؟[3] وقد قال الإمام ابن القيم: «... وأرض الشام وصفها الله - سبحانه- بالبركة في أربعة مواضع من كتابه أو خمسة...»[4].

وورد في فضل أهلها أحاديث، منها ما رواه أصحاب السنن، ومنها قوله ﷺ : «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم»[5]، وقد صنف في فضل الشام بعض أهل العلم كتبًا خاصة، كالإمام الربعي[6] وابن الجوزي.

ث) العدوان على بلدان المسلمين كلها إلا واحدة:

هذا؛ وجاء عندهم ذم كثير لبلدان الإسلام وأهلها[7]، ولا يستثنون من أمصار المسلمين - في العصور الذهبية من تاريخ المسلمين وهو عصر القرون الثلاثة المفضلة - لا يستثنون سوى بلدة واحدة فقط، أما ما عداها من بلاد المسلمين في شرق الأرض وغربها فليس لها ولا لأهلها في ولايتهم نصيب، بل يتبرؤون منها ويعدونها في عداد بلاد المغضوب عليهم والضالين، بل أعظم وأشد.

---

(١) أصول الكافي ٢/ ٤٠٩.

(٢) تفسير القمي ٥٩٦، وبحار الأنوار ٦٠/ ٢٠٨.

(٣) انظر: كتاب فضائل الشام لأبي الحسن الربعي، مطبعة الترقي بدمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد.

(٤) بدائع الفوائد ٢/ ١٨٧.

(٥) أخرجه الترمذي (ح٢١٩٢)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد في «المسند» (ح١٥٥٩٦).

(٦) هو علي بن محمد بن صافي بن شجاع الربعي، أبو الحسن، ويعرف بابن أبي الهول (المتوفى: ٤٤٤هـ).

(٧) انظر: بحار الأنوار ٦٠/ ٢٠٨ وما بعدها.

جاء في البحار - لتقرير هذا الأمر - قولهم: «إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة»[1]، أي لم تستمع لمذهبهم من بلاد المسلمين سوى «الكوفة»، ذلك أن بلاد الإسلام لقربها من العلم والإيمان لم تقبل مادة «الرفض الخبيثة» سوى الكوفة التي بليت بها بتأثير ابن سبأ اليهودي، الذي طاف الأمصار فلم يجد من يقبل دعوته أحد إلا في ذلك المكان القاصي البعيد في تلك الفترة عن نور العلم والإيمان؛ إذ البدعة لا تنمو وتنتشر إلا في ظل الجهل وغيبة أهل العلم والإيمان.

ثامنًا: العدوان الباطني على أموات المسلمين:

ولم يشف غيظهم ويكف شرهم براءتهم من المسلمين الأحياء، بل تجاوزت أحلامهم المريضة وأحقادهم السوداء ذلك إلى حد التشفي والتمني بنبش قبور عظماء الإسلام بعد موتهم، بل نبش قبري عظيمي الإسلام ومن أقاما دولة الإسلام بعد رسول الله ﷺ، أعني أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما-.

لقد سجلوا في مصادرهم المعتمدة بلا خوف أو حياء نصوصًا عديدة تتضمن هذه الأمنيات المريضة، يقولون: «هل ترى أول ما يبدأ به القائم؟[2] أول ما يبدأ به يخرج هذين (يعنون خليفتي رسول الله ﷺ) رطبين غضين فيحرقهما ويذريهما في الريح ويكسر المسجد»[3].

وفي نص ثان لهم يقولون:

«وهذا القائم.. هو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين،

---

(١) المصدر السابق ١٠٠/ ٢٥٩.

(٢) يعنون مهديهم المنتظر الذي سيتولى الفقيه الشيعي القيام بجميع أعماله، ومنها هذا العمل الذي سيبدأ به لو تمكن هو وطائفته من دخول الحرم النبوي، وذلك بحكم نظريتهم الجديدة وهي عموم ولاية الفقيه.

(٣) بحار الأنوار ٥٢/ ٣٨٦.

فيخرج اللات والعزى، (يعنون خليفتي رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما) طريين فيحرقهما»[١].

وفي نص ثالث يقولون على لسان مهديهم: «وأجيء إلى يثرب فأهدم الحجرة، وأخرج من بها وهما طريان، فآمر بهما تجاه البقيع، وآمر بخشبتين يصلبان عليهما فتورقان من تحتهما، فيفتتن الناس بهما أشد من الأولى»[٢].

بل إنهم يتجهون - كما تصرح به نصوصهم - إلى هدم الحجرة النبوية، يقول نصهم - كما مر -: «وأجيء إلى يثرب فأهدم الحجرة»، فقد نطقت نصوصهم بما في قلوبهم، وصدق فيهم قول السلف: إن الذين يطعنون في صحابة رسول الله ﷺ، فهدفهم الطعن في رسول الله ﷺ حتى قال: رجل سوء له أصحاب سوء. ولذلك فإن وعودهم المظلمة تعد أتباعهم بهدم الحجرة النبوية التي تضم في جوانبها جسد أفضل الخلق، وما لنا نذهب بعيدًا وإحدى فرقهم وتسمى العلبائية[٣]، نطقت بذم رسول الله ﷺ، لأنها تستقي من هذا الغثاء المظلم.

---

(١) عيون أخبار الرضا ١/ ٥٨، بحار الأنوار ٥٢/ ٣٤٢.

(٢) بحار الأنوار ٥٣/ ١٠٤-١٠٥.

(٣) العلبائية: من فرق الشيعة، وهم أصحاب العلباء بن ذراع الدوسي أو الأسدي، كان يفضل عليًا على النبي ﷺ، وكان يقول بذم محمد ﷺ، وزعم أنه بعث ليدعو إلى علي فدعا إلى نفسه.

انظر: الملل والنحل ١/ ١٧٥، ورجال الكشي ص٥٧١، إلا أنه سماها العليائية، بحار الأنوار ٢٥/ ٣٠٥.

المبحث السادس: ولاية الفقيه ودورها في عودة الغزو الباطني



قامت الهجمة الباطنية ابتداء على مواجهة الإمامة الشرعية متمثلة في الطعن في خلافة الخلفاء الراشدين، ومن جاء بعدهم من ولاة المسلمين.

وقد حصروا الإمامة في اثني عشر إمامًا فلما سقطت دعواهم في استمرار الإمامة بموت الحسن العسكري (٢٦٠هـ) عقيمًا، اخترعوا فكرة وجود ولد له اختفى بعد ولادته خشية أن يقتله سلطان زمانه، ونشأت عقيدة (الغيبة والمهدية) عندهم، وجعلوها هي البديل لدعوى الإمامة التي ابتدعها ابن سبأ، ثم لما تطاول عليهم الأمد، وأيسوا من خروج هذا الولد المختفي الموهوم، ابتدعوا نظرية (ولاية الفقيه) وهي تعني نيابة شيوخهم عن مهديهم، فصارت هي البديل عن (الإمامة).

فكان لابد من الوقوف عند هذه المقالة؛ لأنها هي الأساس الذي يقوم عليه دينهم ودولتهم في إيران، وطبقوا هذه النظرية لأول مرة في تاريخ هذه النحلة في عصرنا، وهي التي تقود اليوم الغزو الباطني على الأمة، ويمارسون باسمها العدوان على المسلمين، كما نراه ونشاهده في أصقاع العالم الإسلامي وما يجري على الأمة بسببها من فتن ومحن.

ولابد لمعرفة خطر ولاية الفقيه من الوقوف على معناها، وإدراك أبعادها، وتقريب مفهومها.

فأقول: تعتقد الباطنية الاثنا عشرية أن الولاية العامة على المسلمين منوطة بأشخاص معينين بأسمائهم وعددهم، قد اختارهم الله كما يختار أنبياءه، وهؤلاء الأئمة أمرهم كأمر الله، وعصمتهم كعصمة رسل الله، وفضلهم فوق فضل أنبياء الله.

ولكن آخر هؤلاء الأئمة - حسب اعتقادهم - غائب منذ سنة ٢٦٠هـ، ولذا فإن الاثني عشرية تمنع أن يلي أحد منصب الإمام الغائب في الخلافة حتى يخرج من مخبئه، ويعود من غيبته، حتى تقول: «كل راية ترفع قبل أن يقوم القائم فصاحبها طاغوت وإن

كان يدعو إلى الحق»[1].

وعلى هذا مضى شيعة القرون الماضية.. وقد استطاعوا أن يأخذوا «مرسومًا إماميًا» وتوقيعًا من الغائب - على حد زعمهم - يسمح لشيوخهم أن يتولوا بعض الصلاحيات الخاصة به، لا كل الصلاحيات، وهذا التوقيع يقول: «أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا..»[2].

وواضح من خلال هذا النص أنه يأمرهم بالرجوع في معرفة أحكام الحوادث الواقعة والجديدة إلى شيوخهم.

ولذلك استقر الرأي عند الشيعة على أن ولاية فقهائهم خاصة بمسائل الإفتاء وأمثالها، كما ينص عليه توقيع المنتظر، كما يشمل الاستيلاء على خمس مكاسب الأتباع مع النذور والأوقاف[3].

أما الولاية العامة التي تشمل السياسة وإقامة الدولة، فهي من خصائص الغائب وهي موقوفة حتى يرجع من غيبته، ولذلك عاش أتباع هذا المذهب وهم ينظرون إلى خلفاء المسلمين على أنهم غاصبون مستبدون، ويتحسرون لأنهم قد استولوا على سلطان إمامهم، ويدعون الله في كل لحظة أن يعجل بفرجه حتى يقيم دولتهم، ويتعاملون مع الحكومات القائمة بمقتضى عقيدة التقية.

لكن غيبة هذا الولد المختفي المزعوم - الذي يلقبونه بالمهدي - قد طالت، وتوالت قرون قاربت الاثني عشر دون أن يظهر، والشيعة محرومون من دولة شرعية حسب اعتقادهم، وبدأت فكرة القول بنقل وظائف المهدي للفقيه تداعب أفكار المتأخرين منهم، وتحظى بالقبول لدى طائفة كبيرة من شيوخهم لاشتراكهم في مكاسبها.

---

(١) انظر: الكافي ٨/ ٢٩٥، وسائل الشيعة ١٥/ ٥٢، الغيبة للنعماني ص٣٨، بحار الأنوار ٥٢/ ١٤٣.
(٢) انظر: وسائل الشيعة ٢٧/ ١٤٠، الغيبة للطوسي ص٢٩١، بحار الأنوار ٢/ ٩٠.
(٣) انظر: «الخُمس عند الشيعة الإمامية وجذوره العقدية» للمؤلف.

وقد أشار الخميني إلى أن اثنين من شيوخهم، وهما: النراقي[١] ت١٢٤٥هـ، والنائيني[٢] ت١٣٥٥هـ، قد ذهبا إلى أن للفقيه جميع ما للإمام من الوظائف والأعمال في مجال الحكم والإدارة والسياسة[٣].

ولم يذكر الخميني أحدًا نادى بهذه الفكرة قبلهما، ولو وجد لذكره؛ لأنه يبحث عما يبرر مذهبه.

فإذن؛ عقيدة عموم ولاية الفقيه (أعني الولاية العامة الشاملة والنيابة العامة عن مهديهم) لم توجد عند الاثني عشرية قبل القرن الثالث عشر.

وقد التقط الخميني هذا الخيط الذي وضعه من قبله، وراح ينادي بهذه الفكرة، وضرورة إقامة دولة برئاسة نائب الإمام لتطبيق المذهب الشيعي، فهو يقول: «واليوم - في عهد الغيبة - لا يوجد نص على شخص معين يدير شؤون الدولة، فما هو الرأي؟ هل تترك أحكام الإسلام معطلة؟ أم نرغب بأنفسنا عن الإسلام؟ أم نقول: إن الإسلام جاء ليحكم الناس قرنين من الزمان فحسب ليهملهم بعد ذلك؟ أو نقول: إن الإسلام قد أهمل أمور تنظيم الدولة؟ ونحن نعلم أن عدم وجود الحكومة يعني ضياع ثغور الإسلام وانتهاكها، ويعني تخاذلنا عن أرضنا، هل يسمح بذلك في ديننا؟ أليست الحكومة ضرورة من ضرورات الحياة؟»[٤].

ويقول في موضع آخر: «قد مر على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي أكثر من ألف عام، وقد تمر ألوف السنين قبل أن تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر في طول هذه المدة المديدة، هل تبقى أحكام الإسلام معطلة؟ يعمل الناس من خلالها ما يشاؤون؟ ألا

---

(١) أحمد بن محمد بن مهدي النراقي الكاشاني ١١٨٥-١٢٤٥هـ.
(٢) حسين بن عبد الرحمن النجفي النائيني ١٢٧٣-١٣٥٥هـ.
(٣) الحكومة الإسلامية ص٧٤.
(٤) الحكومة الإسلامية ص٤٨.

يلزم من ذلك الهرج والمرج!؟ القوانين التي صدع بها نبي الإسلام ﷺ وجهد في نشرها، وبيانها وتنفيذها طيلة ثلاثة وعشرين عامًا، هل كان كل ذلك لمدة محدودة؟ هل حدد الله عمر الشريعة بمائتي عام مثلًا؟ الذهاب إلى هذا الرأي أسوأ في نظري من الاعتقاد بأن الإسلام منسوخ»[(١)].

ثم يقول: «إذن؛ فإن كل من يتظاهر بالرأي القائل بعدم ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية فهو ينكر ضرورة تنفيذ أحكام الإسلام، ويدعو إلى تعطيلها وتجميدها، وهو ينكر بالتالي شمول وخلود الدين الإسلامي الحنيف»[(٢)].

فالخميني يرى لهذه المبررات التي ذكرها خروج الفقيه الشيعي وأتباعه للاستيلاء على الحكم في بلاد الإسلام نيابة عن المهدي، وهو يخرج بهذا عن مقررات دينهم، ويخالف وصايا أئمته الكثيرة في ضرورة انتظار الغائب وعدم التعجيل بالخروج[(٣)].

ولم يكن أوائل الشيعة الاثني عشرية، وكذلك جل معاصريهم على هذه العقيدة الخمينية، حتى قال أحد آياتهم ومراجعهم في هذا العصر: «وقد توافرت عنهم (ع) حرمة الخروج على أعدائهم وسلاطين عصرهم»[(٤)]، ذلك أن منصب الإمامة لا يصلح عندهم إلا للمنصوص عليه من عند الله، ولا يعني ذلك رضاهم بهذه الحكومات، وقبولهم لها، بل يقولون بوجوب التمهيد لخروج مهديهم عبر «الثورة المسلحة على الحكام»[(٥)]، والتعاون مع الأعداء، ولذلك صاروا عيونًا وأعوانًا لكل عدو خارجي، كما شهد بذلك تاريخهم وواقعهم، ولا يجيزون المشاركة في الحكومات إلا بهدف نصرة مذهبهم، وهو ما

(١) الحكومة الإسلامية ص٢٦.

(٢) الحكومة الإسلامية ص٢٦-٢٧.

(٣) انظر: الغيبة للنعماني ص١٢٩، بحار الأنوار ٥٢/ ١٣٦.

(٤) محمد الحسيني البغدادي النجفي (يلقب بالآية العظمى، والمرجع الديني الأعلى) في كتابه: وجوب النهضة لحفظ البيضة ص٩٣.

(٥) في انتظار الإمام: ص٧٠.

يسميه الخميني بـ«الدخول الشكلي في الحكومات»[1].

والخميني وهو يبطل عقيدة الانتظار التي دان بها متقدموهم ومتأخروهم، ويحشد مبرراته ودلائله لبيان ضرورة إقامة الدولة الشيعية، ونيابة الفقيه عن المهدي في رئاستها، كان ينبغي أن يسوق هذه الأدلة لنقد المذهب من أصله الذي قام على خرافة الغيبة وانتظار الغائب، والذي انتهى بهم إلى هذه النهاية، لو كان له ولأمثاله صدق في القول ونصح للأتباع.

وعلى كل فهذه مقالة مهمة وخطيرة على فساد مذهبهم من أصله، وأن إجماع طائفته كل القرون الماضية كان على ضلالة، وأن رأيهم في النص على إمام معين، والذي نازعوا من أجله أهل السنة طويلًا وكفروهم؛ أمر فاسد. أثبت التاريخ والواقع فساده بوضوح تام، وهاهم يضطرون للخروج عليه بقولهم بعموم ولاية الفقيه بعد أن تطاول عليهم الدهر، ويئسوا من خروج من يسمونه (صاحب الزمان)، فاستولوا حينئذ على صلاحياته كلها، وأفرغوا كل مهامه ووظائفه لأنفسهم ومن هم على ملتهم. وقد كان الخميني ينادي بهذه النظرية، ويرى ضرورة تولي مهام منصب الغائب في رئاسة الدولة، ومن أجل إقناع طائفته بهذا المبدأ ألف كتابه (الحكومة الإسلامية) أو (ولاية الفقيه).

وهو لا يوافق على ولاية كل أحد أمور الدولة؛ بل يخصص ذلك بفقهاء شيعته، ويحصر الحكم والسلطان بهم، حيث يقول: «وبالرغم من عدم وجود نص على شخص من ينوب عن الإمام (ع) حال غيبته، إلا أن خصائص الحاكم الشرعي.. موجودة في معظم فقهائنا في هذا العصر، فإذا أجمعوا أمرهم كان في ميسورهم إيجاد وتكوين حكومة عادلة منقطعة النظير»[2].

---

(١) الحكومة الإسلامية: ص١٤٢.

(٢) الحكومة الإسلامية ص٤٨-٤٩. وأقول: إذا كانت حكومة الآيات والفقهاء لا مثيل لها في العدل - كما يقول - فما حاجتهم إلى خروج مهديهم إذًا؟!

وترى الخمينية أن ولاية الفقيه الشيعي كولاية رسول الله ﷺ، يقول الخميني: «فالله جعل الرسول وليًّا للمؤمنين جميعًا.. ومن بعده كان الإمام (ع) وليًّا، ومعنى ولايتهما أن أوامرهما الشرعية نافذة في الجميع»[١].

ثم يقول: «نفس هذه الولاية والحاكمية موجودة لدى الفقيه، بفارق واحد هو أن ولاية الفقيه على الفقهاء الآخرين لا تكون حيث يستطيع عزلهم أو نصبهم، لأن الفقهاء في الولاية متساوون من ناحية الأهلية»[٢].

فنظرية الخميني - كما ترى - ترتكز على أصلين:

الأول: القول بالولاية العامة للفقيه.

والثاني: أنه لا يلي رئاسة الدولة إلا الفقيه الشيعي.

وهذا خروج عن دعوى تعيين الأئمة، وحصرهم باثني عشر، لأن فقهاء الرافضة لا يمكن حصرهم بعدد معين، وكذلك فهم غير منصوص على أعيانهم، وهذا يعني أنهم عادوا لمفهوم الإمامة حسب مذهب أهل السنة - إلى حد ما[٣] - وأقروا بضلال أسلافهم وفساد مذهبهم بمقتضى هذا القول، وهدموا بولاية الفقيه الخمينية أساس الديانة الاثني عشرية الذي يقوم على تعيين الأئمة وحصرهم باثني عشر إمامًا، وهاهم يدعون إلى اختيار رئيس الدولة بواسطة الانتخاب، وهم يقولون بالإمامة المنصوصة لمعينين، والتي أثبت العقل والواقع زيفها واستحالة تطبيقها.

لكنهم يعدون هذا المبدأ (ولاية الفقيه) نيابة عن المهدي حتى يرجع، فهم لم يتخلوا عن أصل مذهبهم، ولهذا أصبح هذا الاتجاه - في نظري - لا يختلف عن مذهب البابية،

---

(١) الحكومة الإسلامية ص٥١.

(٢) الحكومة الإسلامية ص٥١.

(٣) أقول: إلى حدٍّ ما؛ لأنهم خرجوا من حصر الإمامة بالشخص إلى حصرها بالنوع وهو الفقيه الشيعي.

لأنه يزعم أن الفقيه الشيعي هو الذي يمثل المهدي، كما أن الباب يزعم ذلك، ولعل الفارق أن الخميني يعد كل فقهائهم أبوابًا.

وإن شئت قل: إن الخميني أخرج (المهدي المنتظر) عند الروافض؛ لأن صلاحياته ووظائفه أناطها بالفقيه؛ بل إنه بهذا المبدأ لم يخرج مهديًّا واحدًا بل أخرج العشرات، لأن كثيراً من شيوخهم وآياتهم لهم الأحقية بهذا المنصب فهو يقول: «إن معظم فقهائنا في هذا العصر تتوفر فيهم الخصائص التي تؤهلهم للنيابة عن الإمام المعصوم»[1].

وبمقتضى هذه النيابة يكون أمرهم كأمر الرسول حيث يقول: «هم الحجة على الناس كما كان الرسول ﷺ حجة الله عليهم، وكل من يتخلف عن طاعتهم، فإن الله يؤاخذه ويحاسبه على ذلك»[2]، وهكذا يحكم بوجوب طاعتهم الطاعة المطلقة لأنهم نواب الإمام.

ويقول: «وعلى كل فقد فوض إليهم (يعني إلى شيوخ الروافض) الأنبياء جميع ما فوض إليهم، وائتمنوهم على ما اؤتمنوا عليه»[3]، بل أشار إلى أن دولة الفقيه الشيعي كدولة مهديهم الموعودة، وقال: «كل ما يفقدنا[4] هو عصا موسى، وسيف علي بن أبي طالب[5] (ع) وعزيمتهما الجبارة، وإذا عزمنا على إقامة حكم إسلامي سنحصل على عصا موسى، وسيف علي بن أبي طالب[6]»[7].

---

(١) الحكومة الإسلامية ص١١٣.

(٢) الحكومة الإسلامية ص٨٠.

(٣) الحكومة الإسلامية ص٨٠.

(٤) يريد أن يقول: كل ما نفقده.

(٥) وهذه من مواريث المهدي عن الأنبياء والأئمة (انظر: أصول الكافي ١/ ٢٣١).

(٦) انظر إلى الجمع بين عصا موسى، وسيف علي بن أبي طالب ألا يشير هذا إلى تأثير العنصر اليهودي؟! وعلى أي حال فقد ثبت التشابه العقدي بينهما وتولى كبر تأسيس هذه العلاقة الآثمة ابن سبأ اليهودي، وثبت في عصرنا تعاون اليهود مع الشيعة في دولة الآيات، كما في فضائح صفقات الأسلحة، والتعاون السري بين الملالي واليهود الذي تناقلته وكالات الأنباء واشتهر أمره.

(٧) الحكومة الإسلامية ص١٣٥.

والحصول عليهما يتم بواسطة اللقاء بين المراجع والمهدي، والذي أشار إليه شيخهم ومرجعهم المدرسي، فقال: «لا نستبعد - بل هو كائن فعلًا - وجود علاقات سرية بين الإمام (ع) وبين مراجع الشيعة، وهذا هو السر العظيم»[1]، وهي خرافة لا وجود لها إلا في خيالات الملالي.

والخميني يقرر أن تشكيل الحكومة الشيعية لم يقع من شيعته الماضيين، حيث يقول: «في السابق لم نعمل ولم ننهض سوية لتشكيل حكومة تحطم الخائنين المفسدين»[2]، ويقول: «ولم تسنح الفرصة لأئمتنا للأخذ بزمام الأمور، وكانوا بانتظارها حتى آخر لحظة من الحياة، فعلى الفقهاء العدول أن يتحينوا هم الفرص وينتهزوها من أجل تنظيم وتشكيل حكومة...»[3].

وقد قامت حكومات شيعية، ولكنها ليست محكومة من قبل (الآيات) و(نواب المعصوم)، ولذا عدوا حكومتهم أول دولة إسلامية (يعني شيعية).

قال بعض الروافض: «إن الخميني أسس الجمهورية الإسلامية العظمى في إيران.. لأول مرة في تاريخ الإسلام وحقق حلم الأنبياء والرسول الأعظم ﷺ والأئمة المعصومين - عليهم السلام -»[4].

ويرى آيتهم الطالقاني أن حكومة الرسول ﷺ وخلفائه لا تصل إلى مقام دولتهم، وأنها تمهيد لقيامها، حيث يقول: «إننا نعتقد أن الجمهورية الإسلامية هي المؤهلة للحياة في هذا الزمان، ولم تكن مؤهلة للحياة في فجر الإسلام.. إن التحولات الاجتماعية

---

(١) الفكر الإسلامي مواجهة حضارية: ص٣٠٥.

(٢) الحكومة الإسلامية ص٤٠.

(٣) الحكومة الإسلامية ص ٥٤.

(٤) أحمد الفهري (ويلقبونه بالعلامة) في تقديمه لكتاب سر الصلاة للخميني ص١٠.

والسياسية التي شهدها العالم منذ الرسول والخلفاء الراشدين وحتى اليوم هي التي توفر الأساس الموضوعي لقيام الجمهورية الإسلامية»[١].

فأنت ترى أن طبيعة النظرة الشيعية دائماً تجنح إلى الغلو، وتقديس الأشخاص، والتطرف في الاعتقادات.. كما ترى في نظرة طالقاني إلى جمهورية الخميني، بل ادعى بعضهم أن الخميني قد بشر به أئمتهم من قبل[٢].

هذا وقد مضى ما ترويه الشيعة عن سيرة مهديهم بعد عودته من غيبته - حسب اعتقادهم - وأنه لا همّ له ولا عمل إلا القتل والانتقام، حتى يقولون: إنه بعث بالجفر الأحمر وبالذبح، وإنه يخص العرب بمجازره.. إلخ[٣]، ونجد اليوم هذه السيرة قد بدت ملامحها في دولة الآيات، حيث بدأ الخميني وأتباعه مشروع دولة المهدي بمجازرهم الرهيبة في داخل إيران وخارجها، وأصر على استمرار الحرب مع العراق طيلة ثماني سنوات، فقتل وشرد وأسر مئات الآلاف من الشعب العراقي شيعة وسنة.

ولا تزال حكومة الملالي الإيرانية اليوم تقوم على تنفيذ مشروع (الجفر الأحمر) وهو القتل للعرب الذي انتقل تنفيذه إلى الملالي حسب عقيدة (ولاية الفقيه)، وهاهم ينفذونه اليوم في العراق والشام واليمن ولبنان بواسطة خلاياهم، وما يسمى بفرق الموت التي تتخذ أحيانًا من اسم المهدي أو غيره شعارًا لها.

والحقيقة أن واضعي روايات القتل العام الموعود بعد خروج الغائب المفقود يدركون أن مسألة الغيبة والمهدية لا تعدو أن تكون وهمًا من الأوهام، ولكنهم يعبرون عما تكنه

(١) نشرت ذلك جريدة السفير اللبنانية بتاريخ ٣١/ ٣/ ١٩٧٩م، وقد نقل ذلك: محمد جواد مغنية، واعتبره فهمًا جديدًا للجمهورية الإسلامية لا يقوله إلا من عاش الإسلام بقلبه وعقله (!) (انظر: الخميني والدولة الإسلامية ص١١٣).

(٢) الخميني والدولة الإسلامية، محمد جواد مغنية ص٣٨-٣٩.

(٣) انظر في الجفر الأحمر: أصول الكافي ١/ ٢٤٠.

صدورهم، وتجيش به نفوسهم من أحقاد، وكذلك معظم شيوخ الشيعة غالبهم زنادقة يعرفون أن المهدي خرافة، ولذلك فهم إذا واتتهم فرصة لتحقيق أمانيهم في قتل المسلمين اهتبلوها، ولم ينتظروا فيها خروج مهديهم، لأنهم يعرفون أنه لن يخرج أبدًا؛ لأنه لم يوجد أصلًا!

ولا أدل على ذلك من أن الخميني نفسه يقرر في كتابه تحرير الوسيلة أنه لا يجوز بسبب غيبة مهديهم البدء في الجهاد، فيقول: «في عصر غيبة ولي الأمر وسلطان العصر عجل الله فرجه الشريف يقوم نوابه وهم الفقهاء الجامعون لشرائط الفتوى والقضاء مقامه في إجراء السياسات وسائر ما للإمام - عليه السلام - إلا البدأة بالجهاد»[(١)].

ولكنه حينما أقام دولته قرر في دستورها «أن جيش الجمهورية الإسلامية.. لا يحتملان فقط مسؤولية حفظ وحراسة الحدود، وإنما يتكفلان أيضًا بحمل رسالة عقائدية أي الجهاد في سبيل الله، والنضال من أجل توسيع حاكمية قانون الله في كافة أرجاء العالم»[(٢)].

فأنت ترى الفرق واضحًا بين المقامين (قبل قيام دولته وبعد قيامها)، فهو في (تحرير الوسيلة) الذي كتبه قبل قيام دولته يجعل الجهاد من وظائف المهدي الغائب الذي لن يخرج أبدًا؛ لأنه لم يوجد أصلًا، أما بعد قيام دولته فيجعل الجهاد منوطًا بجيشها، وينص على ذلك في دستورها، ويعلق الأمر به بالفقيه الشيعي، وذلك بمقتضى مذهبه الجديد في ولاية الفقيه، والتي نقلت فيها صلاحيات المهدي كلها للشيخ الشيعي. وقد نص أيضا على ذلك دستورهم، فقال: «وفي زمن غيبة الإمام - عجل الله تعالى فرجه - تعتبر ولاية الأمر وإمامة الأمة في جمهورية إيران الإسلامية بيد الفقيه..»[(٣)].

---

(١) تحرير الوسيلة ١/ ٢٨٤.

(٢) الدستور لجمهورية إيران الإسلامية ص١٦، منشورات مؤسسة الشهيد، وانظر: الطبعة الأخرى من الدستور، التي أصدرتها وزارة الإرشاد الإيرانية ص١٠.

(٣) دستور الجمهورية الإسلامية في إيران ص١٨، ط. وزارة الإرشاد.

ولا تزال مهمة المهدي الموعودة في قتل المسلمين، تظهر على ألسنة حججهم وآياتهم، وأنه سيبدؤها الفقيه؛ لأنه ينوب عن مهديهم في كل وظائفه، وقد أعلن بعض شيوخهم ذلك صراحة بدون تقية دينية ولا مصانعة سياسية؛ لأنهم كما يقولون عن أنفسهم: «مبتلون بالنزق[١] وقلة الكتمان»[٢].

ففي احتفال رسمي وجماهيري أقيم في عبادان في ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م تأييدًا لإقامة الجمهورية الإسلامية، ألقى د. محمد مهدي صادقي خطبة في هذا الاحتفال سجلت باللغتين العربية والفارسية، ووصفتها الإذاعة بأنها مهمة، ومما جاء في هذه الخطبة: «أصرح يا إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن مكة المكرمة حرم الله الآمن يحتلها شرذمة أشد من اليهود..»، وذكر قبل ذلك بأنه حين تثبت ثورته سينتقلون «إلى القدس وإلى مكة المكرمة، وإلى أفغانستان، وإلى مختلف البلاد»[٣].

فتراهم يعتبرون الوضع في مكة، كوضع القدس الذي يحتله اليهود، ووضع أفغانستان التي يحتلها الشيوعيون.

وقد نشرت مجلة الشهيد - لسان علماء الشيعة في قم - في العدد (٤٦) الصادر بتاريخ ١٦ شوال ١٤٠٠هـ؛ صورة تمثل الكعبة المشرفة، وإلى جانبها صور تمثل المسجد الأقصى المبارك وبينهما (يد قابضة على البندقية) وتحتها تعليق نصه: «سنحرر القبلتين»[٤].

---

(١) أي: الطيش وخفة العقل.

(٢) أصول الكافي ١/ ٢٢٢.

(٣) أذيعت هذه الخطبة من صوت الثورة الإسلامية من عبادان الساعة ١٢ ظهرًا من يوم ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م، انظر: وجاء دور المجوس ص٣٤٤-٣٤٧.

(٤) انظر: مجلة الشهيد، العدد المذكور، وانظر: جريدة المدينة السعودية الصادرة في ٢٧ ذي القعدة ١٤٠٠هـ، وانظر ما كتبه الشيخ محمد عبد القادر آزاد، رئيس مجلس علماء باكستان عما شاهده في أثناء زيارته لإيران، حيث يقول بأنه رأى على جدران فندق هيلتون في طهران، والذي يقيمون فيه شعارات مكتوبًا عليها: «سنحرر الكعبة والقدس وفلسطين من أيدي الكفار» (انظر: الفتنة الخمينية للشيخ محمد آزاد ص٩).

المبحث السابع: وسائل الغزو الباطني



يشكل دعاة التشيع في هذا العصر خلايا منها السرية ومنها العلنية وكلها تسرح في العالم الإسلامي لنشر الرفض بموجب خطة مدروسة، وتمويل الملالي الذين يستمدون رصيدهم المالي من عرق وجهد أولئك الأتباع الأغرار الذين غيبت عقولهم، وشحنت عواطفهم عبر المآتم والحسينيات، وانخدعوا بتلك الدعوى الخادعة «حب آل البيت»، والتي ليس لشيوخ الشيعة نصيب منها إلا الدعوى، فاستولوا على الأموال الكبيرة باسم خمس الإمام، وهذه الخلايا غالبًا ما تتستر على أهدافها بشعارات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، فهي تارة ترفع شعار «التقريب بين المذاهب الإسلامية»[١]، وأخرى باسم «جمعية أهل البيت»[٢]، وغيرهما.

وبعد قيام دولة الآيات في إيران «تحولت السفارات والقنصليات الإيرانية في أوربا إلى مراكز لنشر عقيدتهم في أوساط المسلمين (لا الكفار) المقيمين في أوربا، وتؤكد ذلك عشرات بل مئات وآلاف الكتيبات والمنشورات الخاصة بالفكر الشيعي، وتوزيع هذه الكتيبات على المسلمين الأوربيين في أماكن تجمعهم وخاصة عند أبواب المساجد، أو في البريد، أو من خلال وسائل أخرى، وحتى المراكز الثقافية والمكتبات تبدو كأنها أقيمت من أجل نشر التشيع الإيراني بين الأقلية المسلمة في أوربا، فبالإضافة إلى ما تحتويه هذه المكتبات من كتب ونشرات حول الثورة الإيرانية ومنهجها العقائدي، نجد أن القائمين على هذه المكتبات ينظمون دروسًا وندوات تتعلق في معظمها بالقضية العقدية»[٣].

ثم لم يزل نشاطهم في ازدياد حتى لا تكاد تجد اليوم بلدًا إلا وقد تسللت إليه جماعات تبشر بالرفض، وتزرع بذور الفُرقة والخلاف بين أهل البلد الواحد.

---

(١) انظر: مسألة التقريب (٢/ ١٧٣).

(٢) انظر: مسألة التقريب (٢/ ١٨٥).

(٣) انظر: مجلة المجتمع، العدد: ٧٦٠، السنة السابعة عشرة ١٥ رجب ١٤٠٦هـ.

ونشاط الروافض متعدد الوجوه، متنوع الوسائل، والغاية عندهم تبرر الوسيلة؛ لأن دينهم التقية، ولا دين عندهم لمن لا تقية له.

وقد قدَّم الحيدري في «عنوان المجد» بيانًا خطيرًا بالقبائل السنية التي ترفضت بجهود الروافض وخداعهم، فقال: «وأما العشائر العظام في العراق الذين ترفضوا من قريب فكثيرون، منهم ربيعة.. ترفضوا منذ سبعين سنة، وتميم وهي عشيرة عظيمة ترفضوا في نواحي العراق منذ ستين سنة بسبب تردد شياطين الرافضة إليهم، والخزاعل ترفضوا منذ أكثر من مائة وخمسين سنة وهي عشيرة عظيمة من بني خزاعة فحرفت وسميت خزاعل.. وعشيرة زبيد وهي كثيرة القبائل وقد ترفضت منذ ستين سنة بتردد الرافضة إليهم وعدم العلماء عندهم.

ومن العشائر المترفضة بنو عمير وهم بطن من تميم، والخزرج وهم بطن من بني مزيقيا من الأزد، وشمرطوكه وهي كثيرة، والدوار، والدفافعة.

ومن المترفضة عشائر العمارة آل محمد وهي لكثرتها لا تحصى وترفضوا من قريب، وعشيرة بني لام وهي كثيرة العدد، وعشائر الديوانية، وهم خمس عشائر: آل أقرع، وآل بدير، وعفج، والجبور، وجليحة. والأقرع ست عشرة قبيلة، وكل قبيلة كثيرة العدد، وآل بدير ثلاث عشرة قبيلة وهي أيضًا كثيرة العدد، وعفج ثماني قبائل كثيرة العدد، وجليحة أربع قبائل كثيرة الأعداد، والجبور كذلك. ومن عشائر العراق العظيمة المترفضة منذ مائة سنة فأقل عشيرة كعب وهي عشيرة عظيمة ذات بطون كثيرة..»[١].

وهكذا مضى الحيدري على هذا المنوال يذكر قبائل أهل السنة التي اعتنقت الرفض في غفلة من أهل السنة[٢].

---

(١) عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد: ص١١٢-١١٨.

(٢) وسيأتي ذكر الوسيلة التي سلكها شيوخ الرفض لاستمالة شيوخ القبائل إلى مذهبهم، كما كشف ذلك العلامة محمد كامل الرافعي.

وهم لا يزالون إلى اليوم ينشرون معتقداتهم في كثير من الدول على كل المستويات وبمختلف الوسائل.

ولهم اهتمامات بالاتصال ببعض رؤساء الدول الذين يتوسمون فيهم الاستجابة لمذهبهم، كما فعلوا قديماً مع خدا بنده[(١)]، قال الحافظ ابن كثير: «أقام سنة على السنَّة، ثم تحول إلى الرفض وأقام شعائره في بلاده»، ذلك أنه كان حديث عهد بدين الإسلام، ولا معرفة له بالعقيدة الإسلامية، وتاريخ الإسلام، فالتقى بشيخ رافضي يدعى ابن المطهر الحلي، فزين له مذهب الرافضة الباطل، فدخل فيه هو وجميع عشائره وقبائله وأتباعه، وقد صنف ابن المطهر تصانيف كثيرة كنهج الحق، ومنهاج الكرامة وغيرهما لدعوة السلطان المذكور، وإغرائه بالتمسك بالمذهب الرافضي.

قال ابن كثير: «وقد جرت في أيامه فتن كبار، ومصائب عظام فأراح الله منه البلاد والعباد»[(٢)]. وقصم عمره وهو ابن ست وثلاثين سنة. وبعدما توفي تاب ابنه في سنة ٧١٠هـ، من الرفض ورجع عن هذه العقيدة الخبيثة بإرشاد أهل السنة، وأبعد الروافض، فهرب الحلي إلى الحلة وسائر علمائهم.

وقد تعددت وتنوعت وسائلهم في عصرنا للدعاية لمذهبهم حتى قاموا بشراء بعض أصحاب الأقلام من ضعاف الإيمان ممن يجهلون حقيقتهم، واستكتبوهم للدعاية للتشيع، والتقديم لكتب الشيعة[(٣)].

---

(١) خدا (بالفارسية) الله. وبنده: عبد. أي عبد الله.

وخدا بنده هو الثامن من ملوك الإيلخانية، والسادس من ذرية جنكيز خان، واسمه الحقيقي الجايتو بن أرغون بن أبغا بن هولاكو. (انظر: التحفة الاثني عشرية/ الورقة ٤٣ (مخطوط)، وتعليق محب الدين الخطيب على المنتقى ص١٨-١٩).

(٢) «البداية والنهاية» (١٤/ ٧٧).

(٣) كما ترى ذلك في بعض كتبهم التي ترسل للعالم الإسلامي للدعاية للتشيع، ويستكتب فيها أمثال هؤلاء كما في كتاب أصل الشيعة، وعقائد الإمامية وغيرهما.

ويقومون بانتقاء الأذكياء من الطلاب والطالبات في العالم الإسلامي ويعطونهم منحًا دراسية في قم ليغسلوا أدمغتهم ويربوهم على الرفض حتى يعودوا لبلدانهم ناشرين للرفض داعين له[١].

يقول شيخ الأزهر: «الأنباء التي تصلني من كافة أنحاء العالم الإسلامي تدل على أن هذه الحركة الإيرانية الخمينية الآن تنشر العنف، وتحاول أن تستقطب الشباب بوجه خاص في كثير من البلدان الإسلامية بالإغراءات المتعددة المالية والدراسية في إيران، وغير ذلك من السبل بقصد إحداث الفرقة باستقطاب هؤلاء الشباب، ودفعهم إلى إثارة الخلافات في بلادهم وبين شعوبهم.. وأعتقد أنه على الشعوب الإسلامية أن تكون حذرة فيما تساق إليه بواسطة الخمينية أو غيرها، فهي حركة من الحركات الموفدة لتفتيت الأمة الإسلامية وبث الصراع والخلاف فيما بينها»[٢]. هذا ما قاله شيخ الأزهر قبل ثلاثين سنة، وقد صدقت نبوءته، فهاهم اليوم قد فرقوا الأمة، وأحدثوا الصراعات والحروب، وقلَّ أن تجد بلدًا إلا ويشتكي أهله من الفساد والخراب الذي تنشره الخلايا الصفوية السرية[٣].

أما إذا تمكنوا من بلد وصارت لهم فيه قوة وشوكة فإنهم ينتقلون من الدعوة السلمية إلى التصفية الجسدية، كما تراه اليوم في العراق والشام واليمن.

ولعل أول من كتب بتوسع عن وسائل ومخططات الشيعة الباطنية هو الإمام عبد

---

(١) أخبرني بعض طلابي من الفلبين قبل سنوات أن ابن خالته يدرس في قم، ولما سأله: ماذا تدرسون؟ أجابه قائلًا: ندرس خرافات، ولكن نريد أن نعيش!!

(٢) أخبار اليوم، العدد: (٢١٦٠) السنة ٤٢، السبت ١١ رجب ١٤٠٦هـ.

(٣) زرت عام ١٤٠٩هـ مدينة سورابايا بإندونيسيا ورأيت نشاط الرافضة في الدعوة لنحلتهم بمختلف الوسائل، ومن أخطرها وأخبثها قيامهم ببناء مركز يجمعون فيه الأطفال والناشئة لتربيتهم على عقيدة الرفض، وقد قلت لمرافقي (الشيخ محمد باعبد الله - رحمه الله -): كيف تتعاملون مع هذه الحالة؟ فقال لي: لا حيلة لنا مع هؤلاء الصغار؛ لأنهم لا يدركون الخطر الذي يساقون إليه، وإنما عملنا الآن في توعية آبائهم.

العزيز الدهلوي صاحب «التحفة الاثني عشرية»، فقد ذكر أكثر من سبعين مكيدة، وقد أشار إلى أنهم احتلوا المرتبة الأولى في المكر والكيد، وفاقوا اليهود في مخططاتهم، وقال: «إن اليهود - على مكرهم وكيدهم - لا تدري بعُشرها»[1].

وقال العلامة الآلوسي - وهو الذي عاش بينهم ووقف على مخططاتهم في العراق وغيره -: «إن لهم دسائس لا تدري اليهود بعشرها، وحيل لا تعرفها الشياطين على خبثها ومكرها.

لقد جربتهم فرأيت منهم
خبائث بالمهيمن تستجير»[2].

ويكمن خطرهم في تظاهرهم بخلاف ما يعتقدون، وزعمهم نصرة الأمة وقضاياها في الظاهر، وتآمرهم وتعاونهم مع الأعداء في الباطن، واغترار بعض الناس بشعاراتهم، وغفلتهم عن مكرهم ومؤامراتهم، واتخاذهم لتحقيق أهدافهم مسالك خفية وأساليب متلونة خادعة، وزرعهم لخلاياهم وأحزابهم - وفق تنظيم سري محكم - في حكومات ووزارات ولجان حقوقية ووسائل إعلامية وأحزاب سياسية ومجالات اقتصادية واجتماعية وتعليمية لخدمة أهدافهم، وهم يستهدفون عقيدة الأمة ودينها، ويستمدون الدعم الكبير من خمس الملالي، وما تفرع عنه من مؤسساتهم الاقتصادية المنتشرة، كما يحظون بتأييد ومساندة من دولتهم، ويستخدمون وسائل التأثير المختلفة الإعلامية والتعليمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وتجنيد الملايين من الغافلين والمغفلين والمتآمرين والحاقدين والمرتزقة المأجورين، ويتسترون برداء «التشيع»، للتآمر على الشيعة، واتخاذهم وسيلة للتآمر على الأمة.

---

(١) انظر: «مختصر التحفة الاثني عشرية» (ص٢٥).
(٢) انظر: «السيوف المشرقة مختصر الصواقع المحرقة» (ص٣٦).

وسأذكر في هذه العجالة جملة من وسائلهم؛ لأن المقام لا يحتمل البسط والتوسع.

» أولًا: رفع شعار التشيع لآل البيت:

يرفع دعاة الباطنية شعار التشيع لآل البيت ودعوى محبتهم واتباعهم ونصرتهم، وهي طريقتهم القديمة الجديدة، فيدعون الناس ظاهرًا إلى التشيع، ثم لا يلبثون حتى يخرجونهم من السنة إلى البدعة، بل قد يخرجونهم عن الإسلام جملة.

ولعل أول من كشف هذه الوسيلة الماكرة هو ابن حزم حيث قال: «إن الفرس كانت من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدًا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، كان العرب عند الفرس أقل الأمم خطرًا، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق.. فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع، بإظهار محبة أهل البيت، واستبشاع ظلم علي - بزعمهم - ثم سلكوا بهم مسالك حتى أخرجوهم عن طريق الهدى»[(١)]، ولذا قال الغزالي في كتابه «فضائح الباطنية» واصفًا حالهم: «إن مذهب الباطنية ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض»[(٢)].

وقد بلغ من انتشار هذا الشعار وفشوِّ هذا الخداع إلى حد أن مصطلح الشيعة إذا أطلق في عصرنا لا ينصرف إلا إليهم، وشاع تعريف الشيعة بأنهم أتباع أهل البيت.

والحقيقة أن هؤلاء الروافض لا يتبعون الآل، وإنما يتبعون - أعني الاثني عشرية - الزنادقة أمثال الكليني والمجلسي وأضرابهما، ولذلك فإن أصدق تعريف يكشف حقيقتهم

---

(١) «الفصل» (٢/ ٢٧٣)، وانظر: «الخطط» للمقريزي (٢/ ٣٦٢).
(٢) «فضائح الباطنية» (ص٣٧).

أنهم «أتباع الكليني والطوسي والقمي والكاشاني والمجلسي والحر العاملي»، أو «أنهم الذين يستقون دينهم من المصادر التي جمعها لهم زنادقة القرون الغابرة، من أمثال الكليني[1] وأضرابه، فشيعة اليوم ليسوا بشيعة[2].

ويخطئ من يلقبهم بالشيعة أو يعرفهم بأنهم أتباع أهل البيت، بل هم روافض باطنية صفوية، وليسوا لآل البيت بشيعة، بل تبين لي من خلال استقراء نصوصهم، والنظر الطويل في مصادرهم أن الاثني عشرية التي تسمى في عصرنا بالشيعة هم نواصب وأعداء لأهل البيت، وليسوا شيعة لهم.

فإنك إذا رجعت إلى مصادرهم رأيت ذلك ظاهرًا، وهو يخالف ما هو شائع بين الناس من أن الشيعة هم الذين يبالغون في محبة أهل البيت حتى راح بعض أهل السنة يتقرب إليهم، ويقول: إن أهل السنة يحبون أهل البيت مثلكم!! والحقيقة أن دعواهم محبة أهل البيت ليس لها رصيد من الواقع، فهم يعادون أهل البيت بالغلو في بعضهم، وتكفير بعضهم الآخر، والطعن في جملة من أعيانهم، كما سبق بيانه.

» ثانيًا: رفع شعار التقريب والوحدة:

إن من وسائل الروافض الخطيرة التظاهر بالدعوة إلى التقريب والوحدة بين السنة والشيعة وذلك ليتمكنوا من نشر مذهبهم.

وفي هذا العصر قامت محاولات كثيرة للتقريب بين أهل السنة والشيعة، كمحاولة

---

(١) الكليني صاحب «الكافي» يجاهر بالكفر في كتابه «أصول الكافي» وقرر شيوخهم بأنه يقول: القرآن مغير وحرف، ولذا قال الشيخ أبو زهرة: «من هذا اعتقاده فليس من أهل القبلة» (الإمام الصادق ص٤٤٠)، ولا يشك مسلم في هذا الحكم، ولكن الشيعة يلقبونه بـ «ثقة الإسلام»، ويعدون كتابه «الكافي» هو الكافي في دينهم، ويدعون أن مهديهم المزعوم قال: «الكافي كافٍ لشيعتنا» (انظر: روضات الجنات ٦/ ١١٦، الشافي شرح أصول الكافي ١/ ١).

(٢) انظر الدراسة المنشورة بهذا العنوان في مجلة البيان (٣٣٩).

جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة وغيرها، وهذه المحاولات مبنيَّة على: «أنه لا خلاف بين أهل السنّة والشيعة في شيء من أصول الإيمان، أو أركان الإسلام أو ما عُلم من الدين بالضرورة»[1]؛ وإنما هو خلاف في بعض المسائل الفلسفية والآراء الكلاميَّة التي لا صلة لها بأصول العقيدة[2]، أو لا خلاف بينهم أصلًا إلا في بعض مسائل الفروع[3]، والصراع والخلاف بينهما إنما صنعته الأوهام نتيجة العزلة الطويلة بين الطائفتين[4]، «فمن الممكن أن يتقارب المسلمون فيعلموا أن هناك فرقًا بين العقيدة التي يجب الإيمان بها، وبين المعارف الفكرية التي تختلف فيها الآراء دون أن تمس العقيدة، ويومئذ يهون الأمر فنجتمع على ما نجمع عليه، وإذا اختلفنا لم يكن خلافنا إلا كما يختلف أهل المذاهب الفقهية دون خصام ولا اتهام ودون توجس واسترابة وسوء ظن مما يجعلنا متقاطعين في معاملاتنا ومصاهراتنا وثقافاتنا»[5]، «والقطيعة بين المسلمين أوجدت حجبًا كثيفة لابد لرفعها من دعوة تنظم الجهود، ودعاة مخلصين يبذلون غاية الجهد لتعريف كل طائفة بما عند غيرها..»[6].

وبناء على هذا الحكم - بأنه لا خلاف بين الفريقين - طالب الشيعة باعتبار مذهبهم مذهبًا خامسًا، ونَشَر الشيعة في ديار السنّة بعض كتبهم الفقهية، ودعا بعض المنتسبين للسنّة برجوع السنّة إلى كتب الشيعة في الحديث كما يرجعون إلى صحيح البخاري وغيره من كتب السنّة، كما قام بعضهم بتحقيق بعض كتب الشيعة في ديار السنّة ونشرها. وقيل

(١) دعوة التقريب من خلال رسالة الإسلام: ص ٧.

(٢) انظر فتوى شلتوت في ملحق الوثائق من كتابي: «مسألة التقريب».

(٣) محمد حسين آل كاشف الغطاء، «رسالة الإسلام»، السنة الأولى، العدد الأول: (ص ٢٢ - ٢٣).

(٤) مقدمة كتاب «الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنّة والإمامية» لمحمد جواد مغنية (والكتاب للخنيزي).

(٥) رسالة الإسلام «مجلة دار التقريب» السنة الأولى، العدد الأول، ١٣٦٨ هـ، مجلد ١ ص ٩٣ (صوت التقريب).

(٦) محمد تقي القمي في مقدمته لكتاب «بين السنّة والشيعة» للدكتور سليمان دنيا.

وفُعل الكثير في هذا الباب مما يطول وصفه وتسجيله. ولم يحصل شيء من ذلك في ديار الشيعة، والحقيقة أن هذه الدعوة كلمة حق يراد به باطل.

ويردد بعض شيوخ الشيعة القول بأنه لا خلاف بينهم وبين أهل السنة، وذلك وفق فهم لهم، بل مكر منهم ومؤامرة خطيرة جرت على أيديهم، وهو أنهم يزعمون في مصادرهم ومقرراتهم أن مصادر أهل السنة تشهد بصحة مذهبهم، ويذكرون نصوصًا مكذوبة أو محرفة، أو بعيدة عن تأويلاتهم الفاسدة، ولذا يرددون بخبث هذه المقالة الكاذبة: «لا خلاف بين السنة والشيعة» من هذا المنطلق، وإلا فإن أصول دينهم تقوم على وجوب مخالفة عموم المسلمين، ويأمرون أتباعهم بذلك، فيقولون: «ما خالف العامة ففيه الرشاد»[1]، كما سلف.

» ثالثًا: الدخول الشكلي في الحكومات:

«الدخول الشكلي في الحكومات» مصطلح أطلقه صنم الدولة الخمينية المعاصرة، وهو يعني في لغة السياسة: الجاسوسية والعمالة لحكومة الولي الفقيه، ذلك أن من أبجديات النحلة الصفوية تحريم الدخول تحت راية أي حكومة لا تخضع للولي الفقيه؛ لأن هذه الحكومات كلها في مقاييسهم حكومات ظالمة جائرة وغير شرعية مهما كان صلاحها وعدلها، فلا يجوز الدخول فيها والانضمام إليها إلا في حالة واحدة، وهي ما يسمونه «الدخول الشكلي»، وقد جاء هذا النص في إحدى الوصايا الخمينية التي قدمها لبني نحلته من الخلايا المتسللة داخل بلاد المسلمين والموالية للولي الفقيه، حيث يوصيهم بالدخول في الحكومات شكلًا لا حقيقة، بمعنى أن يكون الغرض من الدخول والمشاركة في الحكومة هو السعي في نصرة نحلة الولي الفقيه، والعمل على الإضرار بمصالح تلك الدول والحكومات.

---

(١) «أصول الكافي» (١/ ٦٧-٦٨)، «من لا يحضره الفقيه» (٣/ ٥)، «التهذيب» للطوسي (٦/ ٣٠١)، «الاحتجاج» للطبرسي (ص ١٩٤)، «وسائل الشيعة» (١٨/ ٧٥-٧٦).

يقول الخميني: «طبيعي أن يسمح الإسلام بالدخول في أجهزة الجائرين إذا كان الهدف الحقيقي هو الحد من المظالم، أو إحداث انقلاب على القائمين بالأمر»[1]. ويقول أيضًا: «إذا كانت ظروف التقية تلزم أحدًا منا بالدخول في ركب السلاطين، فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتى لو أدى الامتناع إلى قتله، إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام وللمسلمين، مثل دخول علي بن يقطين، ونصير الدين الطوسي - رحمهما اللَّه -»[2].

وحسبك أن تعلم أن الدخول الشكلي الذي قام به ابن يقطين والطوسي والذي يوصي به الخميني ويجعله قدوة لعملائه، ويضرب به المثل الذي يحتذى هو الخديعة الكبرى التي تولى كبرها وتطبيقها النصير الطوسي، وبها خدع الخليفة، وبسببها حدثت النكبة العظمى التي انتهت بمقتل الخليفة العباسي، وسقوط الخلافة الإسلامية في بغداد، ومقتل مئات الآلاف من المسلمين.

وملخص الحادثة أن ابن العلقمي كان وزيرًا للخليفة العباسي المستعصم، وكان الخليفة على مذهب أهل السنة، كما كان أبوه وجده، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ، فكان هذا الوزير الرافضي يخطط للقضاء على دولة الخلافة، وإبادة أهل السنة، وإقامة دولة على مذهب الرافضة، فاستغل منصبه، وغفلة الخليفة لتنفيذ مؤامراته ضد دولة الخلافة، وكانت خيوط مؤامراته تتمثل في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: إضعاف الجيش، ومضايقة الناس.. حيث سعى في قطع أرزاق عسكر المسلمين، وضعفتهم:

قال ابن كثير: «وكان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم

---

(١) الحكومة الإسلامية: ص١٤٦.

(٢) الحكومة الإسلامية: ص١٤٢.

من الديوان، فكانت العساكر في أخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل.. فلم يزل يجتهد في تقليلهم، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف»[١].

المرحلة الثانية: مكاتبة التتار: يقول ابن كثير: «ثم كاتب التتار، وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال»[٢].

المرحلة الثالثة: النهي عن قتال التتار وتثبيط الخليفة والناس: فقد نهى العامة عن قتالهم[٣] وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يريد مصالحتهم، وأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم، ونصفه للخليفة، فخرج الخليفة إليه في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والأمراء والأعيان.. فتم بهذه الحيلة قتل الخليفة ومعن معه من قواد الأمة وطلائعها بدون أي جهد من التتر.

وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة، وقال الوزير ابن العلقمي: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عامًا أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، ويقال: إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، ونصير الدين الطوسي[٤].

ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي[٥].

---

(١) البداية والنهاية: ١٣/ ٢٠٢.

(٢) البداية والنهاية: ١٣/ ٢٠٢.

(٣) منهاج السنة: ٣/ ٣٨.

(٤) وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت، وانتزعها من أيدي الإسماعيلية (ابن كثير/ البداية والنهاية: (١٣/ ٢٠١).

(٥) البداية والنهاية: ١٣/ ٢٠١-٢٠٢.

وقد قتلوا من المسلمين ما يقال: إنه بضعة عشر ألف ألف إنسان أو أكثر أو أقل، ولم ير في الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتر، وقتلوا الهاشميين، وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين، فهل يكون مواليًا لآل رسول الله ﷺ من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين[(١)]؟ وقتل الخطباء والأئمة، وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد[(٢)].

وكان هدف ابن العلقمي «أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يعطل المساجد والمدارس، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون بها مذهبهم فلم يقدره الله على ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده»[(٣)].

فتأمل هذه المصيبة الكبرى والخيانة العظمى، وهو سقوط الخلافة الإسلامية وقتل الخليفة ومئات الآلاف من المسلمين، واعتبر بطيبة بعض أهل السنة إلى حد الغفلة، وذلك بتقريب أعدى أعدائهم وهم الروافض باتخاذهم وزراء ومستشارين، وعظيم حقد هؤلاء الروافض وغلهم على أهل السنة، فهذا الرافضي كان وزيرًا للمستعصم أربع عشرة سنة، وقد حصل له من التعظيم والوجاهة ما لم يحصل لغيره من الوزراء، فلم يجد هذا التسامح والتقدير في إزالة الحقد والغل الذي يحمله لأهل السنة.

ومن الدروس والعبر أن الرافضة إلى اليوم يؤيدون هذه الجرائم ويعدونها من أجل أعمالهم ومفاخرهم، فقد كشف متأخروهم القناع عن قلوبهم، وباحوا بالسر المكنون فعدوا جريمة ابن العلقمي والنصير الطوسي في قتل المسلمين من عظيم مناقبهما عندهم. فقال الخميني في الإشادة بما حققه نصير الكفر والإلحاد المسمى بالنصير الطوسي:

---

(١) منهاج السنة: ٣/ ٣٨.

(٢) البداية والنهاية: ١٣/ ٢٠٣.

(٣) البداية والنهاية: ١٣/ ٢٠٢-٢٠٣.

«.. ويشعر الناس (يعني شيعته) بالخسارة.. بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي وأضرابه ممن قدم خدمات جليلة للإسلام»[1].

والخدمات التي يعني هنا هي ما كشفها الخوانساري من قبله في قوله في ترجمة النصير الطوسي: «ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره للسلطان المحتشم.. هولاكو خان.. ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح البلاد.. بإبادة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغام، إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار، فانهار بها في ماء دجلة، ومنها إلى نار جهنم دار البوار»[2].

فهم يعدون تدبيره لإيقاع القتل العام بالمسلمين من أعظم مناقبه، وهذا القتل هو الطريق عندهم لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، ويرون مصير المسلمين الذي استشهدوا في هذه الكارثة إلى النار، ومعنى هذا أن هولاكو الوثني وهو الذي يصفه بالمؤيد، وجنده هم عندهم من أصحاب الجنة؛ لأنهم شفوا غيظ هؤلاء الروافض من المسلمين، فانظر إلى عظيم هذا الحقد!! حتى صار قتل المسلمين من أغلى أمانيهم.. وصار الكفار عندهم أقرب إليهم من أمة الإسلام.

» رابعًا: محاولة إضلال المسلمين عن سنة نبيهم ﷺ:

السنة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وقد حاول هؤلاء الباطنيون محاربة السنة بالطعن في نقلتها ورواتها، أو محاولة الدس فيها، وقد شرح العلامة السويدي خطتهم الماكرة في هذا الباب، فقال: «إن بعض علمائهم اشتغلوا بعلم الحديث، وسمعوا الأحاديث من ثقات المحدثين، وحفظوا أسانيد أهل السنة الصحيحة، وتحلَّوا في

(١) الحكومة الإسلامية: ص١٢٨.

(٢) روضات الجنات: ٦/ ٣٠٠-٣٠١، وانظر أيضًا في ثناء الروافض على النصير الطوسي؛ النوري الطبرسي/ مستدرك الوسائل: ٣/ ٤٨٣، القمي/ الكنى والألقاب: ١/ ٣٥٦.

الظاهر بحلي التقوى والورع، بحيث كانوا يعدون من محدثي أهل السنة، فكانوا يروون الأحاديث صحاحًا وحسانًا، ثم أدرجوا في تلك الأحاديث موضوعاتٍ مطابقةً لمذهبهم، وقد ضل بذلك كثير من خواص أهل السنة، فضلًا عن العوام، ولكن قيض الله بفضله أئمة الحديث فأدركوا الموضوعات، فنصوا على وضعها فتبين حالها حينئذ، والحمد لله على ذلك. وقد أقرت طائفة منهم بالوضع بعدما انكشف حالهم»، ثم قال السويدي: «وتلك الأحاديث الموضوعة إلى الآن موجودة في المعاجم والمصنفات، وقد تمسك بها أكثر التفضيلية[1]، والمتشيعة»[2].

ويذكر الآلوسي بأن ممن سلك هذا المسلك واستخدم هذه الوسيلة جابرًا الجعفي[3]، وقد نقل ابن القيم عن الحافظ أبي يعلى قوله في كتابه «الإرشاد»: «وضعت الرافضة من فضائل علي ﷺ وأهل البيت نحو ثلاثمائة ألف حديث»، وعقب على ذلك ابن القيم بقوله: «ولا تستبعد هذا؛ فإنك لو تتبعت ما عندهم من ذلك لوجدت الأمر كما قال»[4].

ومن المعلوم أن هذا المسلك سرعان ما ينكشف وتتبين حقيقته بظهور القرائن على كذبه، لمخالفته لصريح القرآن، أو لمناقضته لما جاءت به السنة الصحيحة مناقضة بينة، أو لما سوى ذلك من قرائن وبراهين.

فإن أئمة الحديث كما اعتنوا بإسناد الحديث اعتنوا بمتنه، ووضعوا علامات لمعرفة الحديث الموضوع بدون نظر لإسناده، وعامة كتب علوم الحديث تعرضت لذلك؛ قال ابن الجوزي: «ما أحسن قول القائل إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول،

---

(١) التفضيلية أو المفضلة هم الذين يفضلون عليًّا على أبي بكر وعمر ﷺ من الزيدية وغيرهم. انظر: (التسعينية لابن تيمية ص٤٠).

(٢) «نقض عقائد الشيعة» السويدي، مخطوط (ص٢٥-٢٦)، وانظر: «السيوف المشرقة» الآلوسي (ص٥٠) مخطوط، «مختصر التحفة» (ص٣٢).

(٣) «السيوف المشرقة» (ص٥٠).

(٤) «المنار المنيف» (ص١١٦).

أو يناقض الأُصول فاعلم أنه موضوع!»[1].

وقال ابن الصلاح: «وإنما يعرف كون الحديث موضوعًا بإقرار واضعه أو ما يتنزل منزلة إقراره، وقد يفهمون الوضع من قرينة حال الراوي أو المروي، فقد وضعت أحاديث طويلة يشهد بوضعها ركاكة ألفاظها ومعانيها»[2].

وقال ابن دقيق العيد: «وأهل الحديث كثيرًا ما يحكمون بالوضع باعتبار أمور ترجع إلى المروي وألفاظ الحديث. وحاصله يرجع إلى أنه حصلت لهم لكثرة محاولة ألفاظ الرسول ﷺ هيأة نفسانية أو ملكة يعرفون بها ما يجوز أن يكون من ألفاظ النبي ﷺ، وما لا يجوز أن يكون من ألفاظه»[3].

وقال أبو الحسن علي بن عروة الحنبلي: «القلب إذا كان تقيًّا نظيفًا زاكيًا كان له تمييز بين الحق والباطل، والصدق والكذب، والهدى والضلال، ولا سيما إذا كان قد حصل له إضاءة وذوق من النور النبوي، فإنه حينئذ تظهر له خبايا الأمور، ودسائس الأشياء، والصحيح من السقيم، ولو ركّب على متن ألفاظ موضوعة على الرسول إسناد صحيح أو على متن صحيح إسناد ضعيف لميز ذلك وعرفه.. فإن ألفاظ الرسول لا تخفى على عاقل ذاقها..»[4].

وقال الربيع بن خثيم - التابعي الجليل -: «إن من الحديث حديثًا له ضوء كضوء النهار يعرف، وإن من الحديث حديثًا له ظلمة كظلمة الليل ننكره»[5].

---

(١) «الموضوعات» لابن الجوزي (١/ ١٠٦)، «تدريب الراوي»: (١/ ٢٧٧).

(٢) «علوم الحديث» لابن الصلاح (ص٨٩).

(٣) «الاقتراح» ابن دقيق العيد (ص١١) مخطوط.

(٤) جمال الدين القاسمي: «قواعد التحديث»: ص ١٦٥ (وقد نقل ذلك عن كتاب «الكواكب الدراري» لابن عروة).

(٥) رواه الخطيب البغدادي في «الكفاية»: ص ٦٠٥.

وقد سئل الإمام ابن القيم - رحمه الله - هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط من غير أن ينظر في سنده؟ فقال: «هذا سؤال عظيم القدر، وإنما يعلم ذلك من تضلّع في معرفة السنن الصحيحة، واختلطت بلحمه ودمه، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار، ومعرفة سيرة رسول الله ﷺ وهديه، فيما يأمر به وينهى عنه، ويخبر عنه، ويدعو إليه، ويحبه ويكرهه، ويشرعه للأمة بحيث كأنه مخالط للرسول ﷺ كواحد من أصحابه.

فمثل هذا يعرف من أحوال رسول الله ﷺ وهديه وكلامه، وما يجوز أن يخبر به وما لا يجوز، ما لا يعرفه غيره..»[١].

وقد أورد - رحمه الله - عدة قواعد في هذا الشأن بلغت (٤٤) قاعدة، ومثل لها بـ (٢٧٣) حديثًا وبين وجه وضعها من خلال نقد المتن فقط بغير نظر إلى السند، وذلك في كتابه «المنار المنيف».

» خامسًا: تظاهرهم بالانتساب إلى السنة:

أشار ابن تيمية إلى هذه الظاهرة، بقوله: «قد يوجد في بعض المنتسبين إلى مذهب الأئمة الأربعة من هو في الباطن رافضي، كما يوجد في المظهرين للإسلام من هو في الباطن منافق، فإن الرافضة لما كانوا من جنس المنافقين يخفون أمرهم احتاجوا أن يتظاهروا بغير ذلك، كما احتاج المنافقون أن يتظاهروا بغير الكفر»[٢].

وقد اتخذ هؤلاء الباطنيون النفاق دينًا، وسموه تقية، وتعددت أساليبهم في استخدام هذه التقية، وقد كان لهؤلاء الباطنيين أسوأ الأثر في ماضي الأمة وحاضرها السياسي والعقدي والاجتماعي -كما سيأتي ذكره في آثارهم-.

(١) «المنار المنيف» (ص٤٤).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٤/ ١٣٣).

ولا ريب أن من أخطر وسائل الكيد هو النفاق، وأخطر الأعداء هم المنافقون، ولذلك قال سبحانه: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤]، وقد ذكر الله المنافقين في أول سورة البقرة في ثلاث عشرة آية، بينما ذكر الكافرين في آيتين؛ تنبيهًا على عظيم خطرهم وضرر كيدهم ومكرهم.

١) ومن أخطر هذه الأساليب هو قيام طائفة من شيوخهم بإظهار الانتساب للسنة، والتسلل إلى داخل البيت الإسلامي تحت هذا الشعار، كحال إخوانهم المنافقين في كل زمان ومكان، لكن الفرق بينهم وبين إخوانهم المنافقين أن هؤلاء الزنادقة الملحدين يظهرون عقائد باطلة بالاتفاق، وهي من موروثات دياناتهم المنحرفة، ويدعون أنها من الإسلام لمحاولة التستر على حقيقتهم، وإخفاء هويتهم. ومن مكرهم لإخفاء أمرهم أنهم حين دخلوا في السنة ظاهرًا تلقبوا بالحنفي والشافعي والحنبلي زيادة في الإضلال.

٢) ومن دقيق مكرهم أنهم قد يؤلفون كتابًا في فضائل الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم، ليتوهم القارئ أن المؤلف سني اغترارًا بظاهر العنوان، فإذا جاؤوا لذكر فضائل علي رضي الله عنه ضمَّنوه ما يؤيد مذهب الرفض من دعوى النص، والقدح في الصحابة؛ لينخدع القارئ بباطله، وتنطلي عليه بدعته، ويصدق برواياته الكاذبة، وربما سقط في أوحال بدعته وزندقته.

٣) وقد يضعون كتابًا يحكي مناظرة بين سني وشيعي لا وجود لها أصلًا، ويظهرون السني بصورة العاجز الضعيف، ولهم في ذلك مسالك مختلفة، ومن أشهر مصنفاتهم في ذلك كتاب (المراجعات) لعبد الحسين الموسوي الذي استحوذ على اهتمام دعاة التشيع وجعلوه من أكبر وسائلهم التي يخدعون بها الناس، أو بعبارة أدق يخدعون به أتباعهم وشيعتهم، حتى طبع أكثر من مائة طبعة، كما يقولون.

٤) وقد يؤلفون كتابًا في فقه بعض المذاهب وينشرونها في الأوساط التي لا تعتنق هذا المذهب، ويضمنون هذا المذهب شناعاتٍ عظيمةً مثل: الأخذ بالقياس مع رد الأحاديث، أو إقرار بعض الفواحش، ويشير صاحب «التحفة» في هذا الصدد إلى كتاب ألفوه ونسبوه للإمام مالك وهو «المختصر»[(١)]، وهم يهدفون من وراء ذلك الإساءة للأئمة وتشويه السنة وغرس بذور التنازع، وبث أسباب العداء بين المسلمين.

٥) وقد يؤلفون كتبًا يزعمون فيها أنهم كانوا على مذهب أهل السنة ثم تبين لهم بطلانه فرجعوا، مثل كتابهم «لماذا اخترت مذهب الشيعة؟» والذي نسبوه لمن أسموه مرعي الأنطاكي، والكتاب يتضمن قصة مخترعة ومؤامرة مصنوعة تحكي أن عالمًا من كبار علماء السنة في حلب يدعى محمد مرعي الأنطاكي، قد ترك مذهب السنة وأخذ بمذهب الروافض، وقد سألت الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: هل يوجد رجل منتسب إلى العلم بهذا الاسم في حلب؟ فنفى ذلك نفيًا قاطعًا، ولما أطلعته على كتابه المذكور، وراجعه قال لي: إن هذا الرجل نكرة، غير معروف، أو غير موجود، ثم هو ضعيف العقل، ولا يعرف كيف يحتج ويكذب، ولا يعرف كيف يكذب أو يضع؟! وقال لي د/ محمد أديب صالح: إن هذا المدعو الأنطاكي اسم لا وجود له، أو هو باطني مستتر بديانته؛ لأن أنطاكية مأوى للباطنية. والكتاب مليء بالدس والكذب والافتراء كما هي عادة الروافض بحكم عقيدة «التقية» عندهم.

٦) وتارة ينقلون أخبارًا دالة على مطاعن الصحابة عن كتب عزيزة الوجود لأهل السنة، وليس في تلك الكتب منها أثر، والأردبيلي أكثر ما ينقل في «كشف الغمة» من هذا القبيل، وكذا الحلي في الألفين، وابن طاوس وغيرهم[(٢)].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: «التحفة الاثنا عشرية» (الورقة ٤٥ب).

(٢) «مختصر الصواعق» (ص٥١) (مخطوط)، وانظر: «نقض عقائد الشيعة» (ص٢٥) (مخطوط).

٧) كما يصنفون كتبًا وينسبونها لبعض مشاهير أهل العلم مثل: تصنيفهم لكتاب سموه «سر العالمين» ونسبوه للغزالي، وضمنوه دعوى أنه على مذهبهم، وأن ما كتبه في غير هذا الكتاب كان على أسلوب التقية، وذكروا في خطبته عن لسان الإمام وصيته بكتمان هذا السر وحفظ هذه الأمانة، وأنه قال: ما ذكر في هذا الكتاب فهو عقيدتي، وما ذكر في غيره فهو للمداهنة[١].

وقد رأيتهم في بعض مؤلفاتهم المعاصرة يرجعون لهذا الكتاب ويحتجون ببعض ما فيه على أهل السنّة[٢]. وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات في بومباي سنة ١٣١٤هـ، والقاهرة سنة ١٣٢٤هـ، وسنة ١٣٢٧هـ، وطهران بغير تاريخ[٣].

ويشير د. عبد الرحمن بدوي إلى أن ثلاثة من المستشرقين ذهبوا إلى القول بأن الكتاب منحول: (جولد تسيهر) و(بويج) و(مكدونالد)[٤]، ويذهب عبد الرحمن بدوي إلى هذا الرأي ويقطع به ويحتج لذلك فيقول: «والأمر الذي يقطع بأن الكتاب ليس للغزالي هو ما ورد في (ص٨٢) من قوله: (أنشدني المعري لنفسه وأنا شاب في صحبته يوسف بن علي شيخ الإسلام)[٥] فإن المعري توفي سنة ٤٤٨، بينما ولد الغزالي سنة ٤٥٠ فكيف ينشده لنفسه؟!»[٦].

---

(١) «مختصر التحفة الاثني عشرية» (ص٣٣)، وانظر: «نقض عقائد الشيعة» للسويدي (ص٢٥) (مخطوط).

(٢) انظر مثلاً: مصادر كتاب «كشف الاشتباه» للرافضي عبد الحسين الرشتي، والمطبوع في المطبعة العسكرية بطهران في ١٣٦٨هـ.

(٣) «مؤلفات الغزالي» عبد الرحمن بدوي (ص٢٢٥).

(٤) المصدر السابق: (ص٢٧١).

(٥) والغريب أني رأيت الذهبي - رحمه الله - ينسب هذا الكتاب إلى أبي حامد الغزالي (ميزان الاعتدال١/ ٥٠٠) ترجمة الحسن بن الصباح الإسماعيلي. فإما أن يكون هذا الأمر قد فات على الإمام الذهبي، وإما أن يكون للإمام الغزالي كتاب بهذا العنوان قد فُقد، فألف الروافض كتابًا يحمل اسم ذلك الكتاب المفقود ونسبوه للغزالي.

(٦) «مؤلفات الغزالي» عبد الرحمن بدوي (ص٢٧١).

٨) كما أن من أساليبهم أنهم يوردون الحديث من كتب السنّة بجميع طرقه ورواياته، ويذكرون في الأخير من أخرجه من المحدثين بلا تحديد للألفاظ التي وردت عند كل محدث، ليوهموا القارئ أن هذا النص الذي جمعوه من كتب أهل السنة قد ورد بهذه الصيغة التي أخرجوها عند كل محدث من محدثي أهل السنّة، وأنه صحيح لاتفاق محدثي أهل السنّة على إخراجه بهذه الألفاظ والروايات.

ومن أمثلة هذا الأسلوب كتاب «حديث الثقلين» الذي أصدرته دار التقريب بالقاهرة، وسلكت فيه ذلك المسلك الذي أشرنا إليه(١)، حيث ذكرت الأحاديث الواردة بكل طرقها ورواياتها، وفي الأخير ذكرت من أخرجه من المحدثين بلا تحديد للألفاظ الواردة عند كل محدث، وهو لا يصح في كل رواياته(٢).

٩) كما قام بعض شيوخهم المتسترين بالانتساب للسنة، أو المستأجرين للترويج للشيعة بابتداع بعض الأفكار المشابهة للفكر الشيعي وطرحها في الوسط الإسلامي، وربما روجوها بشعارات أو مصطلحات شرعية كالمهدية والتقية(٣).

ويرى الشيخ محمد أبو زهرة بأن الطوفي نجم الدين (المتوفى سنة ٧١٦هـ) قد

---

(١) محمد قوام الدين القمي: «حديث الثقلين»، نشر: دار التقريب بين المذاهب.

(٢) والذي جاء في صحيح مسلم منه هو قوله ﷺ كما رواه زيد بن أرقم: «...أما بعد، ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين؛ أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي..» رواه مسلم في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضائل علي رضي الله عنه: (٧/ ١٢٢ - ١٢٣)، هذه رواية مسلم للحديث، وقد أجاب ابن تيمية على احتجاج الرافضة بهذا الحديث، وأجاب عما يحتجون به من بعض الروايات الضعيفة التي جاءت من طريق الجمهور، انظر «منهاج السنّة»: (٤/ ١٠٤)، و«المنتقى»: ص ٤٧٥.

(٣) لا يريدون بالمهدية ما ورد في دواوين السنة من روايات صحيحة عن المهدي المنتظر، بل يريدون بها مهديهم الموهوم المزعوم الذي لا وجود له، ولا يريدون بالتقية التقية الشرعية التي هي رخصة عند الاضطرار والإكراه، بل يريدون بها الكذب والخداع والنفاق.

تعمد الترويج للمذهب الشيعي بهذه الوسيلة في بحثه عن المصلحة الذي قرر فيه بأن المصلحة تقدم على النص؛ لأن هذا مسلك شيعي، حيث عند الشيعة أن للإمام أن يخصص أو ينسخ النص بعد وفاة الرسول ﷺ، فالطوفي قد أتى بالفكرة كلها، وإن لم يذكر كلمة الإمام وأبدلها بالمصلحة ليروج القول وينشر الفكرة، ثم يقرر أبو زهرة بأن الطوفي في تهوينه من شأن النص ونشر فكرة نسخه أو تخصيصه بالمصالح المرسلة، قد أراد تهوين القدسية التي تعطيها الجماعة الإسلامية لنصوص الشارع[(١)].

وقد ظهر في كتابات بعض المفكرين من المنتسبين لأهل السنة لوثات من الفكر الرافضي، وبرزت كتابات لهؤلاء متأثرة بالشبهات التي يثيرها الروافض في أمر الإمامة والصحابة.

وأنا لا أشك أن هناك من هذا الصنف زمرة مرتزقة قد أغراها بريق المال ودفعها متاع الغرور لتقول ما قالت، ولتكتب ما سطرت، والروافض يدفعون المال للرموز المشهورة حتى يكتبوا للناس ما يتفق والمذهب الرافضي، ومن قديم قال بعض السلف: «لو أردت أن يملؤوا داري ورِقًا وأكذب على عليٍّ لفعلوا، والله لا كذبت عليه أبدًا»[(٢)].

فكيف اليوم وقد كثر المال في أيديهم، وقلت الأمانة في نفوس الكثيرين، وغرتهم الدنيا، وغرهم بالله الغرور؟![(٣)].

---

(١) انظر: «ابن حنبل» (ص٣٢٦)، وقد ترجم أبو زهرة للطوفي، وأثبت أنه من الشيعة (المصدر السابق ص٣٢٤-٣٢٥)، وانظر ترجمته في: «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٤/ ٤٠٩-٤٢١).

(٢) وهو الشعبي. انظر: السنة للإمام عبد الله بن أحمد: ٢/ ٥٤٩.

(٣) على حد المثل القائل: «كل إناء بما فيه ينضح»، والقائل: «رمتني بدائها وانسلت» يتهم رئيس المحكمة الجعفرية ببيروت محمد جواد مغنية الأستاذ محمد حسين هيكل بأنه قد حذف في الطبعة الثانية لكتابه: (حياة محمد) حديثًا كان قد أثبته في الطبعة الأولى مقابل ٥٠٠ جنيه، كل ذلك لأن هيكل حذف حديثًا موضوعًا تبين له وضعه، فتداركه في طبعة تالية، فأوّل هذا الرافضي ذلك بمقتضى صنيع قومه وما يفعلون، فانظر وتعجب!! (انظر: محمد جواد مغنية/ الشيعة في الميزان: ص١٨، الهامش).

» سادسًا: استغلال التشابه في الأسماء والألقاب:

من الطبيعي أن تتشابه الأسماء والألقاب، بل قد تتشابه أسماء وألقاب أفراد من عائلة واحدة، ولكن من غير الطبيعي، بل من جرائم التزوير استغلال هذا التشابه للقيام بدس فكري رخيص للخداع والتلبيس، وقد بلغت الحال بزنادقة الرافضة أنهم ينظرون في أسماء المعتبرين عند أهل السنة، فمن وجدوه موافقًا لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا حديث ذلك الشيعي أو قوله إليه.

ومن ذلك التشابه في الاسم بين محمد بن جرير الطبري الإمام السني المشهور صاحب التفسير والتاريخ، وبين رافضي يدعى محمد بن جرير بن رستم الطبري، والذي يعدونه من شيوخهم[1]، وكلاهما عاش في مكان واحد، وهو مدينة بغداد، وفي عصر واحد، بل كانت وفاتهما في سنة واحدة، وهي سنة (٣١٠هـ)، ومع ذلك فقد استغل الروافض هذا التشابه فنسبوا للإمام ابن جرير مصنفات ومقالات من وضع هذا الرافضي أو طائفته، مثل: كتاب «المسترشد في الإمامة»[2] الذي صنفه هذا الرافضي، وتعمدوا نسبته للإمام[3]، وقد نسب إليه كتاب عن حديث غدير خم يقع في مجلدين، ونسب إليه القول بجواز المسح على القدمين في الوضوء[4]، وهم إلى اليوم يسندون بعض الأخبار التي تؤيد مذهبهم إلى ابن جرير الطبري الإمام[5].

ولقد لحق الإمام ابن جرير بعض الأذى من مكر هذا الرافضي وتلبيسه، وأشار الحافظ ابن كثير إلى شيء من ذلك حين ذكر أن بعض العوام اتهمه بالرفض، ومن الجهلة

---

(١) وله مصنفات في مذهب الرفض مثل: «المسترشد في الإمامة»، و«نور المعجزات في مناقب الأئمة الاثني عشر» (انظر في ترجمته: جامع الرواة ٢/ ٨٢-٨٣، بحار الأنوار ١/ ١٧٧، تنقيح المقال ٢/ ٩١، وينظر: لسان الميزان ٥/ ١٠٣).

(٢) انظر: «الفهرست» (ص٣٣٥).

(٣) انظر: «طبقات أعلام الشيعة في المائة الرابعة» (ص٢٥٢)، «معالم العلماء» (ص١٠٦).

(٤) الموضع نفسه من المصدر السابق.

(٥) انظر: «الغدير» الأميني النجفي (١/ ٢١٤-٢١٦).

من رماه بالإلحاد[١]، ويبدو أن هذه المحاولة من الروافض قد انكشف أمرها لبعض علماء السنة من قديم، فقد قال ابن كثير: «ومن العلماء من يزعم أن ابن جرير اثنان أحدهما شيعي وإليه ينسب ذلك، وينزهون أبا جعفر من هذه الصفات»[٢].

وهذا القول الذي نسبه ابن كثير لبعض أهل العلم هو عين الحقيقة، وقد أقر بذلك الرافضة وأثبتوه في كتب التراجم لديهم، ويشهد بذلك ويؤكده آثار الإمام ابن جرير، فلا مقارنة بين مفتريات هذا الرافضي، وبين آثار الإمام ابن جرير، فأين الثرى من الثريا؟! فالفرق بين آثار الرجلين عظيم، وهل يقارن تصنيف رافضي جاهل بتراث إمام عظيم[٣]، وعقيدة الإمام ابن جرير لا تلتقي مع الرفض بوجه[٤]، فهو أحد أئمة الإسلام علماً وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وهناك رافضي آخر يدعى بأبي جعفر الطبري[٥]، وهو غير الأول، وإن كان الأستاذ فؤاد سزكين قد خلط بينهما[٦] رغم أنه يفصل بينهما مدة زمنية طويلة تزيد عن قرنين[٧].

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ١٤٦).

(٢) الموضع نفسه من المصدر السابق.

(٣) انظر أيضًا في التفرقة بين الرجلين: «مجلة المجمع العلمي العراقي» المجلد التاسع (ص٣٤٥).

(٤) انظر - مثلاً -: «جزء في الاعتقاد» لابن جرير الطبري (ص٦-٧).

(٥) وهو أبو جعفر محمد بن أبي القاسم بن علي الطبري، من علماء الإمامية في القرن السادس (انظر: طبقات أعلام الشيعة في القرن السادس ص ٢٤٢، ٢٧٨).

(٦) فنسب كتاب بشارة المصطفى للأول (ابن رستم)، في حين أنه للأخير (ابن أبي القاسم). (انظر: تاريخ التراث ٢/ ٢٦٠).

(٧) وقد نشرت جريدة المدينة المنورة حكاية موضوعة بعنوان: «عقد الزهراء»، ورأيتها مأخوذة من كتاب لهذا الرافضي، وما كانت لتأخذ طريقها للنشر والاشتهار لولا استغلال الروافض للتشابه في الأسماء. انظر: «جريدة المدينة» عدد (٤٦٢١)، الثلاثاء ٢٤ رجب ١٣٩٩هـ (ص٧)، اختيار محمد سالم محمد نقلاً عن كتاب «بشارة المصطفى»، وهذا كتاب قد تناهى في الغلو، ففيه تأويل الجبت والطاغوت بأبي بكر وعمر (ص٢٣٨)، وفيه قوله بأن «من شك في تقديم علي وتفضيله ووجوب طاعته، وولايته محكوم بكفره وإن أظهر الإسلام» (ص٥١).

ومثل ابن جرير آخرون كابن قتيبة فإنهما رجلان: أحدهما عبد الله بن قتيبة رافضي غال، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة، وقد صنف الإمام ابن قتيبة كتابًا سماه بالمعارف فصنف ذلك الرافضي كتابًا وسماه بالمعارف قصدًا للإضلال[1].

وقد احتار الباحثون في تحديد هوية مصنف كتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة؛ لأن مضامينه تخالف عقيدة الإمام ابن قتيبة، ولم يفطنوا إلى أنه من وضع ابن قتيبة الرافضي، لأن هذا الرافضي نكرة لا يعرف، ولذا لم ينتبهوا إلى الدسيسة الرافضية، وإن قطعوا بكذب نسبة كتاب «الإمامة والسياسة» إلى ابن قتيبة لما فيه من أباطيل، لكنهم احتاروا في التعرف على مصنفه حتى قال محققه د/ عبدالله عسيلان: «لقد حاولت كثيرًا أن أتعرف على شخصية المؤلف الحقيقي لكتاب (الإمامة والسياسة) ولكني لم أعثر على شيء»[2]، ثم افترض أن يكون المؤلف من أتباع الإمام مالك[3]، رغم ظهور عقيدة الرفض في مضامينه، ووضوح أكاذيب الرافضة في سطوره، حيث الطعن في الصحابة، ودعوى أن عليًّا ﵁ رفض بيعة أبي بكر ﵁، لأنه - كما يزعم- أحق بالأمر[4]، ولكن غاب عن محقق الكتاب كغيره هذه الحقيقة، وأن ابن قتيبة رجلان سني ورافضي، وأن كتاب «الإمامة والسياسة» هو لذلك الرافضي، بل لم أر أحدًا نبه على ذلك مع أهميته قبل الإمام الدهلوي.

وهكذا يستغلون التشابه في الأسماء للتضليل، كما يستغلون اليوم بعض وسائل الاتصال الحديثة لتحقيق أهدافهم، فينتحلون مثلاً شخصياتٍ سنيةً شهيرة، ويتحدثون

---

(١) انظر: «مختصر التحفة الاثني عشرية» (ص٣٢)، «مختصر الصواقع» (ص٥١) مخطوط، «نقض عقائد الشيعة» (ص٢٥) مخطوط.

(٢) «الإمامة والسياسة» عبد الله عسيلان (ص٢٠).

(٣) «المصدر السابق» (ص٢٠).

(٤) «المصدر السابق» (ص١٧، ١٨، ١٩).

على لسانها في مجريات الوقائع والأحداث بما يؤيد باطلهم وضلالهم وظلمهم، فيظن القارئ الغافل أن هذا رأي ذلك العالم[1].

» سابعًا: اختراقهم لبعض الطرق الصوفية:

قام ملالي الرافضة باختراق خطير لبعض الطرق الصوفية كالطريقة الختمية والطريقة العزمية وغيرهما، وبدت آثار هذا الاختراق ظاهرة في اعتقاد هذه الطرق، وظن بعض الناس أن هذا مجرد تشابه في الاعتقاد، وما أدركوا أنه كيد الروافض ومكرهم، وأنه نتاج خطة شيعية صفوية باطنية لاحتواء الطرق الصوفية.

وإن رابك شيء عن خطر الحركة الرافضية الباطنية التي تعمل في خفاء داخل أروقة التصوف (مع وجود ذلك التشابه العقدي المتعمد بينهما) فتأمل التواصل المستمر الظاهر والخفي بين الطائفتين، والزيارات المتبادلة بين شيوخ الطرق الصوفية وملالي الرافضة، والتعاون بينهما، وقيام بعض شيوخ التصوف بتحقيق الأهداف السياسية للتشيع الصفوي، وتقديس شيوخ الروافض لرموز تيارهم الخفي المتسلل داخل التجمعات الصوفية.

بل إن بعض شيوخ الرافضة في عصرنا يتخذون من التيار الصوفي أداة للهجوم على السنة وأهلها، وقد دعَوا بعض مشايخ الطرق الصوفية إلى إيران وأغروهم بالجنس والمال والرياسة والجاه، وجعلوا منهم أداة لمواجهة الحق وأهله، ولذا تعجب بعض الناس كيف تحول أهل التصوف المسالمون إلى أعداء للسنة محاربين، وما علموا أن وراء الأكمة ما وراءها، كما ترى في نشرات وقنوات ومجلات الطريقة العزمية في مصر وغيرها.

---

(١) وقد تقاسموا العمل في هذه الوسائل وغيرها، وخصصوا لكل فريق منهم مهمة، فهذا يثير النعرات القبلية، وذاك يتولى إثارة العصبيات الحزبية... إلخ.

وربما يحتجون بما في كتبهم من تأييد لمناهج الروافض بدعوى أن هذا رأي أهل السنة، فمثلا يستشهد الكاتب الشيعي المعاصر محمد حسين الزين في كتابه «الشيعة في التاريخ» بتأويل سليمان الحنفي النقشبندي لحديث مسلم: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشرَ خليفةً كلهُم من قُرَيش»[1] يحتج بتأويل النقشبندي له بالأئمة الاثني عشر[2]، وذلك ليسند مذهبه برأي سني كما يزعم[3]. والحقيقة - كما يقول د/ مصطفى الشيبي - أنه «لا دخل لأهل السنّة بهذا التوثيق، وإنما هي الصوفية المتشيعة التي ينتمي إليها النقشبندي»[4].

وأقول: بل هي «الشيعة المتصوفة» المتسللة داخل الطرق الصوفية.

إن من المفاهيم الخاطئة الشائعة التي يجب أن تصحح هو تصور عامة الناس أن العلاقة بين «التشيع» و«التصوف» هو نوع من التشابه غير المقصود، والحقيقة أن التصوف مخترق من الداخل، وأن الرافضة تعيث فسادًا في ديار أهل السنة تحت قناع التصوف، وأن هناك طائفة باطنية رافضية تعيش وتقبع داخل الطرق الصوفية من مدة طويلة، ولا تزال هذه الطائفة تتوسع في تدميرها لكيان التصوف، ونقلهم إلى نحلتهم بأنواع الإغراءات، وصنوف شتى من التلبيس والتدليس[5].

» ثامنًا: دعاوى التحولات المزعومة لبعض علماء السنة إلى نحلة الرافضة:

لم يعهد أن عالـمًا من علماء السنة قد تحول إلى مذهب الروافض، وهل يغتر بدين الروافض إلا من أعمى الله قلبه وانطمست بصيرته؟!

---

(١) «صحيح مسلم»: كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش (ح١٨٢١).

(٢) مع ظهور بطلان هذا التأويل يقينًا، فلم يتولَّ الخلافة من الاثني عشر سوى علي والحسن - رضي الله عنهما -، ولم يدع أحد منهم أحقيته بالخلافة، بل تنازل الحسن عنها حرصًا على اجتماع المسلمين، ثم إن آخر الاثني عشر لا وجود له أصلًا، فضلًا عن أن يقال بإمامته وولايته.

(٣) انظر: «الشيعة في التاريخ» (ص ١١٨).

(٤) «الصلة بين التصوف والتشيع» (ص١١٠).

(٥) انظر مقال: «الشيعة المتصوفة» للباحث، منشور بمجلة البيان (عدد٣٢٠).

ولكن عمد بعض ملالي الرافضة إلى اختلاق أكاذيب ووضع وقائع مفتراة يدعون من خلالها حدوث تحول لدى بعض أعلام السنة إلى نحلة الرافضة، وغايتهم من ذلك تحقيق هدفين:

الأول: محاولة تثبيت أقدام أتباعهم.

والثاني: الترويج لمذهبهم بين الجهلة، وخداع الأغرار بباطلهم.

وهم لا يتورعون عن الكذب، بل يتقربون بالكذب وفق طقوسهم، لأن دينهم يقوم على النفاق الذي يسمونه التقية، ومن تجرأ على الكذب على الله ورسوله ﷺ، فهل يتورع عن الكذب على مَن دونهما؟!

ولعل أول من استخدم هذه الوسيلة في العصر الحاضر وبجرأة غريبة وخطيرة وبكتاب ترجم إلى لغات شتى وطبع عشرات المرات، هو آية الرافضة العظمى عندهم عبد الحسين شرف الدين الموسوي في كتاب سماه «المراجعات»[(١)] زعم فيه أنها مناظرات جرت له مع شيخ الأزهر سليم البشري، وانتهت بزعمه بتحول شيخ الأزهر من مذهب أهل السنة إلى مذهب الرافضة، وانتقاله من الحق إلى الباطل، والكتاب - بلا شك - مكيدة رافضية ومؤامرة مفضوحة لترويج دين الرافضة بين الجهلة من المسلمين، ولم يتجرأ هذا الرافضي على نشر هذه الأكذوبة إلا بعد ثلاثين سنة من وفاة الشيخ البشري، (ت ١٣٣٥هـ)[(٢)].

ومما يقطع بوضعه أن أسلوب الرسائل المنشورة في كتاب «المراجعات» والتي تمثل شخصيتين مختلفتين فكرًا وثقافة وعلمًا ووضعًا اجتماعيًا هو أسلوب واحد، مما يقطع

(١) انظر دلائل كذب المراجعات في: «أصول الشيعة» (٣/ ١٩٢) وما بعدها، «مسألة التقريب» (٢/ ٢١٣) وما بعدها. وانظر: «البينات في الرد على أباطيل المراجعات»، وانظر ما كتبه د/ علي السالوس عن هذا الكتاب المكذوب بعنوان «الفرية الكبرى».

(٢) انظر ترجمته في: «الأعلام» (٣/ ١٨٠).

بأن واضعها هو شخص واحد وهو الرافضي، كما أن شيخ الأزهر - وهو في ذلك الوقت شيخ الأزهر بالعلم والمكانة لا في المنصب والوظيفة - ظهر في هذه الرسائل بصورة تلميذ صغير، أو طالب مبتدئ، ليس له وظيفة سوى التسليم بكل مفتريات هذا الرافضي وخرافاته وأساطيره؛ والثناء والتعظيم لكل حرف يسطره، حتى ولو كان ما يقوله الرافضي تفسيرًا باطنيًا لا تربطه بآيات القرآن أدنى رابطة[1]، أو توثيق لحديث موضوع منكر في سنده ومتنه، أو تأكيد على خرافة من الخرافات التي لا يخفى على عاقل كذبها. وقد كان لحمق هذا الرافضي وجهله، وتعصبه الأعمى لدينه، وجهله بأصول أهل السنة ومنهجهم واعتقادهم الأثر الظاهر في افتضاحه وانكشاف كذبه، فهو بحق «فرية كبرى» كما وصفه د/ علي السالوس، وجعل هذا الوصف عنوانًا لكتابه الذي فضح به هذه الأسطورة وكشف زيفها، وهو بحق يعد العار الأكبر على الرافضة، وذلك لظهور كذبه.

ومن بعد «المراجعات» توالت المفتريات، ومن آخرها كتاب «ثم اهتديت» لأحد أتباع النحلة التيجانية - وهي ديانة لا صلة لها بالإسلام -[2]، والذي زعم أنه تحول من السنة إلى التشيع، والحقيقة أنه انتقل من ضلال التيجانية الغالية إلى ضلال الرافضة، فلم يعرف السنة أصلًا، بل لم يعرف الإسلام حقًّا.

---

(١) انظر تأويلاته الباطنية لكتاب الله في «مراجعاته» (ص٦٢-٧٣).

(٢) (التيجانية) نسبة إلى أبي العباس أحمد بن محمد المختار المولود بقرية عين ماضي سنة ١١٥٠هـ، ادّعى بأنه رأى بعيني رأسه نبينا محمدًا ﷺ يقظة لا في المنام، وأنه هو خاتم الأولياء، وللتيجانية أوراد ووظائف يبالغون ويغلون في بيان فضائلها وثوابها، ومن أورادهم (صلاة الفاتح لما أغلق)، قالوا: المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ستّ مرات، ولهم عقائد أخرى باطلة، وهي من طرق التصوف المشهورة في بلاد أفريقيا والمغرب العربي. انظر: «دراسات في التصوف» لإحسان إلهي ظهير (ص٢٧٩-٢٩٧)، «التيجانية» د. علي بن محمد آل دخيل الله.

» تاسعًا: المتعة:

قدم الحيدري في «عنوان المجد» بيانًا خطيرًا بالقبائل السنية التي ترفضت في العراق بمكر الروافض وخداعهم فقال: «وأما العشائر العظام في العراق الذين ترفضوا من قريب فكثيرون ثم ذكرهم»[1] كما سبق نقله.

وقال الإمام الآلوسي: «لقد أصبح اليوم أعراق قطر العراق مملوءة من سم أذنابهم، فلا ينجع فيهم ترياق ولا ألف راق، فقد ارتد غالب القبائل والعربان على أعقابهم، ورجعوا والأمر لله تعالى على أدبارهم، فرفضوا شعائر الإسلام، وأهملوا سائر الأحكام، واتخذوا بغض أئمة الدين عبادة، وصيروا مقت أصحاب سيد المرسلين وسيلة لنيل السعادة»[2].

هذا ما كشفه الحيدري وأشار إليه الآلوسي من انتشار الرفض في غالب القبائل في العراق وارتدادهم على أعقابهم؛ لجهلهم بالدين من جهة وخداع الروافض لهم من جهة أخرى، لكن لم يبين الحيدري ولا الآلوسي من بعده الوسيلة الخطيرة التي استخدمها شيوخ الروافض للتأثير على شيوخ القبائل وإضلالهم وفتنتهم عن دينهم الحق. ولقد وقفت على وثيقة مهمة تكشف الوسيلة الخبيثة الماكرة التي استخدمها شيوخ الرافضة للتآمر على زعماء القبائل، وهذه الوثيقة عبارة عن رسالة أرسلها العلامة/ محمد كامل الرافعي لصديقه الشيخ/ محمد رشيد رضا سنة ١٣٢٦هـ، ونشرتها «مجلة المنار»، في المجلد السادس عشر، وذكر العلامة الرافعي في هذه الوثيقة أنه وقف أثناء سياحته في تلك الديار العراقية على ما يقوم به علماء الشيعة من دعوة الأعراب إلى التشيع، واستعانتهم في ذلك بإحلال متعة النكاح لمشايخ قبائلهم الذين يرغبون في الاستمتاع

---

(١) انظر: «عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد» (ص١١٢-١١٨).

(٢) «السيوف المشرقة مختصر الصواقع المحرقة» (ص٣٥).

بكثير من النساء في كل وقت[١].

ولا يزال الروافض يستغلون هذه الوسيلة للوصول إلى أهدافهم ونشر ضلالهم عبر إباحيتهم التي من صورها ما يسمونه بالمتعة، وعارية الفروج، والتصدق بالفروج[٢].

وقد حدثني بعض من زار إيران أنهم حاولوا استخدام المتعة لإغرائه باعتناق مذهب الرفض.

» عاشرًا: الخمس:

تقنعت الخلايا الباطنية بالتشيع، وقاموا من خلال هذا الشعار الخادع بأخذ أموال الناس بدعوى خادعة ما أنزل الله بها من سلطان وهو خمس آل البيت، بل ربما كان الدافع وراء الدعوة للتشيع الاستيلاء على ٢٠٪ من أموال الناس باسم حق آل البيت في الخمس مستغلين تعاطف الناس معهم ومحبتهم لآل بيت نبيهم ﷺ.

استمع لهذا الإقرار الخطير: قالت كتب الشيعة: «مات أبو الحسن (ع) وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير، فكان ذلك سبب وقوفهم وجحودهم موته، وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، وكان أحد القوام عثمان بن عيسى، وكان يكون بمصر، وكان عنده مال كثير وست جوارٍ. قال: فبعث إليه أبو الحسن الرضا عليه السلام فيهن وفي المال. فكتب إليه: إن أباك لم يمت، فكتب إليه: إن أبي قد مات وقد اقتسمنا ميراثه وقد صحت الأخبار بموته. فكتب

---

(١) وقد نشرت الرسالة في مجلة المنار ولم يفصح عن اسم كاتبها في أول الأمر، ثم بيّن الشيخ محمد رشيد رضا فيما بعد اسم كاتب الرسالة، حيث أشار إلى ذلك في المجلد (٢٩)، وقال بأننا لم ننشر اسم الكاتب حينذاك لئلا تؤذيه الحكومة الحميدية كما هو معلوم من حالها (انظر: مجلة المنار، المجلد ٢٩، وانظر أيضًا: المجلد الثاني ص٦٨٧).

(٢) انظر بعض نصوصهم في: «وسائل الشيعة» (١٤/ ٤٥٥)، «تهذيب الأحكام» (٢/ ٢٤٩)، «تحرير الوسيلة» (٢/ ٢٩٠) للخميني، وانظر للتفصيل: «أصول مذهب الشيعة» (٣/ ٣١١).

إليه: إن لم يكن أبوك مات فليس لك من ذلك شيء، وإن كان مات فلم يأمرني بدفع شيء إليك، وقد أعتقت الجواري وتزوجتهن»[١].

هذا النص مأخوذ من كتب الاثني عشرية المعتمدة لديهم، وندع الجانب الذي وضعوا من أجله النص وهو الاستدلال على بطلان الوقف[٢] بما قاله إمامهم الرضا، ونأخذ منه حقيقة في غاية الأهمية، وهي تكشف لنا عما يدور في الخفاء ويبين الدوافع والأهداف وراء ظهورهذه الفرق الشيعية المختلفة، وهو التكالب على جمع المال، وأن أولئك الذين راحوا يجوبون الأمصار رافعين شعار التشيع، كلٌّ يدعو لإمام من الأئمة إنما كان غرضهم الاستئثار بأكبر قدر من المال.

فكانوا يحققون من وراء تلك الدعوات المزعومة للأئمة المال الوفير الذي تتداوله تلك العناصر السرية فيما بينها.

والمتأمل للحركات الشيعية الكثيرة التي ظهرت في تاريخ الأمة المسلمة، وكانت من أقوى العوامل التي شغلت الأمة عن أعدائها، وصرفت جهودها عن بناء الدولة الإسلامية الكبرى، المتأمل لهذه الحركات وكثرتها وقوتها يدرك أن المادة الممولة لهذه الحركات هي ما أخذ من أولئك الأتباع الأغرار باسم آل البيت وحقهم من الخمس.

بل إن الحركات الشيعية في العالم الإسلامي إلى اليوم إنما تمول من هذا المورد، وآيات الشيعة يعتبرون من كبار الرأسماليين في العالم، ومنصب الآية والمرجع منصب تهفو إليه القلوب وتتطلع له الأنظار، لأنه مصب القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

---

(١) الإمامة/ علي بن الحسين بن بابويه (والد الصدوق) ص٧٥، وانظر: رجال الكشي: ص٤٩٣ رقم ٩٤٦، وص ٥٩٨ رقم ١١٢٠، بحار الأنوار: ٤٨/ ٢٥٣، الطوسي/ الغيبة: ص٤٣.

(٢) يعني الوقف على الإمام والقول بمهديته وانتظار عودته وإنكار انتقال الإمامة إلى غيره، وهذا حالهم بعد وفاة كل إمام.

وهذا الجانب التمويلي هو الذي غذى ويغذي دور النشر التي تقذف سنويًّا بمئات النشرات والكتب والمراجع المليئة بما هو ضد الأمة ودينها، وهو الذي يمول هذا النشاط الرافضي المحموم في شتى بقاع العالم، وهذا المال المتدفق على الآيات والمراجع من أولئك الأتباع المخدوعين هو الذي جعل أمر الشيعة يكبر وخطرهم يعظم، وأصبح هؤلاء الآيات أو المراجع يوجهون فتاواهم على رغبات رجل الشارع، بل ويكتمون الحقيقة مجاراة لهم. وقد اهتم شيوخ التشيع بالقضية المالية التي يسلبونها باسم الخمس وأولوها عناية غير عادية، واعتبروا من يستحل منعهم درهمًا منها في عداد الكافرين[1].

والمطالع لكتب الفقه الإسلامي لا يجد فيها كتابًا مستقلًّا بعنوان «الخمس»، وإنما الحديث عن خمس الغنائم في كتاب الجهاد، وعن خمس الركاز والمعدن في كتاب الزكاة.

ولكن الأمر مختلف عند هؤلاء، فالخمس له كتاب مستقل، حيث فرضوه على أتباعهم فيما يفضل -كما يقولون - عن مؤنة السنة من أرباح التجارات، ومن سائر التكسبات من الصناعات، والزراعات، والإيجارات، حتى الخياطة، والكتابة، والنجارة، والصيد، وحيازة المباحات، وأجرة العبادات الاستيجارية من الحج والصوم والصلاة - كذا - والزيـارات وتعليم الأطفال وغير ذلك من الأعمال التي لها أجرة[2]، وقالوا: بل الأحوط ثبوته في مطلق الفائدة، وإن لم تحصل بالاكتساب كالهبة والهدية، والجائزة، والمال الموصى

---

(١) حيث قالوا: «ومن منع منه درهمًا أو أقل كان مندرجًا في الظالمين لهم (أي لأهل البيت بزعمهم)، والغاصبين لحقهم، بل من كان مستحلاً لذلك كان من الكافرين، ففي الخبر عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال (ع): من أكل من مال اليتيم درهماً ونحن اليتيم...» (اليزدي/ العروة الوثقى وبهامشها تعليقات مراجعهم في هذا العصر ٢/ ٣٦٦).
قال د. علي السالوس في السخرية بهذا المبدأ: «إن مسلمي اليوم إن أرادوا ألا يحكم عليهم الجعفرية بالكفر، فعليهم أن يجعلوا خمس مكاسبهم ورؤوس أموالهم ويبعثوا به إلى علماء الجعفرية».
د. علي السالوس/ أثر الإمامة في الفقه الجعفري ص ٣٩٤ (الهامش).
(٢) العروة الوثقى: ٢/ ٣٨٩.

به ونحوها [١]، كما جعلوا الأحوط إخراج خمس رأس المال، وكذا في الآلات المحتاج إليها في كسبه مثل: آلات النجارة للنجار، وآلات النساجة للنساج، وآلات الزراعة للزراع، وهكذا فالأحوط خمسها أيضًا أولًا [٢]، حتى قالوا: «لو زاد ما اشتراه وادخره للمؤنة من مثل الحنطة والشعير ونحوها مما يصرف عينه فيها يجب إخراج خمسه عند تمام الحول.. ولو استغنى عن الفرش والأواني والألبسة والعبد والفرس والكتب وما كان مبناه على بقاء عينه فالأحوط إخراج الخمس..» [٣].

فتأمل هذا الطغيان المالي، وهذه اللصوصية باسم التشيع! وكيف يستولي الملالي على نسبة ٢٠٪ من دخل الأتباع حتى أوجبوه فيما لا تجب فيه الزكاة!!

وهذا المال المتدفق يصرف لمن؟ قالوا بأنه في زمن الغيبة يدفع للفقيه الشيعي [٤].

فمخرجو الخمس الآن يعطونه فقهاءهم، فقد قرر شيوخهم أن الخمس يقسم «ستة أسهم: سهم لله، وسهم للنبي ﷺ، وسهم للإمام، وهذه الثلاثة الآن لصاحب الزمان» [٥] يعنون مهديهم المنتظر، وهو غائب ولن يرجع من غيبته لأنه لم يولد أصلًا، فاستحق نصيبه حينئذ الفقيه الشيعي، حيث قالوا بأن «النصف من الخمس الذي للإمام (ع) أمره في زمان الغيبة راجع إلى نائبه، وهو المجتهد الجامع للشرائط» [٦].

والثلاثة الأسهم الأخرى «للأيتام والمساكين وأبناء السبيل» [٧]، قالوا: بشرط

---

(١) العروة الوثقى: ٢/ ٣٨٩.
(٢) العروة الوثقى: ٢/ ٣٩٤-٣٩٥.
(٣) العروة الوثقى: ٢/ ٣٩٥-٣٩٦.
(٤) انظر: علي كاشف الغطا/ النور الساطع «وجوب دفع الخمس للفقيه زمن الغيبة»: ١/ ٤٣٩.
(٥) العروة الوثقى: ٢/ ٤٠٣، هدية العباد: ص١٧٨.
(٦) العروة الوثقى: ٢/ ٤٠٥، هدية العباد: ص١٧٩.
(٧) العروة الوثقى: ٢/ ٤٠٣، هدية العباد: ص١٧٩.

الإيمان[1] في هؤلاء، أي: بشرط أن يكونوا روافض لأن اسم الإيمان مختص بهم كما يفترون. وهذا النصف الآخر الذي قرروا صرفه لهؤلاء الأصناف الثلاثة قالوا فيه: الأحوط فيه أيضًا الدفع إلى المجتهد»[2].

فأصبحت النتيجة أنه يصرف لشيوخهم الروافض لينفقوا منه على أنفسهم، وعلى الأصناف الثلاثة المذكورة، جاء في كتاب النور الساطع: «أن الفقيه يأخذ نصف الخمس لنفسه، ويقسم النصف الآخر منه على قدر الكفاية، فإن فضل كان له، وإن أعوز أتمه من نصيبه»[3].

قال الدكتور علي السالوس: «ومن واقع الجعفرية في هذه الأيام نجد أن من أراد أن يحج يقوم كل ممتلكاته جميعًا ثم يدفع خمس قيمتها إلى الفقهاء الذين أفتوا بوجوب هذا الخمس وعدم قبول حج من لم يدفع، واستحل هؤلاء الفقهاء أموال الناس بالباطل»[4].

إن الخمس من أهم وسائلهم في الاعتداء على الأمة، وقد اتخذوه دينًا ونسبوه إلى الإسلام وأهل البيت افتراء وكذبًا، مع أن مسألة الخمس بدعة ابتدعها هؤلاء لم تكن على عهد النبي ﷺ ولا خلفائه الراشدين حتى أمير المؤمنين علي الذي يدعون التشيع له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما ما تقوله الرافضة من أن خمس مكاسب المسلمين يؤخذ منهم، ويصرف إلى من يرونه هو نائب الإمام المعصوم أو إلى غيره، فهذا قول لم يقله أحد من الصحابة لا علي ولا غيره، ولا أحد من التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من القرابة، لا بني هاشم ولا غيرهم.

---

(١) العروة الوثقى: ٢/ ٤٠٣، هدية العباد: ص١٧٩.

(٢) العروة الوثقى: ٢/ ٤٠٥، هدية العباد: ص١٧٩.

(٣) النور الساطع: ١/ ٤٣٩.

(٤) أثر الإمامة في الفقه الجعفري: ص٣٩١.

وكل من نقل هذا عن علي أو علماء أهل بيته كالحسن والحسين وعلي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وجعفر بن محمد فقد كذب عليهم، فإن هذا خلاف المتواتر من سيرة علي رضي الله عنه، فإنه قد تولى الخلافة أربع سنين وبعض أخرى، ولم يأخذ من المسلمين من أموالهم شيئاً، بل لم يكن في ولايته قط خمس مقسوم.

وأما المسلمون فما خمس لا هو ولا غيره أموالهم، وأما الكفار فمتى غنمت منهم أموال خمست بالكتاب والسنة، ولكن في عهده لم يتفرغ المسلمون لقتال الكفار بسبب ما وقع بينهم من الفتنة والاختلاف.

وكذلك من المعلوم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يخمّس أموال المسلمين، ولا طلب أحدًا قط من المسلمين بخمس ماله...»[(١)].

وهذه الأموال التي يأخذها شيوخ الشيعة باسم خمس أهل البيت، وهي تتدفق اليوم عليهم كالسيل من كل قطر، هي من أكبر العوامل على بقاء خرافة الاثني عشرية إلى اليوم، وإليها يعزى هذا النشاط في حماسة شيوخهم في الدفاع عن مذهبهم، لأنهم يرون فيمن يمس مذهبهم، أنه يحاول قطع هذه الأموال التي تجري عليهم، وكل من يدخل في مذهبهم يستولون على خمس ماله[(٢)].

---

(١) منهاج السنة: ٣/ ١٥٤.

(٢) أذكر بهذه المناسبة حادثة وقعت لي قبل بضع سنوات مع أحد ملالي الرافضة في الحرم المدني، فقد صلى بجواري في المسجد النبوي أحد المعممين، وكان معي أحد أبنائي الصغار، فربت على كتفيه، وقال له: حماك الله من حكام السوء، أو قال: من حكام آل سعود، فدار حديث بيني وبينه، ومما جاء فيه، قلت له: كيف يفعل من رغب أن يعتنق المذهب الشيعي؟ فأجابني بقوله: إذا كان في هذه البلاد فعليه أن يستتر، وإذا كان في بلد كسوريا فلا بأس أن يعلن، فقلت له (وهذا موضع الشاهد): إذا كان الله قد أفاء عليه المال الكثير، وجاد عليه بالثراء والغنى، فهل تبرأ ذمته بإخراج الخمس للفقراء والمحتاجين، فقال لي - وقد علت نبرات صوته، وجحظت عيناه -: لا، لا... تعال إلينا في فندق الدخيل!!!

ولهذا قال د. علي السالوس: «وأعتقد أنه لولا هذه الأموال لما ظل الخلاف قائماً بين الجعفرية وسائر الأمة الإسلامية إلى هذا الحد، فكثير من فقهائهم يحرصون على إذكاء هذا الخلاف لحرصهم على هذه الأموال»[1].

ومن آثارهم الظاهرة أيضًا: أنهم في البلدان التي يكونون فيها يحاولون السيطرة على معظم الأعمال التجارية والشركات ومواد التموين، حتى يتحكموا بأقوات الناس وضرورياتهم، والواقع أكبر شاهد[2].

بل إن أحاديثهم تأمرهم بذلك كما جاء في أخبارهم «خذ مال الناصب حيثما وجدته وادفع إلينا الخمس»[3].

وقال أبو عبد الله - كما يفترون -: «مال الناصب وكل شيء يملكه حلال»[4].

وشيوخهم توسعوا في معنى «الناصبي» ليشمل ما عدا الجعفرية[5].

وجاء في كتب الفقه عندهم: «إذا أغار المسلمون على الكفار فأخذوا أموالهم فالأحوط بل الأقوى إخراج خمسها من حيث كونها غنيمة، ولو في زمن الغيبة، وكذا إذا أخذوا بالسرقة والغيلة»[6]، و«لو أخذوا منهم بالربا أو بالدعوى بالباطل فالأقوى إلحاقه بالفوائد المكتسبة فيعتبر فيه الزيادة من مؤنة السنة وإن كان الأحوط إخراج خمسه مطلقًا»[7].

---

(١) أثر الإمامة: ص٤٠٨.

(٢) انظر في ذلك: «وجاء دور المجوس» ص٣١٢ وما بعدها.

(٣) الطوسي/ تهذيب الأحكام: ١/ ٣٨٤، ابن إدريس/ السرائر: ص٤٨٤، الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ٦/ ٣٤٠.

(٤) الطوسي/ تهذيب الأحكام: ٢/ ٤٨، الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ١١/ ٦٠.

(٥) وقد نصوا في أخبارهم على أن النصب هو تقديم أبي بكر وعمر على علي. (انظر: السرائر: ص٤٧١، وسائل الشيعة: ٦/ ٣٤١-٣٤٢، بشارة المصطفى: ص٥١، وراجع أيضًا: المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية، المسألة السادسة: ص١٣٨ وما بعدها).

(٦) اليزدي/ العروة الوثقى (وبهامشه تعليقات مراجع الشيعة في العصر الحاضر) ٢/ ٣٦٧-٣٦٨.

(٧) اليزدي/ العروة الوثقى: ص٣٦٨، وانظر أيضًا: (شريعتمداري)/ هداية العباد: ص١٦٨.

ومفهوم الكافر عند الاثني عشرية يشمل معظم المسلمين، بل جميعهم ما عدا طائفتهم، وهذا يعني أنهم يبيحون الاستيلاء على أموال المسلمين بالإغارة، والسرقة، والغيلة، ويستحلون أخذ أموالهم عن طريق الربا والدعاوى الباطلة، وهذا تترجمه الأحداث التاريخية التي جرت منهم، كما يصدقه واقعهم.

» حادي عشر: تشويه تاريخ المسلمين:

للرافضة كتابات في التاريخ تعمدوا الإساءة فيها لتاريخ الأمة الإسلامية كما في روايات وأخبار الكلبي(١)، وأبي مخنف(٢)، ونصر بن مزاحم المنقري(٣)(٤).

---

(١) محمد بن السائب بن بشبر الكلبي، قال ابن حبان: كان الكلبي سبئيًا من أولئك الذين يقولون: إن عليًا لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا، توفي سنة ١٤٦هـ ميزان الاعتدال: ٣/ ٥٥٨، وانظر: ابن أبي حاتم/ الجرح والتعديل: ٧/ ٢٧٠-٢٧١، تهذيب التهذيب: ٩/ ١٧٨).

(٢) لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي (أبو مخنف) من أهل الكوفة، قال ابن عدي: شيعي محترق صاحب أخبارهم، توفي سنة (١٥٧هـ)، له تصانيف كثيرة منها: «الردة»، و«الجمل»، و«صفين» وغيرها. (انظر: ميزان الاعتدال: ٣/ ٤١٩-٤٢٠، الأعلام للزركلي ٦/ ١١٠-١١١).

(٣) نصر بن مزاحم بن سيار المنقري الكوفي، قال الذهبي: «رافضي جلد تركوه»، توفي سنة ٢١٢هـ، ومن كتبه: وقعة صفين، وهو مطبوع، والجمل، ومقتل الحسين.(انظر: ميزان الاعتدال: ٤/ ٢٥٣، العقيلي/ الضعفاء الكبير ٤/ ٣٠، ابن أبي حاتم/ الجرح والتعديل: ٨/ ٤٦٨، لسان الميزان: ٦/ ١٥٧، الأعلام: ٨/ ٣٥٠).

(٤) هذه الروايات توجد حتى عند الطبري في تاريخه، لكن الطبري يذكرها مسندة لهؤلاء فيعرف أهل العلم حالها. انظر: روايات الكلبي في تاريخ الطبري: ١/ ٣٥٥، ٢/ ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٧٢، ٣٧٠، ٤٦٥، ٣/ ١٦٨، ٢٧٤، ٢٨٦، ٤٢٥، ٤/ ١٠٨، ٣٦٨، ٥/ ٤٤٩، ٦/ ١٠٣، ٣٤٩، ٣٦٤.

وروايات أبي مخنف وهي كثيرة جدًا في أكثر من ٣٠٠ موضع. وقال المستشرق بل A.BRl في دائرة المعارف الإسلامية: ١/ ٣٩٩: صنف (يعني أبا مخنف) ٣٢ رسالة في التاريخ، عن حوادث مختلفة وقعت في إبان القرن الأول للهجرة، وقد حفظ لنا الطبري معظمها في تاريخه، أما المصنفات التي وصلت إلينا منسوبة إليه فهي من وضع المتأخرين. (انظر: الأعلام: ٦/ ١١١- الهامش).

وروايات نصر بن مزاحم: ٤/ ٤٥٨، ٤٦٥، ٤٨٥، ٤٨٧. (انظر: فهارس الطبري التي وضعها أبو الفضل إبراهيم في جـ١٠ من التاريخ).

وكما في كتابات المسعودي في مروج الذهب، واليعقوبي في تاريخه.. وقد أشار الأستاذ محب الدين الخطيب في حاشية العواصم إلى أن التدوين التاريخي إنما بدأ بعد الدولة الأموية، وكان للأصابع الباطنية والشعوبية المتلفعة برداء التشيع دور في طمس معالم الخير فيه وتسويد صفحاته الناصعة[1].

ويظهر هذا الكيد لمن تدبر كتاب (العواصم من القواصم) لابن العربي مع الحاشية النفيسة التي وضعها عليه العلامة محب الدين الخطيب.

لقد سوّد شيوخ الروافض آلاف الصفحات بسب أفضل قرن عرفته البشرية، كما لم تسلم منهم دول الإسلام، وولاة أمر المسلمين وأئمتهم.

وكانت هذه المادة «الرافضية» الكبيرة والتي تجدها في كتب التاريخ التي وضعها الروافض، أو شاركوا في بعض أخبارها، وتوجد في مصادرهم كالكافي، والبحار، وفيما كتب شيوخهم في القديم كإحقاق الحق، وفي الحديث ككتاب الغدير.

هذه المادة السوداء المظلمة الكريهة الشائهة هي المرجع لما كتبه أعداء المسلمين من المستشرقين وغيرهم.

وجاء ذلك الجيل المهزوم نفسيًّا، والذي يرى في الغرب قدوته وأمثولته من المستغربين فتلقف ما كتبته الأقلام الاستشراقية وجعلها مصدره ومنهله، وتبنى أفكارهم ونشر شبهاتهم.

وكان لذلك أثره الخطير في أفكار المسلمين وثقافاتهم، وكان الرفض هو الأصل في هذا الشر كله[2].

---

(١) انظر: العواصم من القواصم (الحاشية) ص:١٧٧.

(٢) إن دراسة آراء المستشرقين وصلتها بالشيعة موضوع هام يستحق الدراسة والتتبع، ولا يمكن بحال أن نخوض غماره في هذا البحث لضيق المجال، وحسبنا هنا أن نشير إليه وننبه عليه.

لقد بدأ اعتماد العدو الكافر على شبهات الروافض وأكاذيبهم ومفترياتهم على الإسلام والمسلمين منذ وقت ليس بالقريب.

ففي عصر الإمام ابن حزم ت٤٥٦هـ؛ كان النصارى يتخذون من فرية الروافض حول كتاب الله سبحانه حجة لهم في مجادلة أهل الإسلام، وقد أجاب ابن حزم عن ذلك بكل حزم فأبان أنه لا عبرة بأقوال هذه الطائفة، لأن الروافض ليسوا من المسلمين، فقال لهم ما نصه: «وأما قولهم [يعني النصارى] في دعوى الروافض تبديل القراءات؛ فإن الروافض ليسوا من المسلمين، إنما هي فرق حدث أولها بعد موت النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة، وكان مبدؤها إجابة من خذله الله تعالى لدعوة من كاد الإسلام، وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر»[1].

» ثاني عشر: استغلال الأدب العربي:

ترك التشيع بصماته «السوداء» على بعض مواد الأدب العربي، وقد استغل «شعراء» الشيعة وخطباؤها ما يسمى بمحن آل البيت ودعاوى الصراع المكذوبة بين الآل والأصحاب لمحاولة إثارة عواطف الناس، واستجاشة مشاعرهم وإلهاب العواطف والنفوس، وتحريكها ضد الأمة ودينها.

كما تلمس في الأدب الشيعي اتجاهاتهم العقدية، وترى اختلاقهم لصراع بين الآل والأصحاب لا وجود له في الواقع، ومبالغات في تصوير ما جرى على أهل البيت من محن، واستغلال ذلك في نشر التشيع، والطعن في الصحابة رضوان الله عليه.

وقد أجهد أدباء التشيع أنفسهم في نشر الخرافات والأساطير عن أئمتهم في ثوب قصصي مثير، أو في خطبة، أو في شعر مبالغ في الغلو في مدح الأئمة.

---

(١) الفصل: (٢/ ٦٥).

ولقد تأثرت عقائد العامة وتصوراتهم، حتى أثر ذلك على عقيدة التوحيد عندهم فاتخذوا من الأئمة أربابًا من دون الله.

يقول الأستاذ محمد سيد كيلاني: «فترى أن التشيع قد أخرج لونًا من الأدب كان سببًا في الهبوط بالمسلمين إلى هوة سحيقة من التأخر والانحطاط، وقد أفلح الوهابيون في القضاء على كثير من هذه الخرافات في داخل بلادهم، أما في الأقطار الإسلامية الأخرى فالحال باقية كما هي عليه حتى بين طبقة المتعلمين»[١].

ويكفي في إدراك هذا البعد الخرافي مطالعة القصيدة المشهورة والمعتمدة عندهم وهي التي يسمونها «القصيدة الأزرية»[٢].

وقد اتخذوا من حرفة الأدب وسيلة للنيل من الأمة بالإساءة لسمعة خلفائها، وتشويه صورة المجتمع المسلم، حيث نجد مثلًا تضخيم الجانب الهزلي والمنحرف والضال في المجتمع، بل تصوير خلفاء الأمة بصورة هابطة كما فعلوا مع الخليفة هارون الرشيد وأخباره مع أبي نواس، وهو الخليفة الذي يغزو عامًا ويحج عامًا، كما وجدوا في الأدب

---

(١) أثر التشيع في الأدب العربي: محمد سيد كيلاني: ص٤٣، دار الكتاب العربي بمصر.

(٢) وتسمى القصيدة الهائية لشيخهم محمد كاظم الأزري المتوفى سنة ١٢١١هـ (الذريعة: ١٧/ ١٣٥)، وللأستاذ محمود الملاح نقد لهذه القصيدة سماه «الرزية في القصيدة الأزرية» ذكر أنه قدم لها شيخهم محمد رضا المظفر، وقال - نقلاً عن المظفر -: إن شيخهم صاحب الجواهر (وهو محمد ابن حسن بن باقر النجفي المتوفى سنة ١٢٦٦هـ، والجواهر هو شرح «شرائع الإسلام» من كتبهم المعتمدة في الفقه. انظر: محمد جواد مغنية/ مقدمته لـ «شرائع الإسلام») كان يتمنى أن تكتب في ديوان أعماله «القصيدة الأزرية» مكان كتابه «جواهر الكلام» ثم ذكر بعض أبياتها وهي تعج بالكفر الصريح، كقوله عن علي:

وهو الآية في المحيط في الكون ... ففي عين كل شيء تـراها

وقوله:

كل ما فـي القضـاء من كائنات ... أنت مولى بقائـها وفناها

(انظر: الرزية في القصيدة الأزرية: ص٣٣-٣٥).

متنفسًا لهم، حيث ترتفع التقية في جو العاطفة والخيال.. فيصبون أحقادهم وكرههم على الخليفة والأمة في قصة أو شعر أو مثل أو خطبة.. ويكفي مثالًا على ذلك كله الاطلاع على كتاب الأغاني للرافضي أبي الفرج الأصفهاني.

» ثالث عشر: إثارة الفتن:

وهي التي يثيرونها بسبب سبهم للصحابة عبر مآتمهم السنوية، فقد اخترع البويهيون الروافض إقامة المآتم بذكرى مقتل الحسين، وذلك في بغداد في القرن الرابع الهجري، ومنذ ذلك التاريخ والشيعة الرافضة تثير في هذه الذكرى السنوية فتنًا لا حدود لها، وينشب صراع عنيف بين السنة والشيعة بسبب تجرؤ هؤلاء الروافض على شتم الصحابة رضوان الله عليهم، وقد بدأت الفتن لأول مرة في تاريخ بغداد سنة ٣٣٨هـ[١]، ثم توالت الفتن بينهما[٢]، وقتل فيها خلق كثير من المسلمين، ولا تزال لهذه البدعة آثارها في العالم الإسلامي الذي يوجد فيه شيعة.

فكم أزهقت من أرواح، وكم زرعت من أحقاد، وكم أحدثت من فرقة وأثارت من فتن! ولا يزال الروافض عبر مآتمهم وحسينياتهم يذكون أوارها ويؤججون نارها، بل يعدون المادة التي تغذيها من أهم مقومات بقاء نحلتهم، يقول كبيرهم في هذا العصر الهالك الخميني - باعث الفتن وموقدها وعميل المستعمر وصنيعته - يقول في تلفزيون إيران بالحرف الواحد: «إن شعار الفرقة الناجية وعلامتهم الخاصة من أول الإسلام إلى يومنا هذا إقامة المآتم»[٣].

---

(١) عبد الرزاق الحصان/ المهدي والمهدوية: ص٧٤.

(٢) انظر - مثلاً - حوادث سنة ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٣٩، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٧٨، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٦، ٥١٠... إلخ في البداية والنهاية وغيرها من كتب التاريخ.

(٣)) نقل ذلك العالم السني الإيراني محمد ضيائي في مجلة (المجتمع) العدد (٥٨٩)، السنة الثالثة عشرة، في ١٨ ذي الحجة ١٤٠٢هـ.

ويقول: «إن البكاء على سيد الشهداء (ع) وإقامة المجالس الحسينية هي التي حفظت الإسلام من أربعة عشر قرنًا»(١).

وحين سئل أحد مراجعهم المعاصرين عما يفعله الشيعة في المواكب التي اعتاد الجعفريون اتخاذها في العشر من المحرم تمثيلًا لفاجعة الطف، وإعلامًا لما انتهك فيها من حرمة الرسول - صلى الله عليه وآله - في عترته المجاهدين بالتمثيل للشهداء وجهادهم، وما جرى عليهم، وما جرى على الأطفال من القتل والقسوة، وبإعلانهم الحزن لذلك بأنواعه من ندب، ونداء وعويل، وبكاء، وضرب بالأكف على الصدور، وبالسلاسل على الظهور، فأجاب آيتهم على ذلك بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: ٢٣، ٣٣]، ولا ريب أن تلك المواكب المحزنة، وتمثيل هاتيك الفاجعة المشجية من أعظم شعائر الفرقة الجعفرية»(٢).

والحسين رضي الله عنه أكرمه الله تعالى بالشهادة في ذلك اليوم، وله أسوة حسنة بمن سبقه من الشهداء.. وقتله مصيبة عظيمة، والله سبحانه قد شرع الاسترجاع عند المصيبة(٣)، وليس ما تفعله الرافضة من الإسلام في شيء، إنما غرض المخترعين لهذه البدعة، والمشجعين عليها، هو إشغال أمة الإسلام في نفسها حتى لا تتفرغ لنشر دين الله في الأرض.

---

(١) جريدة «الاطلاعات» العدد (١٥٩٠١) في تاريخ ١٣٩٩/٨/١٦هـ (عن كتاب إقناع اللائم على إقامة المآتم، صفحة الغلاف).

(٢) الآيات البينات: ص٥.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤/ ٥١١.

المبحث الثامن: آثار الغزو الباطني على العالم الإسلامي



أثر الشيعة الباطنية في العالم الإسلامي في مراحل التاريخ المختلفة وحقبه المتطاولة.. موضوع واسع كبير، سواء على مستوى الدول كالدولة البويهية والعبيدية والصفوية وأخيرًا الخمينية، أو على مستوى الأفراد الذين تآمروا على الأمة، وكانوا عونًا للأعداء عليها.

ولعلي أحاول أن أبرز بعض آثارهم وفق مجالات محددة حتى لا يتشعب بنا الحديث.

» أولاً: المجال العقدي والفكري:

وهو موضوع واسع كبير، نشير فيما يلي إلى بعض معالمه:

١ - إحداث الشرك في أمة محمد ﷺ:

قرر طائفة من أهل العلم أن الشيعة الباطنية هم أول من أحدث الشرك وعبادة القبور في الأمة المحمدية، فقد تحول غلو الشيعة في أئمتها إلى غلو في قبورها، ووضعوا روايات نسبوها لبعض أئمة أهل البيت، وذلك لمساندة مسيرتهم الوثنية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور أهل البدع من الروافض ونحوهم، الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها، ويكذب فيها، ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً، فإن الكتاب والسنة إنما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد»[١].

واليوم أصبحت مشاهد الشيعة ومزاراتها موطنًا للشرك، وعبادة غير الله سبحانه.. وتحدث الكثير ممن زار ديار الشيعة عن هذه المظاهر الشركية، وقد سرى هذا البلاء إلى بعض ديار السنة. والرافضة هم الأصل فيه، وكتبهم تشهد له وتؤيده.

---

(١) انظر: الرد على الأخنائي: ص٤٧.

يقول الشيخ موسى جار الله بعد زيارة له لإيران والعراق استمرت عدة أشهر بأنه رأى المشاهد والقبور عندهم معبودة[(١)].

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي بعد زيارة له إلى إيران عن مشهد علي الرضا: «فإذا دخل غريب في مشهد سيدنا علي الرضا لم يشعر إلا وأنه داخل الحرم، فهو غاص بالحجيج، مدوٍّ بالبكاء والضجيج، عامر بالرجال والنساء، مزخرف بأفخر الزخارف والزينات، قد تدفقت إليه ثروة الأثرياء، وتبرعات الفقراء»[(٢)].

وقد ذكر صاحب التحفة الاثني عشرية بأنهم لا يزالون يغلون في قبور الأئمة ويطوفون حولها، بل ويصلون إليها مستدبرين القبلة، إلى غير ذلك من الأمور التي يستقل لديها فعل المشركين مع أصنامهم[(٣)]، ثم قال: «إن حصل لك ريب من ذلك؛ فاذهب إلى بعض مشاهدهم لترى الحقيقة بعينك»[(٤)].

يقول العالم الإيراني - الشيعي الأصل - أحمد الكسروي: «ومما يرى من لجاج الشيعة أنه قد انقضى منذ ظهور الوهابيين أكثر من مائة وخمسين عامًا، وجرت في تلك المدة مباحثات ومجادلات كثيرة بينهم وبين الطوائف الأخرى من المسلمين، وانتشرت رسالات وطبعت كتب وظهر جليًّا أن ليست زيارة القبب والتوسل بالموتى ونذر النذور للقبور وأمثالها إلا الشرك، ولا فرق بين هذه وبين عبادة الأوثان التي كانت جارية بين المشركين من العرب، فقام الإسلام يجادلها ويبغ [كذا] قلع جذورها، يبين ذلك آيات كثيرة من القرآن.

---

(١) الوشيعة: المقدمة ص (ط).

(٢) من نهر كابل إلى نهر اليرموك: ص٩٣، مجلة الاعتصام، السنة (٤١)، العدد (٣).

(٣) انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية: ص٣٠٠.

(٤) مختصر التحفة الاثني عشرية: ص٣٠٠.

فأثرت الوهابية في سائر طوائف المسلمين غير الروافض أو الشيعة الإمامية، فإن هؤلاء لم يكترثوا بما كان ولم يعنوا بالكتب المنتشرة والدلائل المذكورة أدنى عناية، ولم يكن نصيب الوهابيين منهم إلا اللعن والسب كالآخرين»[1].

ولا حاجة بنا إلى استعراض أسماء المشاهد وأماكنها، وصور ما يجري فيها لشهرة ذلك وذيوعه.

٢- الصد عن دين الله:

كان الاتجاه الرافضي - بكل شذوذه وضلالاته - ولا يزال مصحوبًا بدعاية كبيرة من شيوخ الروافض الذين يبحثون عن تكثير سوادهم بأي وسيلة.

وكانت هذه الدعاية مرتكزة على أكذوبة كبرى أتقن الشيعة اللعب فيها وخداع أتباعهم، والجهلة من أتباع المسلمين بها.. هذه الأكذوبة تقول بأن شذوذ الشيعة هذا مؤيد بروايات عند أهل السنة.. ولذلك يكثر قولهم: لا خلاف بين السنة والشيعة من هذا المنطلق، كما سبق.

وما أكثر ما نقرأ في كتبهم ما يسمونه الاستدلال، والاحتجاج من طريق من يسمونهم بالعامة[2]! وهذه (الأكذوبة) قد انخدع بها من أزاغ الله قلبه، فظن أن دين الإسلام ليس إلا ما يقوله أولئك المبتدعون، ورأوا ذلك فاسدًا في العقل فخرجوا من الإسلام إلى مهاوي الإلحاد والزندقة، ولهذا كان غلاتهم طاعنين في دين الإسلام بالكلية باليد

---

(١) «التشيع والشيعة» ص٨٩، وقد رأيت في فهارس مكتبات الشيعة كمكتبة الكاظمية في بغداد كتبًا كثيرة وضعت من قبل الشيعة لمحاربة دعوة التوحيد التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٢) لا يخلو - غالبًا - كتاب من كتبهم المتأخرة والمعاصرة من هذا الأسلوب، ومن أشدها غلوًا وأعظمها كذبًا كتاب «غاية المرام» وهو كله قائم على هذا المسلك، وهو بكذبه الجلي الواضح عار على الشيعة إلى الأبد، ومع ذلك يعده أحد مراجعهم في هذا العصر موضع الفخر (محسن العاملي/ الشيعة: ص١٢٤، وانظر: ملحق الوثائق والنصوص من رسالة فكرة التقريب).

واللسان، كالخرمية[1] أتباع بابك الخرمي، وقرامطة[2] البحرين أتباع أبي سعيد الجنابي وغيرهم[3].

ولا شك في أن إظهار بدعة الرفض على أنها الإسلام هو من أعظم أسباب الصد عن سبيل الله، إذ كيف يقبل عاقل خرافات الرافضة وتناقضاتها وشذوذ عقائدها، من دعاوى الغيبة والرجعة والعصمة والبداء والطينة، وتأويلاتهم الباطنية، ودعواهم نزول كتب إلهية على الأئمة، والطعن في الصحابة، إلى غير ذلك من عقائدهم؟!

ولقد قلت بعد قيام ثورة الملالي: لا يبعد اليوم أن إقامة دولة الآيات في إيران وسيلة لهذا الغرض لمواجهة المد الإسلامي المتنامي، والحد من انتشاره؛ فإن إقامة دولة تشوه الإسلام، وتعطي صورة مخالفة لتطلعات المسلمين وآمالهم من شأنه أن يصد عن دين الله. وهذا ما وقع، بل أصبحت أكثر عدوانًا على الأمة من يهود، وكانوا سببًا في سقوط العراق والقضاء على مقدراته، وإبادة أبرياء سوريا، والتآمر على لبنان واليمن، وإشغال

---

(١) الخرمية: فرقتان: فرقة منهم كانوا قبل دولة الإسلام وهم أتباع مزدك الإباحي دعاة الاشتراك في الأموال والأبضاع، الذين أفسدوا بلاد الفرس فقضى عليهم أنو شروان الملك الساساني الملقب بالعادل، والذي توفي قبل بعثة الرسول ﷺ. والفرقة الثانية من الخرمية ظهروا في دولة الإسلام كالبابكية أتباع بابك الخرمي الذي ظهر بناحية آذربيجان، وكثر أتباعه، وكان يستحل المحرمات كلها وهزم كثيراً من عساكر بني العباس في مدة عشرين سنة إلى أن أسر مع أخيه إسحاق وصلب «بسر من رأى» في أيام المعتصم سنة ٢٢٣هـ.

ولا شك في أن الخرمية الذين ظهروا في الإسلام هم امتداد للديانة الفارسية القديمة «المزدكية» الأولى، وهم الذين زادوا في انحراف التشيع، ولذلك قال النوبختي الشيعي: ومنهم كان بدء الغلو في القول حتى قالوا: إن الأئمة آلهة، وإنهم أنبياء، وإنهم رسل، وقالوا بالتناسخ وإبطال القيامة، (انظر: النوبختي/ فرق الشيعة ص٣٦، ابن النديم/ الفهرست: ص٣٤٢-٣٤٤، الإسفراييني/ التبصير في الدين: ص٧٩-٨٠، الملطي/ التنبيه والرد: ص٢٢، الغزالي/ فضائح الباطنية: ص١٤ وما بعدها).

(٢) القرامطة: إحدى فرق الإسماعيلية التي سبق التعريف بها ص: ٩٧. وهم يسمون بالقرامطة نسبة إلى رجل يقال له: حمدان قرمط كان أحد دعاتهم في بداية أمرهم (فضائح الباطنية: ص١٢).

(٣) انظر: منهاج السنة: ١/ ١١٤.

الأمة عن تحقيق أهدافها وبناء ذاتها، والتآمر مع العدو في كل ما يضر الأمة المسلمة ويهدد مصالحها.

والمستعمر الكافر معنيٌّ بمعرفة هذه الاتجاهات البدعية على يد ثلة ممن يسمون بالمستشرقين الذين يعمل معظمهم مستشارين في وزارات الخارجية، وبالتالي فإن سياسات الدول الاستعمارية تتخذ منهجها من تقارير المستشرقين المبنية على دراسة تاريخية وطائفية لأمة الإسلام.. والمستعمر لم ينس تاريخه معنا، كما شهدت بذلك مواقفه وأقوال بعض قادته، وكما كشف ذلك بعض الأوربيين الذين دخلوا في الإسلام، كالأستاذ محمد أسد في كتابه «الإسلام على مفترق الطرق»[1].

وسواء كان قيام دولة الآيات، أو تصاعد المد الشيعي في العالم الإسلامي مقصودًا للعدو الكافر أو غير مقصود فإنه بلا شك له آثاره في الصد عن سبيل الله، وظهور الزندقة المقنعة التي ينخدع بها المسلمون، وهذا هو الداء الأكبر، وهذا ما يتضح بالمسألة التالية:

---

(١) وقد تحدث عن ذلك في فصل بعنوان (شبح الحروب الصليبية) وقال: «إن الحروب الصليبية هي التي عينت في المقام الأول والمقام الأهم موقف أوربة من الإسلام لبضعة قرون تتلو» (الإسلام على مفترق الطرق: ص٥٥). وقال: «لقد استفادت أوربا أكثر مما استفاد العالم الإسلامي منها، ولكنها لم تعترف بهذا الجميل وذلك بأن تنقص من بغضائها للإسلام، بل كان الأمر على العكس، فإن تلك البغضاء قد نمت مع تقدم الزمن ثم استحالت عادة، ولقد كانت هذه البغضاء تغمر الشعور الشعبي كلما ذكرت كلمة مسلم. ولقد دخلت في الأمثال السائرة عندهم حتى نزلت في قلب كل أوربي رجلًا أو امرأة». (المصدر السابق: ص٥٩-٦٠).
ويقول بأن هذه المشاعر العدائية ظلت حية بعد جميع أدوار التبادل الثقافي واستمرت في تطور رغم أن الشعور الديني الذي كان سبب هذا العداء قد أخلى مكانه. ويقول بأن هذا ليس بغريب إذ إنه من المقرر في علم النفس أن الإنسان قد يفقد جميع الاعتقادات الدينية في تلقنها في أثناء طفولته، بينما تظل عنده بعض الخرافات الخاصة تتحدى كل تعليل عقلي (المصدر السابق: ص٦٠-٦١).
وأقول: إن مقررات علم النفس هذه إنما تنطبق على أديان أوروبا لا على دين الفطرة دين الإسلام.

٣- ظهور فرق الزندقة والإلحاد:

يذكر شيخ الإسلام - رحمه الله - أن مبدأ ضلال الإسماعيلية والنصيرية وغيرهم من الزنادقة الملاحدة المنافقين تصديق الرافضة في أكاذيبهم التي يذكرونها في تفسير القرآن والحديث[(١)].

وكان أئمة العبيديين إنما يقيمون مبدأ دعواهم بالأكاذيب التي اختلقتها الرافضة ليستجيب لهم بذلك الشيعة الضلال، ثم ينقلون الرجل من القدح في الصحابة إلى القدح في علي رضي الله عنه، ثم في الإلهية، كما رتبه لهم صاحب البلاغ الأكبر والناموس الأعظم، ولهذا كان الرفض أعظم باب ودهليز إلى الكفر والإلحاد[(٢)].

«فالرافضة هم الباب لهؤلاء الملحدين منهم يدخلون إلى سائر أصناف الإلحاد في أسماء الله، وآيات كتابه المبين، كما قرر ذلك رؤوس الملاحدة من القرامطة والباطنية وغيرهم من المنافقين»[(٣)].

بل إن روايات الاثني عشرية وأحاديثها التي يزعمون تلقيها عن آل البيت هي المناخ الملائم، والتربة الصالحة لظهور الأفكار الغالية وخروج الفرق الملحدة، لأنها جمعت حثالة آراء وأقوال الفرق الشيعية الشاذة بمختلف اتجاهاتها، والتي فرقت الأمة وأفسدت عليها أمرها، والتي وصلتنا أقوالها بواسطة كتب الفرق والمقالات، ثم وجدنا روايات الاثني عشرية تشهد لهذه الاتجاهات وتؤيدها.

ومن هنا انبثق من الاثني عشرية فرق كثيرة اشتهر غلوها وكفرها كالنصيرية والشيخية والكشفية والبابية والبهائية وغيرها، وقد قال صاحب المنتقى بأن «الرفض مأوى شر الطوائف»[(٤)].

---

(١) منهاج السنة: ٤/ ٣.
(٢) منهاج السنة: ٤/ ٣.
(٣) منهاج السنة: ١/ ٣.
(٤) انظر: المنتقى: ص٧٧.

ثم ذكر جملة من فرق الزندقة والإلحاد الذين يعيشون تحت مظلة الرفض، ولذا قال الغزالي: «إن مذهب الباطنية ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض»[١].

فهم كفرة يتظاهرون بالتشيع.. ويبدو أن هؤلاء يشكلون السواد الأعظم منهم حتى ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن «كثيرًا من أئمة الرافضة وعامتهم زنادقة وملاحدة ليس لهم غرض في العلم ولا في الدين»[٢].

فبيئة التشيع مناخ خصب لمختلف النحل والأهواء، وقد سجل محب الدين الخطيب أن التشيع كان عاملًا من عوامل انتشار الشيوعية والبهائية في إيران[٣].

» ثانيًا: المجال السياسي:

الشيعة - كما تؤكد أصولهم - لا يؤمنون بشرعية أي دولة إسلامية مهما كان صلاحها وعدلها، ويرون أن الخليفة على العالم الإسلامي طاغوت، ودولته غير شرعية، ولا يستثنون من ذلك إلا خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وخلافة الحسن، ويقولون في رواياتهم: «كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت»[٤]، «وإن كان رافعها يدعو إلى الحق»[٥] كما سبق.

ولهذا وجد العدو المتربص بالأمة المسلمة ضالته المنشودة في الشيعة، وحقق الكثير من أغراضه بواسطتها، لوجود هذه العقيدة التي من ثمارها فقدان الولاء والطاعة، وإضمار العداء والكراهية للأمير والمأمورين من المسلمين.

---

(١) فضائح الباطنية: ص٣٧.
(٢) منهاج السنة: ٤/ ٧٠.
(٣) الخطوط العريضة: ص٤٤-٤٥.
(٤) انظر: الغيبة للنعماني، باب في أن كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت، ص٧.
(٥) «الكافي» بشرحه للمازندراني (١٢/ ٣٧١)، «بحار الأنوار» (٢٥/ ١١٣).

ولذا كانت الزمر الرافضية أداة مطيعة بيد العدو، ومركبًا ذلولًا سخره للوصول إلى مآربه.

وكانت عقيدة التقية تيسر للعناصر الشيعية إحكام الخطط، وترتيب المؤامرات، فهم أشبه ما يكونون بخلية سرية ماسونية تلبس للأمة المسلمة رداء الإسلام، وترتدي ثوب المودة والطاعة لإمام المسلمين في الظاهر، وتعمل على الكيد له وللأمة في الباطن، فقد قالوا: «خالطوهم بالبرانية، وظاهروهم بالجوانية، إذا كانت الإمرة صبيانية»[(١)].

ولقد كان الشيعة في مختلف فترات التاريخ موضع استغلال من الملاحدة والمستعمرين يسخرونهم في خدمة أغراضهم وتنفيذ مخططاتهم، وقد انضم رؤوس الزنادقة إلى ركب التشيع حتى يمكنهم الاستفادة من أولئك الرعاع، ولذا ذكر شيخ الإسلام «أن أكثر معتنقي التشيع لا يعتقدون دين الإسلام، إنما يتظاهرون بالتشيع لقلة عقل الشيعة وجهلهم ليتوسلوا بهم إلى أغراضهم»[(٢)].

وقد شهدت الوقائع والأحداث أن التشيع كان مأوى لكل من يريد الكيد للإسلام وأهله.

لقد وجدت طوائف من الفرس الذين قضى المسلمون على دولتهم في سبع سنين في التشيع ضالتهم المنشودة، كذلك وجد اليهود الفرصة سانحة لتحقيق أهدافهم عن طريق التشيع.

وإلى اليوم يتستر بالتشيع أعداء الإسلام والمتآمرون على أهله، وقد برزت أثناء الخلاف بين الفصائل الشيعية المنبثقة من الاثني عشرية «اعترافات» من القوم أنفسهم

---

(١) أصول الكافي: ٢/ ٢٢٠، و«البرانية» هي العلانية، و«الجوانية» هي السر والباطن. (هامش الكافي: ٢/ ٢٢٠-٢٢١).

(٢) انظر: منهاج السنة: ٢/ ٤٨.

تصدق هذا القول.. فقد نقل أحد الباحثين الشيعة بأن السفير الروسي في إيران - كنياز دكوركي كان يحضر دروس شيخهم الرشتي[(١)] صاحب الكشفية إحدى فرق الاثني عشرية، والتي يلقيها في كربلاء، باسم مستعار هو «الشيخ عيسى اللنكراني» وقد كشفت ذلك مجلة الشرق التي أصدرتها وزارة الخارجية الروسية (السوفياتية) لسنة ١٩٢٤-١٩٢٥م[(٢)].

كما كان الجنرال الانكليزي المتقاعد جعيفر علي خان (ويبدو أنه اتخذ هذا الاسم للتمويه) كان يتزيا بالزي الشيعي ويحضر هو الآخر دروس كاظم الرشتي[(٣)].

ويعلل الباحث الشيعي هذه الظاهرة بأن الأعداء كانوا على علم مسبق بأن سكان هذين القطرين - العراق وإيران - من المحبين لأهل البيت فجاؤوهم من الناحية العقائدية[(٤)]. فأشاعوا بينهم - كما يقول - من خلال المذهب الكشفي الغلو في الأئمة وجعلهم شركاء لله في خلقه ورزقه.. ونفي العقاب عن كل مرتكب معصية صغيرة كانت أو كبيرة[(٥)].

ثم يقول: «وهكذا وجد الاستعمار في هذه الديار العربية المسلمة أرضًا خصبة لغرس شجرة العقيدة الحنظلية»[(٦)].

وأقول: ومن قبل كان للاتجاه الصفوي دوره الخطير في بذر أصول الغلو على يد ثلة من شيوخ السوء أمثال المجلسي والجزائري والكاشاني وغيرهم.

---

(١) انظر: ترجمته في الأعلام للزركلي: ٦/ ٦٧، وانظر: أحسن الوديعة: ١/ ٧٢.
(٢) انظر: آل طعمة/ مدينة الحسين: ص٥٣.
(٣) آل طعمة/ مدينة الحسين: ص ٥٣.
(٤) آل طعمة/ مدينة الحسين: ص ٥٣.
(٥) آل طعمة/ مدينة الحسين: ص٥٤.
(٦) انظر: آل طعمة/ مدينة الحسين: ص ٥٤.

وهذا العدو الذي لبس ثوب التشيع زورًا، واندس في صفوف الشيعة قد يجد المكانة الرفيعة بينهم، كيف وعقيدتهم في الإجماع تجعل لقول الفئة المجهولة، ورأي الشخص المجهول الأحقية على غيره على احتمال أن يكون هذا المجهول هو المهدي[1].

هذا؛ ومن يتتبع أحداث التاريخ وينظر في الواقع يرَ أن الشيعة وراء كثير من الفتن التي حلت بالأمة، ذلك أنهم مع المسلمين في الظاهر، وهم من أعظم الأعداء لهم في الباطن، حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن أصل كل فتنة وبلية هم الشيعة، ومن انضوى إليهم، وكثير من السيوف التي سلت في الإسلام إنما كان من جهتهم، وبهم تسترت الزنادقة»[2].

ولأنهم يرون أن المسلمين أكفر من اليهود والنصارى، فهم يوالون أعداء الدين الذين يعرف كل أحد معاداتهم من اليهود والنصارى والمشركين، ويعادون أولياء الله الذين هم خيار أهل الدين وسادات المتقين[3].

يقول شيخ الإسلام: «فقد رأينا ورأى المسلمون أنه إذا ابتلي المسلمون بعدو كافر كانوا معه على المسلمين»[4].

---

(١) وهو لا يعدم حينئذ شيئًا من شهواته التي كان يمارسها قبل دخوله في الاتجاه الشيعي، فالشهوات الجنسية تتحقق له عن طريق المتعة والمتعة الدورية وعارية الفرج المقررة في شرعتهم، والتكاليف الشرعية قد تخف بجمع الصلوات.. وقد تسقط بحب آل البيت، والجهاد معطل حتى يخرج المنتظر، وإن وصل إلى مرحلة الآية والحجة والمرجعية فالذهب الرنان يبذل تحت قدميه باسم الخمس، والبابوية أو التقديس والتعظيم يناله باسم النيابة عن المنتظر.

فماذا يضيره حينئذ أن يندس في صفوفهم، ويعمل لقومه بين ظهرانيهم متسترًا بزي رجال الدين المتوشحين بالسواد عندهم، وقد ينتسب إلى العترة ليجد الحظوة.

(٢) منهاج السنة: ٣/ ٢٤٣.

(٣) منهاج السنة: ٤/ ١١٠.

(٤) منهاج السنة: ٣/ ٣٨.

فقد شهد الناس أنه لما دخل هولاكو ملك الكفار الترك الشام سنة ٦٥٨هـ؛ كانت الرافضة الذين كانوا بالشام من أعظم الناس أنصارًا وأعوانًا على إقامة ملكه وتنفيذ أمره في زوال ملك المسلمين، وهكذا يعرف الناس عامة وخاصة ما كان بالعراق لما قدم هولاكو وسفك فيها من الدماء ما لا يحصيه إلا الله، فكان وزير الخليفة ابن العلقمي والرافضة هم بطانته الذين عاونوه على ذلك بأنواع كثيرة باطنة وظاهرة يطول وصفها.

وقبل ذلك كانت إعانتهم لجد هولاكو جنكيز خان، فإن الرافضة أعانته على المسلمين.

وقد رآهم المسلمون بسواحل الشام وغيرها إذا اقتتل المسلمون والنصارى هواهم مع النصارى يناصرونهم بحسب الإمكان، ويكرهون فتح مدائنهم كما كرهوا فتح عكا وغيرها، ويختارون إدالتهم على المسلمين، حتى إنهم لما انكسر المسلمون سنة غازان[1] سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وخلت الشام من جيش المسلمين عاثوا في البلاد، وسعوا في أنواع من الفساد من القتل وأخذ الأموال، وحمل راية الصليب، وتفضيل النصارى على المسلمين وحمل السبي والأموال والسلاح من المسلمين إلى النصارى بقبرص وغيرها، فهذا وأمثاله قد عاينه الناس، وتواتر عند من لم يعاينه[2].

وقال: «وكذلك كانوا من أعظم الأسباب في استيلاء النصارى قديمًا على بيت المقدس حتى استنقذه المسلمون منهم»[3].

وقد كانت دولتهم مصدرًا للفتن والشرور ابتداء من دولة بني بويه التي انتظمت أصناف المذاهب المذمومة: قوم منهم زنادقة، وفيهم قرامطة كثيرة ومتفلسفة، ومعتزلة،

---

(١) هو أخو خدابنده، من أحفاد جنكيز خان ملك الترك الكفار المسمون بالتتار، أما الواقعة التي يشير إليها شيخ الإسلام فانظر تفاصيل أحداثها في: البداية والنهاية لابن كثير: ١٤/ ٦.

(٢) منهاج السنة: ٣/ ٢٤٤، وانظر: ص٣٨-٣٩ من نفس الجزء، وانظر: ج٤ ص١١٠-١١١، والمنتقى: ص ٣٢٩-٣٣٢، وتعليقات محب الدين الخطيب في هذا الموضوع.

(٣) منهج السنة: ٤/ ١١٠.

ورافضة[1].

وقد حصل لأهل الإسلام والسنة في أيامهم من الوهن ما لم يعرف، حتى استولى النصارى على ثغور الإسلام، وانتشرت القرامطة في أرض مصر والمغرب والمشرق وغير ذلك، وجرت حوادث كثيرة[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وانظر ما حصل لهم في دولة خدا بنده، كيف ظهر فيهم من الشر الذي لو دام وقوي لأبطلت به عامة شرائع الإسلام، لكن يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون»[3]، وكذلك كان الأمر أشد في الدولة الصفوية من بعد شيخ الإسلام.

وإلى اليوم يجري الأثر الرافضي في أرض المسلمين فسادًا من دولة الآيات في إيران، ومن منظماتهم في لبنان[4]، وفي خلاياهم في دول الخليج وغيرها.

ويذكر إحسان إلهي ظهير أن انفصال باكستان الشرقية كان وراءه الكيد الرافضي، حيث قال: «وهاهي باكستان الشرقية ذهبت ضحية بخيانة أحد أبناء «قزلباش» الشيعة يحيى خان في أيدي الهندوس»[5].

وقد عارض شيوخ الشيعة في باكستان تطبيق الشريعة الإسلامية[6]؛ لأنها تحد من

---

(١) وقد ظهرت في العراق وقسم من إيران سنة ٣٣٤، وانقرضت سنة ٤٣٧هـ، والاثنا عشرية تعدها من دولها. (انظر: الشيعة في التاريخ ص٩٨، والشيعة في الميزان: ص١٣٨-١٤٨).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤/ ٢٢.

(٣) منهاج السنة: ٣/ ٢٤٤.

(٤) انظر: أمل والمخيمات الفلسطينية للدكتور محمد الغريب.

(٥) الشيعة والسنة: ص١١.

(٦) انظر: مظالم الشيعة: ص ٩-١٠، وقد قال زعيم الشيعة مفتي جعفر حسين في مؤتمر صحفي بأن الشيعة يرفضون تطبيق الحدود الإسلامية؛ لأنها ستكون على مذهب أهل السنة!!! (الأنباء الكويتية في ١/ ٥/ ١٩٧٩م).

شهواتهم التي يمارسونها باسم المتعة، وتعاقبهم على جرائمهم التي يستسهلون ارتكابها بحجة أن حب علي لا تضر معه سيئة.

ويكفي للوقوف على شرورهم النظر في آثار الدولة الصفوية الغابرة(١)، والدولة الخمينية الحاضرة.

ففي الدولة الصفوية التي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي فرض التشيع الاثني عشري على الإيرانيين قسرًا، وجعل المذهب الرسمي لإيران.. وكان إسماعيل قاسيًا متعطشًا للدماء إلى حد لا يكاد يصدق(٢)، ويشيع عن نفسه أنه معصوم وليس بينه وبين المهدي فاصل، وأنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة الاثني عشر(٣).

ولقد تقلد سيفه وأعمله في أهل السنة، وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، فمن يسمع السب منهم يجب عليه أن يهتف قائلًا: «بيش باد كم باد»، هذه العبارة تعني في اللغة الآذربيجانية أن السامع يوافق على السب ويطلب المزيد منه، أما إذا امتنع السامع عن النطق بهذه العبارة قطعت رقبته حالًا، وقد أمر الشاه أن يعلن السب في الشوارع، والأسواق وعلى المنابر منذراً المعاندين بقطع رقابهم(٤)، وكان إذا فتح مدينة أرغم أهلها على اعتناق الرفض فورًا بقوة السلاح.

ويروى عنه أنه عندما فتح تبريز في بداية أمره وأراد فرض التشيع على أهلها بالقوة، أشار عليه بعض شيوخهم أن يتريث، لأن ثلثي سكان المدينة من أهل السنة، وأنهم لا

---

(١) استمر ملك الدولة الصفوية من سنة ٩٠٥ إلى سنة ١١٤٨هـ (مغنية/ الشيعة في الميزان: ص١٨٢).
(٢) علي الوردي/ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ص٥٦.
(٣) كامل مصطفى الشيبي/ الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري: ص٤١٣.
(٤) كامل مصطفى الشيبي/ الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري: ص٥٨.

يصبرون على سب الخلفاء الثلاثة على المنابر، ولكنه أجابهم: «إذا وجدت من الناس كلمة اعتراض شهرت سيفي بعون الله فلا أبقي منهم أحدًا حيًّا»[(1)].

ومن ناحية أخرى اتخذ مسألة قتل الحسين وسيلة للتأثير النفسي، بالإضافة إلى أسلوب التهديد والإرهاب، فأمر بتنظيم الاحتفال بذكر مقتل الحسين على النحو الذي يتبع الآن عندهم[(2)]، وأضاف إليه فيما يقال مجالس التعزية.

وهي التي يسمونها الآن «الشبيه» ويجرى فيها تمثيل مقتل الحسين.. فكان لهذا أثره على أولئك الأعاجم حتى رأى بعضهم أنه من أهم العوامل في نشر التشيع في إيران، لأن ما فيه من مظاهر الحزن والبكاء وما يصاحبه من كثرة الأعلام ودق الطبول وغيرهما يؤدي إلى تغلغل العقيدة في أعماق النفس والضرب على أوتارها الكامنة[(3)].

ولقد آزر شيوخ الروافض سلاطين الصفويين في الأخذ بالتشيع إلى مراحل من الغلو، وفرض ذلك على مسلمي إيران بقوة الحديد والنار.

وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ شيخهم علي الكركي[(4)]، الذي يلقبه الشيعة بالمحقق الثاني الذي قربه الشاه طهماسب، ابن الشاه إسماعيل وجعله الآمر المطاع في الدولة، فاستحدث هذا الكركي بدعًا جديدة في التشيع، فكان منها: «التربة التي يسجد عليها الشيعة الآن في صلواتهم، وقد ألف فيها رسالة سنة (٩٣٣هـ)[(5)]، كما ألف رسالة في

---

(١) كامل مصطفى الشيبي/ الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري: ص٥٨، وانظر: تاريخ الصفويين: ص٥٥.

(٢) الشيبي/ الفكر الشيعي: ص٤١٥.

(٣) الوردي/ لمحات اجتماعية: ص٥٩.

(٤) علي بن هلال الكركي، هلك سنة (٩٤٨هـ).

(٥) الفكر الشيعي: ص٤١٦ عن ترجمته في روضات الجنات ص٤٠٤.

تجويز السجود للعبد[١]، وذلك مسايرة للسلطان إسماعيل الصفوي الذي كان يغلو فيه أصحابه حتى إنهم يعبدونه ويسجدون له[٢].

وكانت بدعه الكثيرة في المذهب الشيعي داعية للمصنفين من غير الشيعة إلى تلقيبه بمخترع الشيعة[٣]، وقد ألف رسالة في لعن الشيخين - رضي الله عنهما - سماها «نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت»[٤].

ويقال: إنه هو الذي شرع السب في المساجد أيام الجمع[٥].

كذلك كان من شيوخ الدولة الصفوية المجلسي، والذي شارك السلطة في التأثير على المسلمين في إيران حتى يقال بأن كتابه «حق اليقين» كان سببًا في تشيع سبعين ألف سني من الإيرانيين»[٦].

والأقرب أن هذا من مبالغات الشيعة، فإن الرفض في إيران لم يجد مكانه إلا بالقوة والإرهاب، لا بالفكر والإقناع.

ثم نشأ الجيل اللاحق في جو المآتم الحسينية السنوية التي طورها الصفويون ليمتلئ الناشئ بتأثيرها حقدًا وغيظًا حتى لا يكاد يستمع بسبب ذلك إلى حجة أو برهان.

وكان لكتاب المجلسي «بحار الأنوار» أثره في إشاعة الغلو بين الشيعة، حيث «جاء

---

(١) لمحات اجتماعية: ص٦٣.

(٢) ولذا قال الحيدري بأن إسماعيل خرج عن جادة الرفض، وادعى الربوبية، وكان يسجد له عسكره (عنوان المجد: ص١١٦-١١٧).

(٣) النواقض/ الورقة: ٩٨ب.

(٤) الفكر الشيعي: ص٤١٦.

(٥) الفكر الشيعي: ص٤١٦.

(٦) دونلد سن/ عقيدة الشيعة: ص٣٠٢.

قراء التعزية، وخطباء المنابر فصاروا يأخذون منه ما يروق لهم وبذا ملؤوا أذهان العامة بالغلو والخرافة».

وقد كان هذا الكتاب من أوائل المؤلفات التي طبعت على نطاق واسع في العهد القاجاري، وقد وردت منه إلى العراق نسخ كثيرة مما أدى إلى انتشار معلوماته الغثة في أوساط الشعب العراقي على منوال ما حدث في إيران[١].

كذلك لا ينسى الجانب الآخر من أثر الدولة الصفوية، وذلك في حروبها لدولة الخلافة الإسلامية، وتعاونها مع الأعداء من البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين، وتشجيعها لبناء الكنائس ودخول المبشرين والقسس، مع محاربتهم للسنة وأهلها[٢].

ثم ما نراه اليوم من أثر الدولة الخمينية وخلاياها على الأمة ابتداء من حربهم لأهل العراق سنة وشيعة، وإصرارهم على استمرار الحرب على مدى ثماني سنوات إلى إيقاعهم القتل العام والإبادة الجماعية لأهلنا في الشام والعراق واليمن بواسطة عملائهم وخلاياهم.

» ثالثًا: المجال الاجتماعي:

الشيعة يعيشون مع المسلمين، ويحملون الهوية الإسلامية، ولا يوجد تمييز لهم عن غيرهم، والأصل في علاقة المسلمين الحب والمودة والتكافل والإيثار.

والإسلام أرسى دعائم الود بين المسلم وأخيه، وقدم جيل الصحابة رضوان الله عليهم أعظم صور المحبة والوفاء امتثالًا لهدي القرآن والسنة، ولا شك في أن صورة التلاحم تلك كانت هدفًا من أهداف العدو المتربص بالأمة.

---

(١) لمحات اجتماعية: ص٧٧-٧٨.

(٢) انظر تفاصيل ذلك في: تاريخ الصفويين ص٩٣ وما بعدها، وانظر: حاضر العالم الإسلامي للدكتور جميل المصري: ص١١٧.

وكانت مؤامراته في تقويض البناء المتماسك كثيرة، فقد اندس هؤلاء في التشيع وأعملوا من خلاله الهدم والتخريب لهذا الأساس المتين في المجتمع الإسلامي.

ولهذا كان من الشائع والمستفيض أن علاقة الشيعي مع غيره مبنية على حب الإيذاء بأي وسيلة، واتخاذ ذلك قربة عند الله.

وأن إضمار العداء والكره من صفاتهم.

وأن عدم الوفاء ومراعاة الحقوق من طبيعتهم.

وأن الغدر والخيانة والمكر والخديعة من أعمالهم المعروفة عنهم، والتي تصل إلى حد القتل.

قال شيخ الإسلام: «وأما الرافضي فلا يعاشر أحدًا إلا استعمل معه النفاق؛ فإن دينه الذي في قلبه دين فاسد يحمله على الكذب والخيانة، وغش الناس، وإرادة السوء بهم، فهو لا يألوهم خبالًا ولا يترك شرًّا يقدر عليه إلا فعله بهم، وهو ممقوت عند من لا يعرفه، وإن لم يعرف أنه رافضي، تظهر على وجهه سيما النفاق وفي لحن القول، ولهذا تجده ينافق ضعفاء الناس ومن لا حاجة به إليه؛ لما في قلبه من النفاق الذي يضعف قلبه..»[(١)].

وقد قدّم العلامة الشوكاني مشاهدات شخصية من خلال معايشته للرافضة في اليمن، وكشف من خلال ذلك أموراً عجيبة، وأكد أنه «لا أمانة لرافضي قط على من يخالفه في مذهبه ويدين بغير الرفض، بل يستحل ماله ودمه عند أدنى فرصة تلوح له؛ لأنه عنده مباح الدم والمال، وكل ما يظهره من المودة فهو تقية يذهب أثره بمجرد إمكان الفرصة»[(٢)].

---

(١) منهاج السنة: ٣/ ٢٦٠.
(٢) أدب الطلب: ص٧٠-٧١.

وبيّن حقيقة ذلك بالتجربة العملية مع هذه الطائفة فقال: «وقد جربنا هذا تجريبًا كثيرًا فلم نجد رافضيًّا يخلص المودة لغير رافضي، وإن آثره بجميع ما يملكه، وكان له بمنزلة الخول، وتودد إليه بكل ممكن، ولم نجد في مذهب من المذاهب المبتدعة ولا غيرها ما نجده عند هؤلاء من العداوة لمن خالفهم، ثم لم نجد عند أحد ما نجد عندهم من التجري على شتم الأعراض المحترمة، فإنه يلعن أقبح اللعن، ويسب أفظع السب كل من تجري بينه وبينه أدنى خصومة وأحقر جدال، وأقل اختلاف، ولعل سبب هذا - والله أعلم - أنهم لما تجرّؤوا على سب السلف الصالح هان عليهم سب من عداهم، ولا جرم، فكل شديد ذنب يهون ما دونه»[1].

وقد أشار الشوكاني - رحمه الله - إلى أنهم لا يتورعون من اقتراف أي جريمة في المجتمع الإسلامي، ولا يتنزهون عن فعل أي محرم، فقال: «وقد جربنا وجرب من قبلنا فلم يجدوا رجلًا رافضيًّا يتنزه عن محرمات الدين كائناً من كان ولا تغترَّ بالظواهر؛ فإن الرجل قد يترك المعصية في الملأ ويكون أعف الناس عنها في الظاهر، وهو إذا أمكنته فرصة انتهزها انتهاز من لا يخاف نارًا ولا يرجو جنة».

ثم استشهد على ذلك ببعض مشاهداته الشخصية فقال: «وقد رأيت منهم من كان مؤذنًا ملازمًا للجماعات فانكشف سارقًا، وآخر كان يؤم الناس في بعض مساجد صنعاء، وله سمت حسن وهدي عجيب وملازمة للطاعة، وكنت أكثر التعجب منه كيف يكون مثله رافضيًّا ثم سمعت بعد ذلك عنه بأمور تقشعر لها الجلود وترجف منها القلوب».

ثم ذكر رجلًا ثالثًا كان به رفض يسير، ثم تطور به الرفض حتى ألَّف في مثالب جماعة من الصحابة. قال الشوكاني: «وكنت أعرف عنه في مبادئ أمره صلابة وعفة، فقلت: إذا

(١) أدب الطلب: ص٧١.

كان ولابد من رافضي عفيف فهذا، ثم سمعت عنه بفواقر، نسأل الله الستر والسلامة»[١].

ثم قال - رحمه الله -: «وأما وثوب هذه الطائفة على أموال اليتامى والمستضعفين ومن يقدرون على ظلمه كائناً من كان فلا يحتاج إلى برهان، بل يكفي مدعيه إحالة منكره على الاستقرار والتتبع فإنه سيظفر عند ذلك بصحة ما ذكرناه»[٢].

هذه «مشاهدات» مهمة سجلها الشوكاني، وبيّن كيف يفعل «الرفض» بصاحبه وأثر ذلك في علاقته مع المسلمين، لأنه يقيم مع هذه «الفئة» من الرافضة في اليمن، والتي خرجت من نطاق الزيدية إلى الرفض كما هو معروف عن الجارودية[٣].

هذه الشهادة من الشوكاني قد يقول قائل: إنها من خصم للرافضة، فلا تؤخذ عليهم، والحقيقة أن أهل السنة أعدل وأنصف وأتقى من الوقوع في ظلم هذه الطوائف والكذب عليها، كما أثبتت ذلك الوقائع «بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض، وهذا ما يعترفون هم به ويقولون: أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضًا»[٤].

وقد وقفت على نص مهم في الكافي للكليني يشهد لكلام الشوكاني ويعترف بصدق ما قاله، والاعتراف سيد الأدلة.. ويبيّن طبيعة الرافضي في علاقاته مع الناس.

جاء في الكافي أن أحد الشيعة ويسمى عبد الله بن كيسان قال لإمامهم: «إني.. نشأت في أرض فارس، وإنني أخالط الناس في التجارات وغير ذلك، فأخالط الرجل فأرى له

---

(١) أدب الطلب: ص٧٣.
(٢) أدب الطلب: ص٧٤.
(٣) الزيدية الجارودية: هي وإن تسمت بالزيدية فهي رافضة تكفر صحابة رسول الله ﷺ. ولذلك فإن شيخ الإمامية «المفيد» في كتابه «أوائل المقالات» أخرج الزيدية من دائرة التشيع واستثنى منهم «الجارودية» لأنهم على مذهبه.
(٤) منهاج السنة: ٣/ ٣٩.

حسن السمت[1]، وحسن الخلق، وكثرة أمانة، ثم أفتشه فأتبينه من عداوتكم (يعني من أهل السنة)، وأخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانة وزعارة[2] ثم أفتشه فأتبينه عن ولايتكم»[3].

فهذه الرواية تعترف لأهل السنة بحسن الخلق، وكثرة الأمانة وحسن السمت، بينما تصف الرافضة بضد هذه الأوصاف.

وفي خبر آخر في الكافي أن رجلًا شكا لإمامه ما يجده في أصحابه من الرافضة من «النزق والحدّة والطيش» وأنه يغتم لذلك غمًّا شديدًا، بينما يرى من خالفهم من أهل السنة حسن السمت، قال إمامهم: لا تقل حسن السمت، فإن السمت سمت الطريق[4]، ولكن قل: حسن السيما؛ فإن الله عز وجل يقول: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح ٢٩] قال: قلت: فأراه حسن السيما وله وقار فأغتم لذلك[5].

وهذا شيعي ثالث يقال له: عبد الله بن أبي يعفور، لا ينقضي عجبه من ذلك البون الواسع بين أخلاق أهل السنة وبين خلق شيعته.. ويرفع ذلك لإمامه فيقول: «إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلانًا وفلانًا [6] لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم (يعني الرافضة) ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق،

---

(١) هيئة أهل الخير/ هامش الكافي: ٢/ ٤.

(٢) الزعارة: سوء الخلق، وفي بعض النسخ (للكافي) الدعارة: وهو الفساد والفسوق والخبث.

(٣) أصول الكافي: ٢/ ٤، تفسير نور الثقلين: ٤/ ٤٧.

(٤) من المعلوم في اللغة أن السمت يطلق على الوقار والهيئة، كما يطلق على الطريق. قال في المصباح: «السمت الطريق، والقصد، والسكينة والوقار والهيئة».

(٥) أصول الكافي: ٢/ ١١، وقد كان جواب إمامهم على هذه الشكاوى بالاعتراف بها وتعليلها بطبيعة الطينة التي خلق منها كل فريق.

وهو يؤكد الأمر ولا ينفيه. وانظر ما سبق في عقيدتهم في الطينة: ص(٩٥٦) وما بعدها.

(٦) المراد بفلان وفلان أبو بكر وعمر، كما قاله شراح الكافي، وهذا إشارة لأهل السنة.

قال: فاستوى أبو عبد الله جالسًا فأقبل عليّ كالغضبان، ثم قال: لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله. قلت: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء. قال: نعم»[(١)].

وهذا الجواب الذي ينفي العتب والذم عنهم، وإن اقترفوا الموبقات هو الذي أدى بهم إلى هذا الدرك الهابط من التعامل والتساهل في ارتكاب المنكرات، لأن الدين عندهم «ولاية الإمام» وحب علي حسنة لا يضر معها سيئة، وما لم يصلح هذا الأساس فستبقى هذه «الخصيصة فيهم».

ومن الملاحظ أن كتبهم تقرر مبدأ الغيلة، وتصفية الخصوم بهذا الأسلوب، ولا تشترط في الأمر بهذه الجريمة إلا أن يأمن الشيعي الضرر على نفسه.

تقول كتب الشيعة: عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في قتل الناصب؟ فقال: «حلال الدم، ولكن أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً، أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل»[(٢)].

وفي رجال الكشي يحكي أحد الشيعة لإمامه كيف استطاع أن يقتل مجموعة من مخالفيه فيقول: «منهم من كنت أصعد سطحه بسلّم حتى أقتله، ومنهم من دعوته بالليل على بابه فإذا خرج عليّ قتلته، ومنهم من كنت أصحبه في الطريق فإذا خلا لي قتلته»[(٣)]، وذكر أنه قتل بهذه الطريقة ثلاثة عشر مسلمًا، لأنه يزعم أنهم يتبرؤون من علي[(٤)].

---

(١) أصول الكافي: ١/ ٣٧٥.

(٢) ابن بابويه/ علل الشرائع: ص٢٠٠، الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ١٨/ ٤٦٣، المجلسي/ بحار الأنوار: ٢٧/ ٢٣١.

(٣) رجال الكشي: ص٣٤٢-٣٤٣.

(٤) رجال الكشي: ص٣٤٢-٣٤٣.

ويقول شيخهم نعمة الله الجزائري: إنه في أخبارهم «أن عليّ بن يقطين [1] وهو وزير الرشيد قد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين، فأمر غلمانه وهدموا أسقف المحبس على المحبوسين فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل تقريباً، فأراد الخلاص من تبعات دمائهم، فأرسل إلى الإمام مولانا الكاظم (ع) فكتب إليه جواب كتابه بأنك لو كنت تقدمت إليّ قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم. وحيث إنك لم تتقدم إليّ فكفر عن كل رجل قتلت منهم بتيس، والتيس [2] خير منه» [3].

وإمامه هنا يقره على قتل خمسمائة مسلم لمجرد أنهم ليسوا بروافض، ويأمره بالتكفير بتيس، لأنه لم يستأذنه قبل ذلك.. فالشيعي إذا استأذن إمامه أو نائبه وهو الفقيه فليفعل كما يريد، وإن لم يستأذن فالأمر لا يعدو ذبح تيس.

وقد علق شيخهم الجزائري على دية التيس بقوله: «فانظر إلى هذه الدية الجزيلة التي لا تعادل دية أخيهم الأصغر وهو كلب الصيد، فإن ديته عشرون درهماً، ولا دية أخيهم الأكبر وهو اليهودي أو المجوسي، فإنهما ثمانمأة - كذا - درهم، وحالهم في الآخرة أخس وأنجس» [4].

وهذا قول من الشناعة بمكان، ولا يحتاج إلى تعليق فهو ينطق بنفسه على حقدهم على أهل السنة، وأنهم أكفر عندهم من المجوس.

فانظر كيف يعيشون وسط المسلمين وهم يتحينون أدنى فرصة للقتل، وهذه اعترافاتهم تشهد بآثارهم السوداء.

---

(١) وقد وصفه الجزائري بأنه من خواص الشيعة (الأنوار النعمانية: ٢/ ٣٠٨) وقد ذكر الطبري أنه قتل على الزندقة.

(٢) التيس: ذكر المعز.

(٣) الأنوار النعمانية: ٢/ ٣٠٨.

(٤) الأنوار النعمانية: ٢/ ٣٠٨.

المبحث التاسع: منهج التصدي للغزو الباطني

سبق نشر هذا المبحث مفردًا في مجلة البيان، عدد: ٣٤٩، ١٤٣٧هـ.



وهو يقوم على أصلين:

الأول: التحصين الذاتي للأمة ببيان السنة ونشرها، والتحذير من البدعة وفضحها.

والثاني: مواجهة البدعة والمبتدعين بالوسائل الشرعية المناسبة للحال والزمان والمكان.

أما الأول فإن خير سبيل لمقاومة البدعة ودرء الفرقة هو نشر السنة بين الناس، وبيان ضلال الخارجين عنها، ولذلك نهض أئمة السنة بهذا الأمر كما فعل الإمام أحمد في «الرد على الزنادقة والجهمية»، والإمام البخاري في «الرد على الجهمية»، وابن قتيبة في «الرد على الجهمية والمشبهة»، والدارمي في «الرد على بشر المريسي»، وشيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على الرافضة والجهمية وغيرهم.

وأما الثاني فإنه لابد عند مواجهة المبتدعة من التعامل مع تيار الابتداع وفق أصول السياسة الشرعية، وعلى حسب نوع البدعة وانتشارها وقوة أهل السنة وضعفهم، ففرق بين ما يجب على أهل السنة في إيران أمام ركام هائل من الرفض، وحشد متآمر من الروافض حيث الدولة للرافضة والقوة معهم، وما يجب على أهل السنة في مصر والمغرب والسعودية وغيرها إزاء الوجود الرافضي، قال ابن أبي العز: «وأما ما يجب على أعيانهم [يعني كل واحد بعينه]: فهذا يتنوع بتنوع قُدَرهم، وحاجتهم، ومعرفتهم، وما أمر به أعيانهم، ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص، وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدث والحاكم ما لا يجب على من ليس كذلك»(٥).

ولابد من مراعاة العدل والإنصاف مع المخالفين، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]؛ فإن «الكلام في الناس - كما

---

(٥) «شرح الطحاوية» (١/ ٧).

يقول ابن تيمية - يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم، كحال أهل البدع»[1]، وقال أيضًا: «ولما كان أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل، كان كلام أهل الإسلام والسنة مع الكفار وأهل البدع بالعلم والعدل لا بالظن، وما تهوى الأنفس»[2].

« المنهج الشرعي في مواجهة المبتدعة:

المنهج الأمثل في التعامل معهم إنما يتلقى من النصوص العامة في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، وكذلك الرجوع إلى هدي الصحابة والتابعين والأئمة في تعاملهم مع البدع والمبتدعة، ويأتي في مقدمتها هدي الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كما يمكن أن يستفاد من الوقائع التاريخية والتي يأتي في مقدمتها واقعة ابن عباس رضي الله عنه مع الخوارج حيث استطاع بعد مناظرتهم ومحاورتهم إرجاع طائفة كبيرة منهم إلى السنة والجماعة[3].

والروافض وإن اختلفوا عن الخوارج في منشأ الضلال، لأن الخوارج أُتوا من سوء فهمهم، حيث يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، أما الروافض فمنشأ ضلالهم سوء قصدهم، ومع ذلك فإن الحق إذا جاء على الباطل فلا يلبث الباطل أن يكون زهوقًا.

والوقائع كثيرة في ذلك، في المجال الفردي والجماعي، وتأتي في مقدمتها التجربة المثلى التي استطاع بها المجاهد صلاح الدين إزالة الوجود الرافضي من أرض الكنانة، لا بالقوة كما فعل الصفويون بأهل السنة في إيران، بل بالحجة والإقناع؛ لأن ظلمة الباطل سرعان

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٣٣٧).

(٢) الجواب الصحيح لابن تيمية (١/ ١٠٧).

(٣) انظر قصة مناظرة ابن عباس للخوارج في: «السنن الكبرى» للنسائي برقم (٨٥٢٢)، وروى عبد الرزاق في «المصنف» برقم (١٨٦٧٨)، والطبراني في «الكبير» برقم (١٠٥٩٨) أن عددهم كان أربعة وعشرين ألفًا، رجع منهم عشرون ألفًا.

ما تنجلي بنور الحق ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

ولعل من المناسب أن يستشهد في مجال التعامل مع الوجود الرافضي المتزايد في الدول الإسلامية بفتوى مهمة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولم أجد من نبه عليها وأشار لها مع أهميتها؛ لأنها تمثل منهجًا دعويًّا فريدًا من جهة، ومن جهة أخرى تبين عدل أئمة السنة مع مخالفيهم مهما جاروا وظلموا واعتدَوا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد علم أنه كان بساحل الشام جبل كبير، فيه ألوف من الرافضة يسفكون دماء الناس، ويأخذون أموالهم، وقتلوا خلقًا عظيمًا وأخذوا أموالهم، ولما انكسر المسلمون سنة غازان[1]، أخذوا الخيل والسلاح والأسرى، وباعوهم للكفار النصارى بقبرص، وأخذوا من مر بهم من الجند، وكانوا أضرَّ على المسلمين من جميع الأعداء، وحمل بعض أمرائهم راية النصارى، وقالوا له: أيهما خير: المسلمون أو النصارى؟ فقال: بل النصارى. فقالوا له: مع من تحشر يوم القيامة؟ فقال: مع النصارى. وسلموا إليهم بعض بلاد المسلمين. ومع هذا فلما استشار بعض ولاة الأمر في غزوهم، وكتبت جوابًا مبسوطًا في غزوهم، وذهبنا إلى ناحيتهم وحضر عندي جماعة منهم، وجرت بيني وبينهم مناظرات ومفاوضات يطول وصفها، فلما فتح المسلمون بلدهم، وتمكن المسلمون منهم، نهيتهم عن قتلهم وعن سبيهم، وأنزلناهم في بلاد المسلمين متفرقين لئلا يجتمعوا»[2].

فتأمل عدل أهل السنة مع الرافضة، حيث نهى شيخ الإسلام السلطان عن قتلهم، وتأمل حرصه وحبه لهدايتهم، فأشار على السلطان بتفريقهم بين المسلمين، ومنع اجتماعهم في مكان واحد.

---

(١) هو أخو خدابنده، من أحفاد جنكيز خان ملك الترك الكفار المسمون بالتتار، أما الواقعة التي يشير إليها شيخ الإسلام فانظر تفاصيل أحداثها في (البداية والنهاية لابن كثير ١٤/ ٦).

(٢) انظر: «منهاج السنة» (٥/ ١٦٠).

نحتاج اليوم إلى إستراتيجية دعوية لإنقاذ الشيعة من كيد الملالي، وإرجاعهم إلى السنة، وصرفهم عن مصادر أهل الضلال والزندقة، والتي سماها الإمام الشيعي المهتدي آية الله البرقعي أصنامًا، وطالب بكسرها، وبدأ بكبيرها وأسس ضلالها الذي علمهم الكفر والزندقة، وهو كتابهم «الكافي»، كما نادى الإمام الشيعي المهتدي الآخر موسى الموسوي عموم الشيعة قائلًا: «يا شيعة العالم استيقظوا»، ثم أطلق صيحة النذير في كتابه «الصرخة الكبرى».

وتفصيل القول في هذا المنهج لا يحتمل المقام ذكره، ولكني أوجز القول في أهم أصوله ووسائله من خلال ما يلي:

» أولاً: دعوتهم إلى التوحيد:

لذا فإنه يتعين الأخذ بمنهج الرسل - عليهم الصلاة والسلام - في دعوتهم لأممهم، فقد كان أول دعوة الرسل ومفتتح رسالتهم هو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٥٩]، وقال هود - عليه السلام - لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وهذا هو الأصل العظيم الذي تقوم عليه جميع رسالات الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال ابن أبي العز الحنفي: «اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل»[١].

» ثانيًا: الدعوة إلى رجوعهم إلى مصادر التلقي لدى الأمة:

أخطر ما يفصل شيعة اليوم عن الدين الحق هو مصادر التلقي التي يسمونها «صحاح

---

(١) «شرح الطحاوية» (١/ ٢١).

الإمامية» كما سماها أحد شيوخهم[١]، أو «سنة المعصومين» وفق ما نص عليه الدستور الإيراني[٢]، وقد سماها شيخهم المظفر باللغز الذي يحتاج إلى بحث عن حل له وفك لرموزه[٣]، وسماها الإمام البرقعي بالأصنام التي تعبد من دون الله، فرأى أن أول مراحل هدايتهم هو كسر هذه الأصنام، وبدأ بكسر أصلها وأساسها وأهمها لديهم، وهو «الكافي»، وذلك في كتابه «كسر الصنم».

وهذه المرحلة في غاية الأهمية، وقد فصلت القول فيها في «مسألة التقريب»[٤].

وملخص القول فيها يقوم على أصلين:

الأصل الأول: كشف حقيقة مصادرهم في التلقي، ويقوم على ثلاث ركائز في غاية الأهمية، وهي: أولاً: كشف حقيقة أسانيدها الموضوعة، وثانيًا: بيان حال رجالهم ومصنفي كتبهم، وثالثًا: دراسة متونها لبيان تناقضها ومخالفتها للمعقول والمنقول والأمور المعلومة بالضرورة والمتفق عليها.

الأصل الثاني: بيان عظمة مصادر السنة وعدالة رواتها والدعوة إلى اتباعها، فهي سبيل النجاة وطريق الهداية، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض»[٥].

---

(١) «منهاج عملي للتقريب» مقال للرافضي محمد الحائري ضمن كتاب الوحدة الإسلامية (ص٢٣٣)، ونشر في مجلة رسالة الإسلام في القاهرة.

(٢) «الدستور الإيراني» (ص١٥-١٦).

(٣) مجلة «الرسالة» مجلد ٣، (ص١٦١٤) بعنوان «السنيون والشيعة وموقفهما اليوم»، محمد رضا المظفر.

(٤) انظر: «مسألة التقريب» (٢/ ٢٥٣).

(٥) أخرجه الدارقطني ح(٤٦٠٦)، والحاكم في «المستدرك» ح(٣١٩)، وحسنه الألباني (منزلة السنة ص١٣).

» ثالثًا: الاحتجاج عليهم بالبراهين العقلية والأدلة المتفق عليها:

إقامة الحجة عليهم بالبراهين العقلية، والأدلة المعلومة الضرورية المتفق عليها، وقد سلك شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المنهج، وبينه بقوله: «نقدِّر أن الأخبار المتنازعَ فيها لم توجد، أو لم يُعلم أيها الصحيح، ونترك الاستدلال بها في الطرفين، ونرجع إلى ما هو معلوم بغير ذلك من التواتر، وما يُعلم من العقول والعادات، وما دلت عليه النصوص المتفق عليها»[(١)]، وقال أيضًا: «فإن تركوا الرواية رأسًا أمكن أن نترك الرواية»[(٢)]، يعني: ونرجع إلى القرآن، ثم بيَّن بطلان أصل مذهبهم بصريح القرآن.

وفي مؤتمر النجف أقر شيوخ الشيعة جميعًا بالحق لما أقام عليهم الحجة علامة العراق عبد الله السويدي وذلك أمام الملك نادر شاه في القرن الثاني عشر، وفي مصر عاد الناس إلى السنة أفواجًا بعد قرابة ثلاثة قرون من حكم الروافض بتأثير العلماء، ووقفة صلاح الدين الأيوبي[(٣)].

» رابعًا: بيان الحق لهم دون التعرض لمذهبهم (إذا اقتضت المصلحة ذلك):

فإذا بين الحق عرف الباطل، وإذا قرر التوحيد وأدلته عرف الشرك وبطلانه، وإذا نشرت فضائل الصحابة ومناقبهم ومآثرهم واجتهادهم وجهادهم ومحاسنهم وتاريخهم المشرق، وما لهم من الحقوق يتبين لكل عاقل بأنه لا يقع فيهم أو في أحدهم إلا زنديق، وإذا ذكرت أصول الإيمان وأركان الإسلام يتبين أن من جاء بأصل من عنده أو بركن زائد تقليدًا لشيخه فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وبه يتقرر بطلان ما يدعون من أن أصل الدين هو الإمامة والأئمة... وهكذا.

---

(١) «المصدر السابق» (٧/ ٤٤٩).

(٢) «المصدر السابق» (١/ ١٠٧).

(٣) وأذكر أنني التقيت بأحد مثقفي الشيعة ووجهت إليه مجموعة من الأسئلة والإيرادات انتهى به الأمر إلى أن اغرورقت عيناه بالدموع، وقال في النهاية: «ما حال أبي وأمي؟» وقد التقيت بأحد علمائهم في مكة، وجرى بيني وبينه حوار انتهى بإذعانه للحق، والشواهد في ذلك كثيرة.

فإن بيان الحق لهم يتضمن أو يستلزم إبطال مذهبهم، وهذا كافٍ في بيان الحق لهم وكشف باطلهم، ولا سيما أن الملالي يوهمون أتباعهم بأن المساس بمذهبهم هو طعن في أئمتهم، وقد يحتاج الداعية للحق إلى الاقتصار على هذا المسلك، ولا سيما في المجتمعات ذات الأكثرية الشيعية، وقد يكون التلميح أبلغ من التصريح.

فإذا بين لهؤلاء الرافضة الحق عرفوا حينئذ ما هم عليه من باطل، وبضدها تتميز الأشياء، والضد يُظهر حسنَه الضد.

ويمكن أن يستدل على مشروعية هذا المنهج بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل:١٠٨]، وكما يدل عليه حديث معاذ حين بعثه الرسول ﷺ إلى اليمن[1] بأنه سيأتي قومًا من أهل الكتاب، ثم بين منهج دعوتهم والتدرج في بيان الحق لهم، لكنه لم يأمره بمهاجمة ديانتهم، بل أمره بدعوتهم إلى التوحيد أولًا، ثم إلى بقية أركان الإسلام.

وقد حدثني العلامة الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله - في منزله فقال: كنت في البقيع ورأيت ما يفعله (الشيعة) حول القبور فاتجهت إلى دليلهم كما يعبر الشيخ، وقلت له: ألا تنهى هؤلاء عن هذه الأعمال التي توقعهم بالشرك بالله - عزَّ وجل -؟!، فردَّ عليَّ قائلًا: هؤلاء عوام، والعوام لا يفهمون.

يقول الشيخ: في هذه الأثناء استوقفني أحد كبار علماء إيران ليس في العلم الشرعي ولكن في غيره، فقال لي: يا شيخ (قلت له: أيعرف أنك ابن عثيمين؟ قال: نعم)، هؤلاء (يعني الملالي) قبل الثورة ليس لهم أي قيمة، وعموم الناس اليوم ولا سيما طبقة المثقفين غير مقتنعين بما يقولون، ثم قال: والله يا شيخ لو وُجِّهت إليهم إذاعة بالفارسية تبين الحق للناس، ولا تهاجم المذهب لما بقي على مذهبهم أحد.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

ثم طلبت من الشيخ في جلسة أخرى أن يعيدها عليَّ، وقلت له: سأرويها عنك، فأعادها عليَّ دون قوله: «ولا تهاجم المذهب».

» خامسًا: محاورتهم في الأصول دون الفروع:

من الأخطاء الشائعة انشغال بعض المهتمين بأمر التشيع بالردود على شبهات الروافض حول الصحابة، وهذا حرب في غير ميدان، وسقوط في الخديعة الرافضية الكبرى، ذلك أن من الحقائق الثابتة في دين الرافضة أن الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان ﵃ وكذلك الصحابة الذين بايعوهم وترضوا عنهم لو كانوا في عصمة من كل خطأ، وسلامة من كل ظلم، وحفظ من كل ذنب، لم يكونوا في اعتقاد الرافضة إلا كافرين ومرتدين لسبب واحد عليه مدار الإيمان والكفر عندهم وهو إمامة الاثني عشر، والكفر بمن سواهم، فإياك ثم إياك أن تشغل نفسك بالرد على ما ينسبونه من أخطاء لبعض الصحابة ومطاعن كعثمان ومعاوية وغيرهما من الصحابة والخلفاء والحكام والعلماء، فإن هؤلاء لو لم يقعوا في هذه الأخطاء المنسوبة لهم (حقًّا أو باطلًا) فلا يشفع لهم ذلك عند الروافض حتى يؤمنوا بالإمامة، وفي عصرنا بولاية الفقيه، فقد رووا عن علي ﵁ عن رسول الله ﷺ عن جبرائيل عن الله عز وجل قال: «وعزتي وجلالي لأعذبن كل رعية في الإسلام دانت بولاية إمام جائر ليس من الله عز وجل، وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفون عن كل رعية دانت بولاية إمام عادل من الله تعالى، وإن كانت الرعية في أعمالها طالحة سيئة»[1].

وما يقال عن الخلفاء والصحابة يقال في موقف الروافض من خلفاء بني أمية وبني العباس وسائر حكام المسلمين إلى أن تقوم الساعة، ومن بايعهم ويبايعهم ويرضى بحكمهم ويدين بطاعتهم من عموم المسلمين الذين بايعوا خلفاء وحكام زمانهم.

---

(١) «الغيبة» للنعماني (ص٨٣)، «بحار الأنوار» (٢٧/ ٢٠١).

وقد تنبه إلى هذه الحقيقة المهمة القاضي عبد الجبار فقال: «وكثيرًا تسأل الإمامية عما كان من عثمان في تولية أقاربه وغير ذلك، وفي سير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، وما ذاك إلا لضعفهم وانقطاعهم؛ لأن عثمان لو لم يولِّ أقاربه ولم يصنع ما صنع لكان كافرًا مشركًا عندهم بادعائه الإمامة لنفسه ولأبي بكر وعمر، ولو كان طلحة والزبير وعائشة في عسكر أمير المؤمنين وفي المحاربين معه ما كانوا إلا مشركين باعتقادهم إمامة أبي بكر وعمر وعثمان، فمن يكلم الإمامية في إثارتهم لهذه المسائل كمن يكلم اليهود في وجوب النية في الطهارة، أو يكلم النصارى في استحلالهم الخمر، وإنما يكلَّم في هذا من قال: لا ذنب لعثمان إلا ما أتاه من الحمى، وتولية الأقارب، ولولا ذلك لكان مثل عمر، ومن قال: لا ذنب لطلحة والزبير وعائشة إلا مسيرهم إلى البصرة، ولولا ذلك لكانوا مثل أبي عبيدة وعبد الرحمن وابن مسعود.

فاعرف هذا ولا تكلمهم فيه البتة، وكلمهم فيما يدعونه من النص فهو الأصل»[1].

» سادسًا: نقد المذهب من داخله:

يوجد في تراثهم ما يكشف حقيقة مذهبهم، ولذلك أوصى واضعو هذه النحلة بعضهم بعضًا بكتمان دينهم، فقالوا: «إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله»[2]، كما أقروا بأن أحاديثهم لا تقبلها الفطر السوية، فيقولون: «إن حديثنا تشمئز منه القلوب فمن عرف فزيدوهم، ومن أنكر فذروهم»[3]، لكنهم مع هذه الوصايا فضحوا أنفسهم، وكشفوا عورات مذهبهم؛ لأنهم كما يعترفون «مبتلون بالنَّزَق[4]، وقلة الكتمان»[5].

---

(١) «تثبيت دلائل النبوة» (١/ ٢٩٤).
(٢) «أصول الكافي» (١/ ٢٢٢).
(٣) «بحار الأنوار» (٢/ ١٩٢).
(٤) أي الخفة والطيش.
(٥) «الكافي» (١/ ٢٢٢).

بل إن الخلل وصل إلى الركن والأصل الذي يقوم عليه دينهم، وهي مسألة الغيبة، وقد رجع أكثرهم عن التشيع - كما تقول نصوصهم - في المائة الثالثة بسبب شكهم في عقيدة الغيبة[١]. وقد أشار الطوسي إلى ثغرة كبرى في مذهبهم كانت أيضًا سببًا في خروج الكثير من نحلتهم، ألا وهي ظاهرة التناقض، وما «آلت إليه أحاديثهم من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد، حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه» واعترف بأن هذا الاختلاف قد فاق ما عند أصحاب المذاهب الأخرى، وأن هذا كان من أعظم الطعون على مذهبهم، وأنه جعل بعض الشيعة يترك هذا المذهب لما انكشف له أمر هذا الاختلاف والتناقض[٢].

» سابعًا: معرفة مكائدهم لتوقيها:

معلوم أن للروافض وسائل في المكر والكيد لا تدري اليهود بعشرها، ولا تصل الشياطين إلى خبثها - كما سبق -، ومن الضروري معرفتها على سبيل التفصيل للحذر منها[٣].

» ثامنًا: الاستفادة من الأعلام المهتدين:

الاستفادة من (الآيات)، والأعلام في المذهب الشيعي الذين اهتدوا إلى الحق، وذلك بالتعرف على وسائل التأثير عليهم، ونوع الخطاب المؤثر فيهم، والأساليب المناسبة لشيوخهم وعوامهم، كما يتعين الاهتمام بإشاعة تجربتهم بين بني ملتهم، ونشر كتبهم، وترجمة ما لم يترجم منها، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق، فهناك كتب ألفها باحثون شيعة مهتدون إيرانيون وغير إيرانيين، وقد كان لهذه الكتب أثر كبير في أوساط الشيعة،

---

(١) انظر: «الغيبة» للنعماني (ص١١)، «الغيبة» للطوسي (ص١٠٥-١٠٦).

(٢) انظر: «تهذيب الأحكام» (١/ ٢-٣).

(٣) انظر تفصيلها في مبحث (وسائل الغزو الباطني).

وقد توقف طبعها إما لمحاربة المتطرفين لها، وإما لأسباب أخرى، فيعاد طبع هذه الكتب وتوزع بيعًا وإهداء.

» تاسعًا: محاولة منع أسباب انتشار ضلالهم:

ومن أهمها:

أ) قطع الشريان المادي وهو الخمس المالي، بالحجة والبرهان، والقوة والسلطان (وقد يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)، وذلك لأن الخمس له تأثيره الخطير في بقاء بنيانهم وامتداد ضلالاهم وانتشار مذهبهم، ولذلك ذكر د. علي السالوس أنه لولا هذا الخمس لما بقي الخلاف بين السنة والشيعة[١].

ب) منع المدد المعنوي والعاطفي في المآتم والمجالس، ولذلك ذكر الخميني في التلفزيون الإيراني أن هذه المآتم هي التي حفظت مذهبهم طيلة أربعة عشر قرنًا.

» عاشرًا: التوعية العامة:

وذلك بطرق منها:

أ- توزيع الكتب والنشرات والمطويات التي تكشف بطلان عقائد هذه الطائفة، لا سيما بين أئمة المساجد والعاملين في ميدان الدعوة وغيرهم، فتوزيع هذه الكتب على أئمة المساجد ومعلمي المدارس ومديري الإدارات والعاملين في ميدان الدعوة عن طريق المؤسسات الدعوية يساعد على وقف المد الشيعي وتعريف الناس بخطره.

ب- نشر ثقافة المحبة بين الآل والصحابة، وإبراز تسمية آل البيت أبناءهم بأسماء كبار الصحابة، كتسمية علي رضي الله عنه بعض أبنائه بأبي بكر وعمر وعثمان، وإظهار جوانب الصلات والمصاهرات بينهما كزواج عمر رضي الله عنه من ابنة علي رضي الله عنه.

(١) انظر: «الخمس عند الشيعة الإمامية وجذوره العقدية» للمؤلف.

ت) توجيه أئمة المساجد إلى إعداد خطب عن الأمور التي تكشف هذه العقيدة الشيعية، وتبني القضايا العقدية التي خالف فيها الشيعة عموم الأمة بأسلوب يبين الحق دون تقليل أو تهويل، ولتكن بمثابة دروس علمية في بيان السنة وكشف حقيقة هذه النحلة وبطلانها.

ث) إنشاء دوريات (صحف، مجلات) في الداخل وفي البلدان الإسلامية؛ للاهتمام بفضح المخطط الشيعي وبيان فساده في عدة بلدان - ولا سيما التي تتعرض للغزو الشيعي الباطني - بلغات مختلفة ويشرف عليها أشخاص من نفس بلد المنشأ، وتعنى هذه الدوريات بتتبع الفكر الشيعي وتوابعه ومخططاته، مع التثقيف المستمر عن هذه النحلة، ولا يكتفى بإنشاء الدوريات، بل يتواصل مع المشرفين على الدوريات القائمة ليكون موضوع رصد التشيع والتحذير منه جزءًا من أهدافها.

ج) التواصل مع الجمعيات الإسلامية المعتدلة في العالم الإسلامي، لحثها على جعل هذا الموضوع ضمن اهتماماتها حماية للأمة من خطر هذه النحلة.

ح) إنشاء مواقع على الشبكة العنكبوتية للرصد والتحذير والدفاع والدعوة والتواصل، فإن لها تأثيرًا كبيرًا جدًّا.

خ) الاستفادة من وسائل الإعلام لبيان الحق لهم، ودعوتهم، وهذا يحتاج إلى دعم بعدد من الفضائيات، وبعدد من اللغات خاصة الفارسية والأردية والعربية، ومع الأسف فإن للرافضة عددًا كبيرًا من الفضائيات تنشر فتنهم وضلالهم، ولا يوجد ما يواجهها ولا بعشر عددها، وإلا فإن الحق يعلو ولا يعلى عليه، ولابد من توجيه القنوات التلفزيونية والإذاعات الرسمية لإعداد برامج عن

عظم حق الصحابة، وحب النبي ﷺ، وبراءة أهل بيت النبوة من البدع ونحو ذلك.

كما أنه من المهم تصنيف نشرات، ومطويات، وتسجيل أشرطة، والمشاركة في فضائيات، وصحف، ودوريات، وإذاعات، وذلك وفق منهج دعوي متخصص يوجه إليهم، ويبين الحق لهم بدون إثارة، أو هجوم، أو مواجهة، أو نقد للمذهب بالاسم... وقد ثبت في حالات كثيرة رجوعهم إلى الحق بعد قراءة كتاب، أو مطوية، أو سماع شريط، أو مشاهدة حلقة في فضائية.

» حادي عشر: المناهج الدراسية:

إن من المهم الاستفادة من المناهج الدراسية في بلاد أهل السنة لبيان الحق لهم، ولا سيما في مناهج المدارس الابتدائية، والمتوسطة، فقد قال علماء التربية والاجتماع: كم من أحداث وقعت في التاريخ، وأثرت في سير المجتمع تكمن بواعثها في مؤثرات منزلية، ومدرسية.

والمراجع لمناهج الدراسة في إيران والمطبقة على الشيعة وأهل السنة سواء يجد أنها تحولت لديهم إلى صياغة لفكر الناشئة مما يحول بينهم وبين الحق، حتى بلغ الحال بهم أن حولوا الأسئلة النحوية إلى تعليمات عقدية لناشئتهم، بينما هم يعترضون في المناهج لدينا على مسائل عقدية ثابتة، أو حوادث تاريخية واقعة، ولا يترددون في مخاطبة أصحاب القرار للاحتجاج عليها.

ومن المتعين حث جميع الجامعات على تدريس عقائد هذه الطائفة كمتطلب جامعي، إذ لا يوجد في المناهج الجامعية في كثير من الجامعات مقررات تكفي لفهم عقيدة الشيعة، وبيان بطلانها، مما يجعل أبناءنا وبناتنا غير محصنين ضد هذه العقيدة التي يتدسس بها

الشيعة إليهم من خلال العواطف، مستغلين روايات تاريخية لا تصح، وذلك عبر القنوات والشبكة العنكبوتية والاتصال المباشر.

ولهذا فلا بد من إعداد منهج خاص بعقائد هذه الطائفة وبيان بطلانها بالأسلوب العلمي الهادئ، ويوضع كتاب يشتمل على عقيدة الشيعة الاثني عشرية، يعرض أهم عقائدها وأساليبها والرد على شبهاتها.

» ثاني عشر: دعم أهل السنة في إيران:

التواصل مع أهل السنة في إيران، فأهل السنة في إيران لم يلقوا من إخوانهم أهل السنة خارج إيران طيلة السنوات السابقة أي عناية تذكر، مع أن التواصل معهم مهم جدًّا على الصعيدين الديني والسياسي.

فينبغي أن يتواصل مع الشخصيات البارزة من أهل السنة، ويتم من خلال المؤسسات العلمية قبول طلاب للدراسة في الجامعات من سنة إيران، مع رعايتهم أثناء وجودهم بدورات علمية مكثفة عن دين الشيعة وشبهاته وبيان بطلانها، وتقديم الدعم لمشاريع علمية كبناء الجامعات والمعاهد إضافة إلى بناء المساجد والأوقاف.

» ثالث عشر: الدورات:

عقد دورات تأهيلية لبعض الدعاة للتخصص في دراسة معتقد هذه النحلة ودعوة أتباعها، وكذلك عقد الدورات للعناصر المختارة من المهتدين منهم، يعتنى بمناهجها، ويختار لها مراجعها، وينتخب أساتذتها، بحيث تعقد دورات خاصة بالدعاة المهتدين يكون لها الصفة الحوارية للإفادة والاستفادة، ودورة أخرى للدعاة العاملين أيضًا للتعريف بهذه الطائفة وبيان بطلان عقائدها، ويجب أن يكون أئمة المساجد ومديرو المدارس ومعلموها على وعي كامل بهذه الفرقة وعقيدتها، ولعل ذلك لا يتحقق إلا بعقد دورات ولقاءات مع أئمة المساجد ومديري المدارس ومعلميها.

» رابع عشر: التأهيل:

تأهيل نخب من طلاب العلم للدعوة والحوار والتأليف والمشاركة في الفضائيات، وللأسف فإن الذي يقوم بهذه المهمة هم شيوخ الروافض، فإن لهم مراكز متخصصة تدرب الدعاة، وتبعثهم إلى العالم الإسلامي؛ ليقوموا بمهمة الدعوة وفق مراحل مدروسة، وتحت مظلات مختلفة طبية، واجتماعية، ومصرفية، واقتصادية، وتربوية، وسياحية... إلخ.

ولا يقتصر هذا النشاط على الشيعة فقط، بل يتعين الاهتمام بفتح المعاهد والمراكز في البلدان الإسلامية لإعداد الدعاة المؤهلين في كل ملة ونحلة وفرقة، وإقامة معاهد بعد المرحلة الثانوية لإعداد الدعاة الملمين بعقائد المخالفين المدربين على الحوار مع المخالف، وتفتح هذه المعاهد في عدة دول، وتصرف للدارسين بها مكافآت كحافز للالتحاق بهذه المعاهد، ثم ينتقى المتميزون منهم بعد التخرج لرعايتهم والاستفادة منهم، ويشرف على هذه المعاهد أشخاص من نفس البلدان التي تقام فيها، وتعد المناهج لتكون شاملة لكل الجوانب العلمية الدينية ليكون خريجوها على مستوى عال من الوعي.

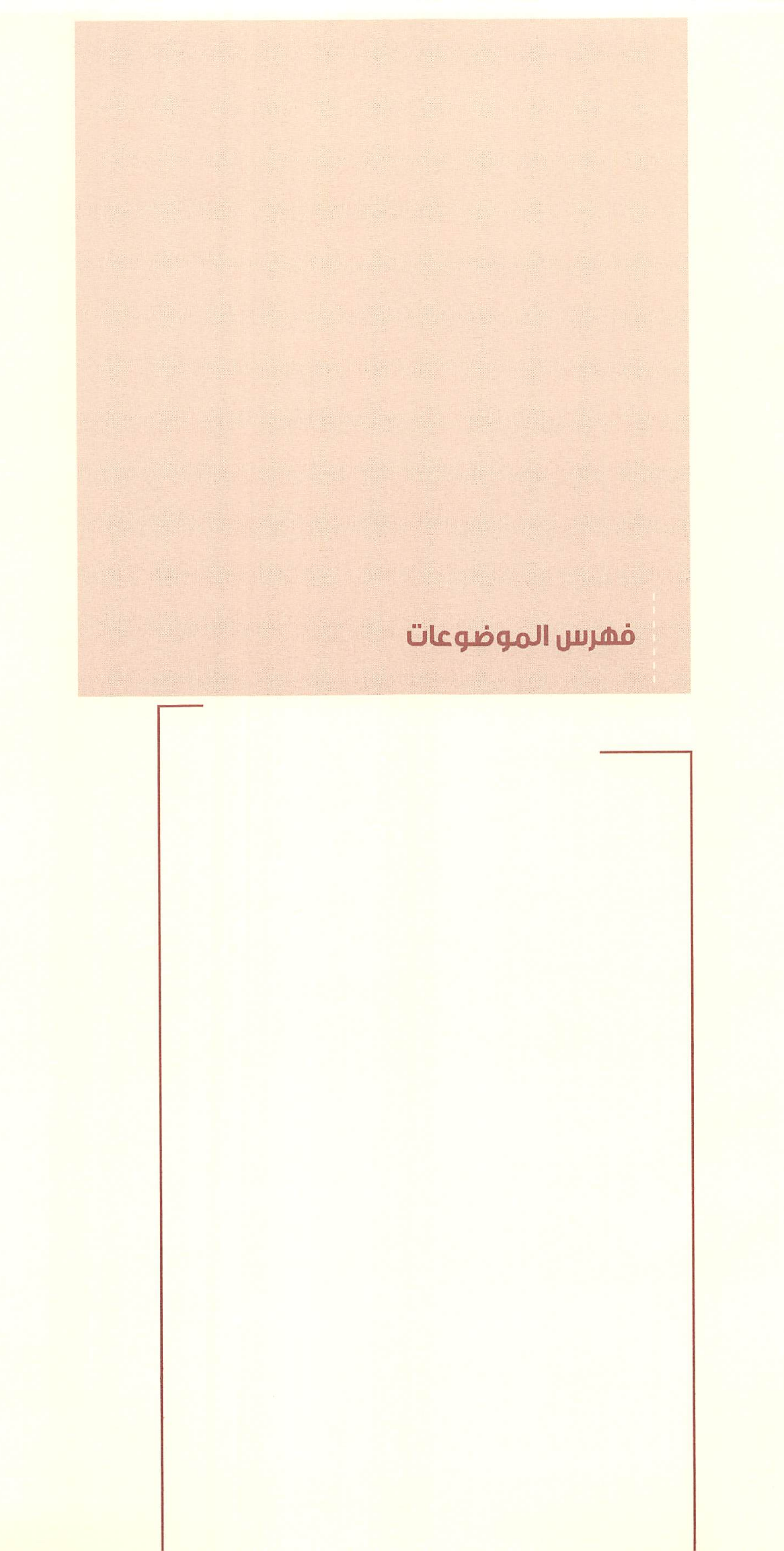
ويخدم هذا التأهيل وسيلتان أساسيتان:

الأولى: إنشاء مكتبة علمية متكاملة تضم مصادرهم، وإصداراتهم الورقية والإلكترونية، ودورياتهم، وصحفهم، ومجلاتهم، ومناهجهم، ومقرراتهم... إلخ.

الثانية: إعداد الدراسات العلمية التي تتناول معتقداتهم ومصادرهم وأهدافهم وجميع ما يتعلق بشأنهم، لأن أكثر أتباعهم في غفلة عن المسائل الخطرة في نحلتهم، وإنشاء مراكز علمية تعنى بدراسة التشيع وفرقه ومصادره ومناهجه وعقائده وتاريخه وواقعه، تضم مجموعة من المختصين، والباحثين، والمهتمين بأمر التشيع والتيارات الباطنية،

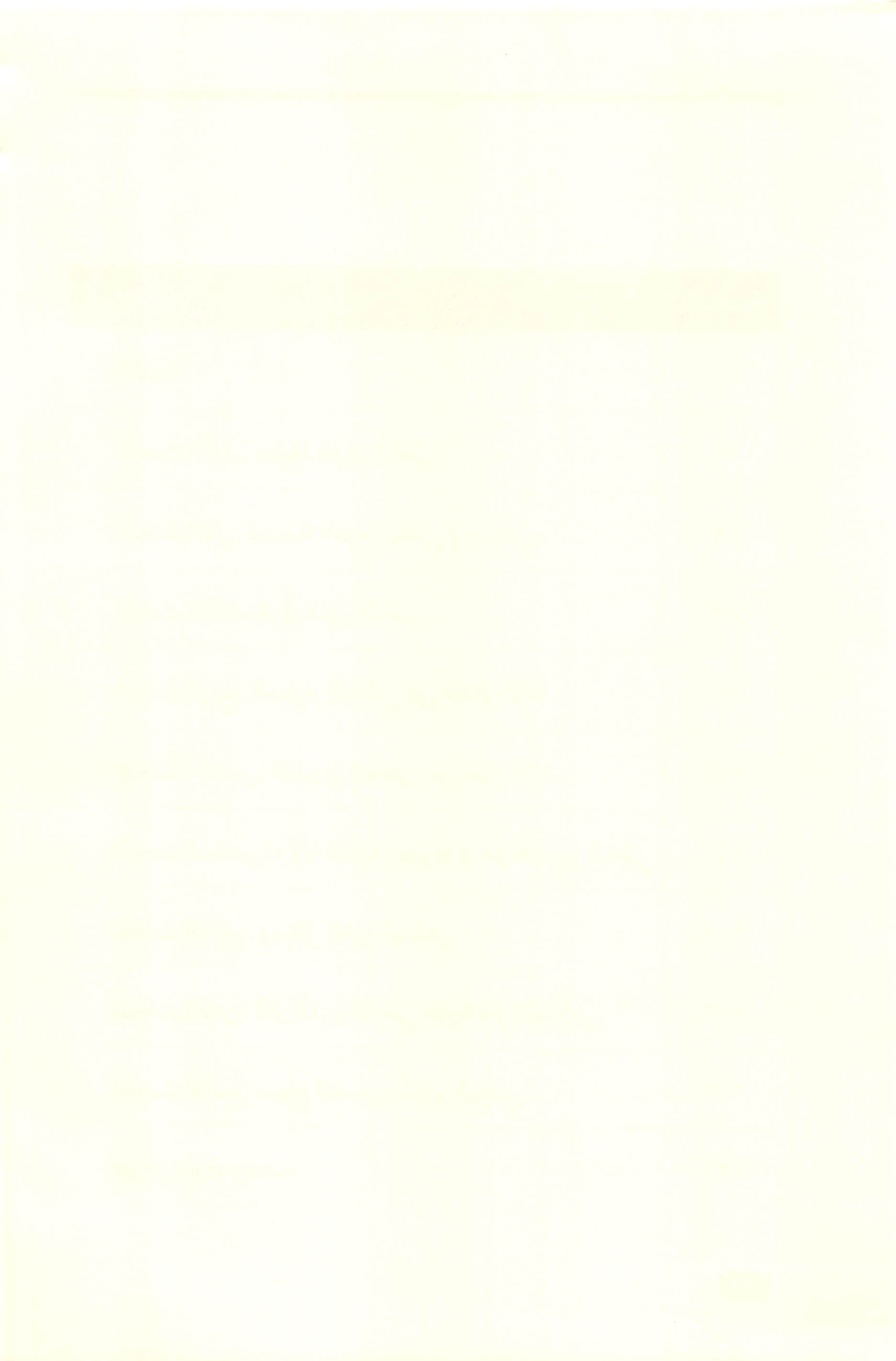
وتقوم برصد أنشطتهم من حركات، وأحزاب، ومراكز، وجمعيات، ومذاهب، ومواقع، ومنتديات، وفضائيات، ودعاة، ورسائل ونشرات، ومجلات، ومقررات.

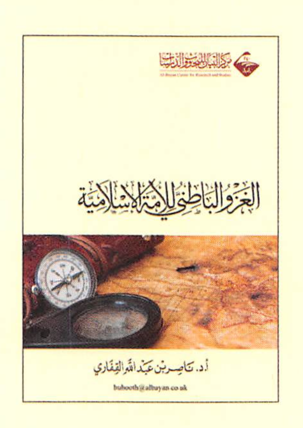
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



فهرس الموضوعات







الغزو الباطني للأمة الإسلامية

لفت أنظار الكثير بروز هذه الفرق المنحرفة علنًا في بلاد المسلمين عامة، ونشرهم لفكرهم العفن في مناطق مختلفة وفق خطط مدروسة، فأصبح من الضروري تبصير الأمة بحقيقة هذا الغزو الباطني وفرقه وعقائده ووسائله وأهدافه، ومحاولة وضع إستراتيجية وبرامج عملية لحماية وحدة الأمة وأمنها، فلا ريب أن معرفة العدو ومخططاته ومعتقداته هي اللبنة الأساسية في مواجهة خطره، والسلامة من غوائله، ورد مكايده، وإيقاف تمدده ومنعه من نشر فتنته، وقد شهدت أحداث التاريخ وأيام الإسلام أن الأمة لا تنتصر على العدو الخارجي إلا بعد أن تنتصر على العدو الباطني، ولقد علّمنا التاريخ أن الأمة لم تستطع تحرير القدس من أيدي الصليبيين على يد صلاح الدين إلا بعد أن هزمت الباطنيين.



مكتب مجلة البيان
ص.ب ٢٦٩٧٠ - الرياض - ١١٤٩٦
www.albayan.co.uk
sales@albayan.co.uk
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٥٤٦٨٦٨



